فريق
متميزون
E-BOOK

أمير عاطف

دوائر الإنتقام

رواية

دار دون

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

فريق متميزون

E-BOOK

كلمه مهمة: هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات: فريق -متميزون-

انضم الى الجروب

انضم الى القناة

دوائر الإنتقام
رواية..

الكاتب: أمير عاطف.

إهداء..

إلى أبي، أمي وأخي.. اللذين هم أغلى شيء في حياتي..

إلى أولادي؛ زياد وزينة.. فلذات كبدي

علّي أن أجعلهم فخورين بي دومًا.. سواء كنت فوق هذه الأرض أو تحتها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

«ضميري يطاردني، فهو الذي يتعقبني ويقبض عليَّ ويحاكمني... ومتى سقط الإنسان في قبضة ضميره فلا مفر له»

فيكتور هوجو

البؤساء

(١)

كان يومًا أسود قمطريرًا، ظهرت بوادره حينما استيقظ من نومه على صوت غراب يقف فوق شجرة قرب نافذة غرفة نومه، ذلك اليوم الذي انتظره أولاده وزوجته منذ أكثر من ثلاثة أشهر، حين وعدهم بأن يأخذهم لقضاء أسبوع في الشاليه الذي يمتلكه في العين السخنة، ليزيح عن كتفيه المتاعب التي واجهها في الفترة الأخيرة، وأيضًا لتعويض أسرته عن الإجازة التي ألغاها العام الماضي، فاستيقظوا في ذلك اليوم قبله بساعتين.

حاول أن يغمض عينيه مرة أخرى كي ينام ولو خمس دقائق إضافية، لكن حالت دون ذلك زوجته لمياء التي فتحت الشباك لتتسلل أشعة الشمس إلى الغرفة، فوضع مرفقه على عينيه اتقاءً لها، في نفس الوقت الذي سمع فيه صوت الغراب مرة أخرى! طبعت لمياء قبلة حييّة على خده فنهض واحتضنها وهو يسألها هامِسًا هل حضَّرت له الحمام فأومأت برأسها أن نعم، وملأت البانيو ثم وضعت على رفه فنجان قهوته كما تفعل كل صباح، قبّلها وخرج من غرفته مُلتقطًا علبة سجائره وولاعته، لمحته زينة، ابنته الصغرى ذات الأربعة أعوام التي أقبلت عليه مُتهلّلة، فحملها وسألها عن أخيها يوسف الذي يكبرها بثلاثة أعوام، فأخبرته أنه في غرفته، ذهب إليه قبل أن يدخل الحمام فوجده منهمكًا في تحضير حقيبته، فآثر ألا يعطله مكتفيًا بالتطلّع إليه مُبتسمًا، مُتأملاً تقاسيم وجهه التي تشبهه إلى حدٍ كبير حينما كان في نفس عمره...

دلف إلى الحمام ومدد جسده في البانيو قبل أن يشعل سيجارة ويحتسي قهوته، في نفس الوقت الذي أوشكوا فيه على الانتهاء من تحضير كل شيء... ولم تمر نصف ساعة حتى انتهى من حمامه وارتدى ملابسه ونزلوا الجراج، فوجد حارس العقار قد انتهى من تنظيف سيارته رباعية الدفع للتو.. طلبت منه لمياء بعدما جلست بجواره في السيارة أن يمر على الكمين الذي يقف فيه أخوها؛ وليد أبو العزم، زميله في الداخلية، فقال لها مزمجرًا بصوتٍ أجش وهو يرتدي نظارته الشمسية:

- وبعدين بقى؟! أنا ذنبي إيه أصطبح بوش أخوكي ع الصبح؟ لا أنا بطيق أشوفه ولا هو بيقبلني..

زمَّت شفتيها محاولة انتقاء كل كلمة تتفوه بها اتقاءً لتغيير مزاجه: معلش يا حبيبي، لما كنت عند ماما آخر مرة نسيت اللبس اللي اشتريته ليا وللأولاد، فقالتلي هتبعتهم لي معاه، كتر خيره إنه وافق يجيبهم لي يعني!

حينما أقبلوا على الكمين قال لها: أنا مش هقف أكتر من دقيقة... ومش هنزل من العربية لأني هضطر أسلم على ظباط الكمين كله ومش هخلص.

وقف زياد بالسيارة بعد الكمين بحوالي عشرة أمتار، نزلت لمياء من السيارة، رجعت عدة خطوات وصافحت أخيها الذي أعطاها الحقيبة وهو ينادي على زياد بصوتٍ مسموع: صباح الخير يا زياد باشا... أجازة سعيدة.

فأخرج له زياد يده محييًا ثم ركبت لمياء السيارة مرة أخرى واستأنفوا طريقهم...

مرت ساعة ونصف تقريبًا حين بدأوا طريق العين السخنة، والذي كان في ذلك اليوم يكاد يكون خاويًا. مارًا برجلٍ جالس أعلى هضبة مرتفعة، مُمسِكًا بهاتف اتصل من خلاله بأحدهم قائلاً:

- الفار داخل على المصيدة، تلات دقايق بالكتير هيكون عندك.

لم تكد تمر ثلاث دقائق حتى تفاجأ زياد بسيارتين واقفتين على جانبيّ الطريق، وما إن مرّ بجوارهما حتى انطلقتا وراءه، وبعد ثوانٍ سبقت إحداهما سيارته لتصبح في المنتصف بينهما، فَطِنَ زياد إلى أن هناكَ خطبًا ما، حاول الهروب منهما لكنه فوجئ بالسيارة التي أمامه تهدئ من سرعتها وتغلق عليه الطريق تدريجيًا حتى استوقفوه، شعرت زوجته بخوفٍ شديد حينها لكنه أشار لها بيده أن تهدأ، دسَّ كفه أسفل الكرسي الجالس عليه ليخرج مسدسًا مخبأً لكنه تفاجأ بهم يطلقون رصاصتين في الهواء، صرخت زوجته وبكى أولاده، تجمع الرجال حول سيارته مُشهرين أسلحتهم، طالبين منه إظهار يديه والنزول من السيارة مع أسرته بهدوء، ففعل ما طُلِب منه أمام صراخ أولاده، طلب منهم أن يهدؤوا، أقبل عليه أحدهم وفتشه فلم يجد معه شيئًا، وأمروه أن يركب معهم السيارة، ففعل، وما إن دخل حتى ضربه أحدهم بمقبض المسدس على مؤخرة رأسه مرتين متتاليتين فغاب عن الوعي، عصَبوا عينيه ونفس الشيء فعلوه مع أسرته الذين ما زالوا يصرخون، وبعد أن دخلوا جميعهم السيارة انطلقوا، بينما قاد أحدهم سيارة زياد وسار وراءهم قاصدين مبنى مهجورًا داخل الصحراء بحوالي كيلومترين، عبارة عن غرفتين مبنيتين من الطوب اللبِن؛ الأولى تشبه إسطبل خيول، والأخرى تبدو كأنها مخزن لمعدات قدمية وقطع غيار سيارات.

بعد مرور ساعة ونصف تقريبًا..

استفاق زياد ليجد ذراعيه ممدودتين عن آخرهما، مشدودتين ومربوطتين في عمودين متباعدين، وأمامه أولاده يصرخون، وزوجته التي تئن بعد أن جردوها من ملابسها الخارجية، ويقف بجوارها ثلاثة رجال، حتى مرَّ من بينهم رجل

رابع يبدو عليه القوة رغم قصر قامته، أصلع، مرتديًا بدلة سوداء، بمجرد أن رآه زياد تعرف عليه، منصور النمر. أحد أكبر تجار الآثار في مصر، والذي سُجن أخيه على يد زياد حين سطوا على سيارة لنقل مقتنيات توت عنخ آمون من المتحف المصري بالتحرير إلى المتحف المصري الكبير، صرخ منصور في رجاله موبخًا:

- إيه اللي عملتوه في مراته ده يا بهايم؟! -اقترب منهم متفرسًا وجوههم بتصنع- إوعى يكون حد فيكم عمل معاها حاجة... دي مرات زياد بيه ضرغام... أشهر ظابط مباحث فيكي يا داخلية.

صرخ فيه زياد محاولاً شد ذراعيه بقوة ليفك قيوده: لو مراتي أو ولادي حصلهم أي حاجة يا منصور يا نمر... قسمًا بالله، قسمًا بالله ما هيكفيني عمرك. الموضوع بيني وبينك هما ملهمش فيه.

اقترب منه منصور ببطء حتى أصبح أمامه مباشرة وتلاقت عيناهما، سأله بصوتٍ خافت: فين الأمانة يا زياد يا ضرغام؟

أجابه زياد بنفس نبرة الصوت لكن بها بعض رجفة: حاجة إيه؟ أنا مش هتكلم عن أي حاجة قبل ما مراتي والولاد يكونوا في البيت. بعدها نتكلم.

ابتعد عنه منصور ضاحكًا بصوتٍ عالٍ: آآآه.. والمطلوب مني دلوقت أطلب لهم أوبر يوديهم البيت... مش كدة؟! -اكتسى وجهه فجأة بجدية قائلاً: اسمع يا زياد بيه، حق أخويا اللي انت سجنته ورزعته خمسة وعشرين سنة هخده دلوقت من مراتك... وبالنسبة بقى لحق الأمانة اللي عندك ولهفتها لنفسك، فدي تمنها ولادك لو مرجعتهاش.

قالها ثم التفت إلى زوجة زياد الجالسة على الأرض بجوار أولادها، محاولة ستر جسدها بيديها وترتعش خائفة، أمر أحد رجالها أن يفكها، اقترب منها منصور بعد أن تحررت من قيودها، أمسكها من ذراعيها ودفعها تجاه منضدة خلفها، حاولت التخلص منه وهي تصرخ لكن بلا جدوى، رأى الأطفال ذلك المشهد وهم يصرخون، بينما حاول زياد استجماع قوته ليفك قيوده.. جردها منصور النمر من باقي ملابسها فاشتدت عروق زياد الذي رأى ذلك، زام صارخًا مُستجمعًا كل قوته دفعة واحدة حتى استطاع قطع الحبل الذي يقيد يده اليمنى.

لمحه أحد الرجال فهرع نحوه ممسكًا بقطعة خشبية وحاول ضربه بها لكن زياد تفادى ضربته منحنيًا، وأثناء انحنائه التقط قطعة حديدية حادة تشبه السكين، ورشقها في بطنه وسحبها بعد أن سقط الرجل، ثم استخدمها في قطع الحبل الذي يقيد يده اليسرى، كان ذلك حين التفت له النمر وباقي

الرجال الذين أخرجوا أسلحتهم كي يصفوه، لكنه ترك لمياء تسقط على الأرض مغشيًا عليها وأشار لرجاله بيده ألا يستخدموا الأسلحة، قائلاً لهم وهو معلقًا عينيه على زياد: خدوا العيال وروحوا بيهم المكان التاني.. وسيبولي الكلب دة.

- لكن يا معلم مينفعش نسيبـ...

قاطعه منصور منفعلاً: اسمعوا اللي بقولكم عليه.. بسرعة. ثم وجه كلامه إلى زياد الذي قطع الحبل وأصبح حرًا: كان نفسي أقتلك يا زياد يا ضرغام، لكن مش قبل ما أعرف فين الأمانة.

- هنشوف مين اللي هيقتل مين يا نمر... قالها ثم أقبل عليه بالآلة الحادة التي معه، لكن منصور أخرج من جيبه مسدسًا ليصيبه في قدمه، لكن الرصاصة انحرفت، كان ذلك حين خرج الرجلان مع أولاده.. وأصبحت المواجهة بين زياد الذي شعر بأن روحه تبتعد عنه بابتعاد أولاده الذين يصرخون وينادون عليه، اقترب من منصور مستديرًا ليفاجئه بركلة خلفية فسقط النمر، لكنه نهض مرة أخرى ممسكًا جنزيرًا سميكًا محاولاً ضرب زياد به، لكنه قفز من فوقه وتفاداه، فاختل توازن منصور أمام زياد الذي استغل عدم توازنه والتقط منه الجنزير ولفه حول رقبته وقيده من الخلف حتى سقط على الأرض.. كان ذلك حين سمع صوت محرك السيارة في الخارج، فخرج إليهما في الحال فوجد السيارة قد ابتعدت عنه بحوالي سبعين مترًا، ركب سيارته وانطلق وراءهم محاولاً اللحاق بهم، إلى أن دخلوا طريقًا وعرة بين منحدرين جبليّين، يبتعدون أكثر وأكثر وما زال زياد وراءهم يحاول اللحاق بهم كالمجنون، تذكر المسدس المخبأ تحت الكرسي الجالس عليه، دس يده والتقطه، فكر لوهلة أن يستخدمه في توقيفهم لكن خشي أن يصيب أولاده، تردد لثانيتين قبل أن يقرر استهداف الإطارات، أطلق رصاصتين في الإطار الخلفي لكن بدا أنه لم يصبه، تابع اللحاق بهما إلى أن رأى السيارة أمامه بعد ثواني وقد بدت أنها تفقد توازنها، انحرفت يمينًا ويسارًا قبل أن تسقط في المنحدر الجبلي وانقلبت عدة مرات، ضغط زياد على دواسة الفرامل بسرعة وقد رأى السيارة قد استقرت في قاع المنحدر الصخري...

وانفجرت...

كان الانفجار هائلاً وتحولت السيارة إلى كتلة ملتهبة من النيران الكثيفة، وقف مشدوهًا جاحظ العينين وهو يشاهد الموقف، لا يدري ما الذي يجب عليه فعله، غير مصدق أنه لن يرى أولاده مرة أخرى، صرخ مناديًا عليهم صرخة مدوية اهتزت لها أرجاء الجبل..

- ولاااااااااادي، زيناااااااااا... يووووووسف.

كان الألم الذي هاجم رأسه حينها شديدًا، نزل بسيفه المُسلَّط عليه فجعله فاقدًا للوعي، سقط راكعًا على ركبتيه وأخذ يبكي حتى كادت روحه تغادر جسده، تذكر حينها أن لمياء ما زالت هناك وربما يستفيق منصور النمر أو يذهب إليها رجال آخرون، ركب السيارة مرة أخرى واستدار بها محاولاً التحكم بها ببطء وحذر كي لا يسقط في المنحدر الصخري، حتى استطاع بصعوبة أن يستدير بها وعاد إلى نفس المكان الذي كانت فيه زوجته، اكفهر وجهه حين وجد المكان خاليًا، لم يجد زوجته، ولم يجد منصور النمر، ظل يبحث عنهما في كل أرجاء المكان لكنه لم يجد أحدًا، لم يجد أي شيء سوى ملابس زوجته ملقاة على الأرض، شعر أن جسده أصبح ساخنًا محتقنًا، وظل يصرخ باكيًا وهو يبحث عنها حوالي عشر دقائق إلى أن فقد الوعي...

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كل ما سبق، ليس إلا آخر أربعين ثانية في الكابوس الذي يأتي لزياد ضرغام في معظم الأيام.. ومشهد استفاقته بعد ذلك وقيادة سيارته وهو منهك إلى أن وصل أقرب كمين في طريق الجلالة/ العين السخنة، كان في آخر ثلاث ثوان.

ثانيتان

ثانية...

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

انتفض زياد ضرغام من نومه مفزوعًا إثر هذا الكابوس الذي يراه كثيرًا إلى أن اعتاد عليه، ورغم اعتياده هذا لكنه في كل مرة يستيقظ هكذا صارخًا، انتفضت حينها امرأة كانت ممددة جسدها بجواره، تمسك شعره وهي تنظر إليه، نظر إليها بعينين نصف مغمضتين مندهشًا من وجودها بجواره، سألته ماذا به ولماذا انتفض هكذا فلم يرد عليها، مكتفيًا بإشارة من يده أن تسكت، أحس بألم شديد في رأسه جاءه فجأة فضغط بسبابته وإبهامه على رأسه درءًا له، التفت إليها مرة أخرى وصُرَّ بين حاجبيه محاولاً تذكرها، متسائلاً في قرارة نفسه كيف تعرَّف عليها وكيف استدرجها إلى فراشه ليلة أمس؟! هل

وجدها واقفة في شارع جامعة الدول العربية حينما مرَّ من هناك بسيارته فأعجب بها وطلب منها أن تأتي معه؟ أم تعرف عليها في أحد الملاهي الليلية التي يسهر فيها؟ أم تعرف عليها عن طريق الفيس بوك وطلب مقابلتها في شقته؟!

كررت عليه نفس السؤال وهي تربت على صدره: مالك يا حبيبي؟ إيه اللي شفته في حلمك وخلاك تصحا مفزوع كدة؟ أكيد ده كابوس مش حلم عادي.. مش كدة؟

- فعلا... كابوس.. –التقط منديلاً من فوق الكومود ومسح به العرق المقطر على جبينه- كابوس بيجيلي كتير! التقط منديلاً آخر فلمح ستة زجاجات بيرة فارغة ما عدا واحدة نصف ممتلئة، نهض ساندًا ظهره إلى ظهر السرير وتجرعها دفعة واحدة.

أشار لها بيده أن تعطيه سيجارة فأشعلت واحدة له وأخرى لها، سحب نفسًا وزفره بقوة، وقد قرر أن يسألها عما حدث بالأمس لكنها وفرت عليه سؤاله، قائلة له بصوتٍ خافت والابتسامة تعلو وجهها: لو كنت أعرف إن المفتاح هيكون السبب إني أتعرف عليك، كنت نسيته جوة شقتي من زمان.

شرد لثانيتين ثم تذكر باقي التفاصيل فجأة، فقد فتح بالأمس باب المصعد أمام شقته الكائنة بالطابق الثالث، فوجدها واقفة أمام شقتها بقميص النوم، تفكر حائرة كيف تفتح باب شقتها الذي أغلق بعد أن نسيت المفتاح بالداخل حين كانت تضع كيس القمامة في السلة، لمعت عيناه حين رآها ومسح جسدها المثير بعينين متفحصتين، عرض عليها أن تدخل شقته ويتسلل إلى شقتها عبر شرفته التي لا يفصلها عن شرفتها سوى حائل حديدي ضعيف يسهل التسلل من خلاله، لكن ما حدث كان غير ذلك، فقد دار بينهما عدة حوارات أدرك من خلالها أنها مطلقة وتسكن بمفردها في الشقة المجاورة له منذ فترة، وكانت تراه خلال تلك المدة عدة مرات، وقد شعرت ببعض الإعجاب به.

نهض من سريره مُلتقِطًا بنطاله الذي ارتداه قبل أن يقف على قدميه: عشر دقايق هدخل آخد دش ولامؤخذة هنط على شقتك من البلكونة وهفتح لك الباب من جوة.. مش هتأخر.

أومأت له برأسها مُبتسمة، وبينما دخل ليأخذ حمامه، نهضت هي من سريرها قبل أن ترتدي قميصها وأخذت تتجول في الشقة التي تعُمَّها الفوضى في كل الأرجاء، لفت انتباهها في غرفة المعيشة صورة كبيرة له معلقة على الحائط، يرتدي فيها ملابس ضابط شرطة برتبة مقدم، بيد أنها منذ خمسة أعوام على الأقل، لا فارق كبير بينه وبين ما هو عليه الآن سوى شارب كث

حينها، أما الآن فقد أطلق لحيته نسبيًا، ورغم عدم اختلاف لون عينيه، لكنها لاحظت أنها في الصورة تتقد بحماسٍ وتحدٍ ونجاح لم يعودوا موجودين الآن، تحت صورته معلق عدة صور له مع أولاده، وعلى المنضدة صورتان، لكل منهما على حدة وبكل منهما شريطة سوداء أعلى اليسار، شعرت حينها بالأسى وقشعريرة سرت في جسدها، لفت انتباهها أنها لم تجد صورة لأي امرأة، التقطت صورة ابنته في نفس اللحظة التي خرج منها إلى الحمام، ما إن لمحها حتى هرع إليها كالمجنون وخطف الصورة من يدها ليضعها في مكانها، قائلاً لها بانفعال:

- انتي مين إدالك الحق تعملي كدة؟ اقعدي هنا اترزعي ومتتحركيش، هلبس هدومي وأدخل شقتك أجبلك المفتاح.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بإحدى المستشفيات الخاصة بشارع جامعة الدول العربية.

بعدما انتهت من إعطاء أحد المرضى حقنة، ودوَّنت بعض الملاحظات في الورقة المعلقة، غادرت مروة شعبان غرفة العناية المركزة، الممرضة ذات الخمسة والعشرين ربيعًا. مُرتدية الزي الخاص بالممرضات، والذي لا يخفي جسدها الممشوق، فارع الطول، رشيق القد، تمتلك جمالاً صارخًا يجبر كل من يراها أن يتوه للحظات حين يشرد في عينينها الخضراوين وشعرها الناعم أسود اللون، جلست مروة في غرفة الممرضات على حافة السرير، التقطت حقيبتها المعلقة بجوارها وأخرجت منها خبرًا قديمًا مقصوصًا من جريدة تتوسطه صورة لرجلٍ تبدو على هيئته الوقار المختلط بوسامة، ذي شاربٍ كث، يرتدي زيّ ضابطٍ شرطة ومعلق على كتفيه نسر ونجمة، ومكتوب تحته الرائد زياد ضرغام، أعادت قراءة الخبر الذي قرأته عدة مرات من قبل وكان عنوانه:

القبض على أحد أكبر تجار الآثار في مصر

بعد السطو على بعض مقتنيات توت عنخ آمون

كان قد تم السطو على السيارة التي تنقل مقتنيات توت عنخ آمون وهي في طريقها إلى المتحف الكبير، تمهيدًا لعرضها للعالم حينما يُفتتح المتحف، علمًا بأن تلك المقتنيات ستعرض لأول مرة في حضور كل وسائل الإعلام العالـ.... هذا وقد قام الرائد زياد ضرغام بنصب كمينٍ لهم وإلقاء القبض عليهم وعلى رأسهم شوقي النمر، بينما...

- مين الظابط الوسيم ده اللي ماسكة صورته وسرحانة فيه كدة؟

انتفضت مروة من صوت زميلتها التي جاءت فجأة، طوت الورقة لتضعها داخل حقيبتها مرة أخرى لكن زميلتها انتزعتها من يدها رغمًا عنها وفتحتها، أخذت تتطلع إلى صورة الضابط بعينين مغرمتين مكررة نفس سؤالها، فأجابتها مروة بعد أن خطفت منها الورقة: - وانتي مال أهلك.. خليكي في حالك..

أخرجت زميلتها كيس قطن وأخذت تقطعه قطعًا صغيرة قائلة: لا بجد قوليلي الحقيقة ماتخبيش على أختك حاجة، بتحبيه بس وللا في بينكم حاجة؟ وللا معجبة بيه وهو مش دريان؟ متجوز وللا مطلق وبتحاولي تشقطيه؟

وضعت مروة الورقة داخل حقيبتها ثم فتحت دولاب الأدوية والتقطت سرنجة وهي تجيبها ضاحكة: مش هرد عليكي عشان انتي مهزأة... جهزت الحقنة

وسحبت بها محتوى علبة دواء مستطردة: انتي عارفة عنده كام سنة يا بنت الهبلة؟!

- كام يعني؟ سألتها بلامبالاه.. ماديلوش أكتر من أربعين سنة.

- تلاتة وأربعين... تلاتة وأربعين سنة تقريبًا.. أنا رايحة أدي الحقنة دي للحالة اللي في أوضة ١٠٢. فتحت الباب ففزعت حين رأت أخاها يفتح الباب من الخارج في نفس الوقت ووراءه عاملة النظافة التي تصيح بصوتٍ عالٍ:

- يرضيكي كدة يا مروة أخوكي يسيب الطرقة كلها ويدوس في المنطقة اللي لسة مسحاها.. ولما جيت أكلمه راح سب لي الدين؟!

شدته مروة إلى الداخل قبل أن يراه أحد من العاملين بالدور وأمسكت رأس عاملة النظافة وقبلتها استرضاءً واعتذارًا لها، وقد بدت عاملة النظافة لم تزل غاضبة، فدست يدها في جيبها وأخرجت عشرة جنيهات أعطتهم لها مكررة اعتذارها:

- معلش يا أم أحمد ربنا رزقني بأخ شمام عربجي.. أنا آسفة يا حبيبتي. أخذت منها العشرة جنيهات ثم رحلت وهي تمصمص بشفتيها وتضرب كفًا بكف.. أعطت مروة الحقنة لزميلتها طالبة منها أن تعطيها للمريض بدلاً منها، فوافقت زميلتها وخرجت، ما إن أغلقت مروة الباب حتى صاحت فيه موبخة:

- عاوز إيه يا شمام يابن الكلاب؟ هو أنا مش قلتلك مليون مرة ماتجليش المستشفى نهائي؟!

سحب كرسيًا بجوار السرير وجلس عليه واضعًا قدمًا على قدم: عاوز خمسميت جنيه.

ردت عليه منفعلة وهي تنظر له شزرًا: خمسميت قرد ينططوك.. خمسميت جنيه إيه هو أنا باخد كام من المخروبة هنا عشان أديلك المبلغ دة؟ وطبعًا هتشتري بيه الهباب اللي مخليك مسطول وهيجيب أجلك إن شاء الله – سكتت لثوانٍ ثم أردفت- امشي غور من هنا مش معايا ولا مليم.

نهض منفعلاً: لاااا... الكلام براحة مش هيجيب معاكي نتيجة... قالها ثم انقض على حقيبة يدها، شدتها منه لكن دون جدوى، ودفعها فسقطت على الأرض، أرادت حينها أن تصرخ أو تنهض لتضربه بأي آلة حادة، أو تلتقط حقنة هواء وتفرغها في عروق رقبته ليسقط قتيلاً، لكنها حاولت أن تسيطر على غضبها وألا تثير أي ضوضاء كي لا يسبب لها أي أذى في عملها، دسَّ يده داخل حقيبتها فلم يجد سوى ورقتين فئة مائتي جنيه، فتش أكثر علّه يجد المزيد فلم يجد، لكنه وجد صورة الضابط التي تحتفظ بها.. تعرَّف عليه منذ

الوهلة الأولى، لوَّح بها أمام عينيها قائلاً: وشايلة صورة الكلب ده ليه؟ هة؟ انتي صدقتي اللي قالتهولك المحروسة قبل ما تموت؟!

خطفت منه الورقة وحقيبتها: وأنت إيش عرفك إيه اللي قالتهولي أصلاً يا شمام؟

- لا مهو أنااااا... سمعت اللي دار بينكم.

دفعته إلى خارج الغرفة: طب يللا غور من هنا يا بتاع البرشام قبل ما حد يشوفك من أمن الدور وتبقى مصيبة سودة.

- حاضر.. بس هرجعلك تاني آخد باقي الفلوس.. سلام.

بمجرد أن غادر جلست على حافة السرير وانهارت في البكاء، في نفس الوقت الذي رن فيه هاتفها، فزفرت متأففة حين أدركت أن المتصل الدكتور رأفت الميهي، رئيس قسم الجراحة بالمستشفى، ردت عليه بعد أن حاولت جاهدة إخفاء بكائها، طلب منها أن تحضر له حالاً إلى غرفته، أدركت أن عاملة النظافة الملعونة قد بلّغته بمجيء أخيها وشكتها له، مما يجعله سوف يتحدث معها بلهجة حمقاء كما يروق له بالطبع، ولن تستطيع أن تجادله في شيء، مما يجعل هذا الموضوع سببًا لابتزازها به ويطلب منها ما يشاء بتبجح دون أن تتفوه بكلمة؛ لأنه يعلم جيدًا أنها تخاف على لقمة العيش وعلى وظيفتها في المستشفى.

دخلت غرفته بعد دقيقتين فوجدته جالسًا على كرسي مكتبه ممددًا ساقيه فوق المكتب، ونعل حذائه موجه نحوها، ألقت عليه السلام مُتمتِمة فرد عليها لائمًا وبصوتٍ عالٍ: أنا قلتلك كام مرة مشفتش الولد أخوكي ده هنا؟ تحبي أرفدك يا مروة؟

أطرقت رأسها لا تعلم ماذا تجيبه، فهي تعي جيدًا أن أي تبرير لن يجدي معه نفعًا.. فاكتفت بالاعتذار. نهض من مكتبه مقتربًا منها بينما لا تزال مطرقة رأسها وتزم شفتيها في تقزز.. دار حولها مرتين وهو ينظر إلى استدارة جسدها وانحناءاته بعينين متفحصتين، شعرت بعينيه وهما تتحرشان بها وبجسدها، وأن نظراته تخترق ملابسها، أحست بالذل والمهانة وأنها عارية أمامه، اعترتها رغبة قوية في أن تبكي، بل تنهار من البكاء، تمنت لو أنها تستطيع صفعه على وجهه، لكنها مُقيدة بلقمة العيش والحاجة، مسلوبة الإرادة، لا تستطيع فعل أي شيء حتى بعد أن لامست يده مؤخرتها، حاولت الابتعاد عنه لكنه أمسكها بقوة من ذراعها، قاومته فجذبها إليه واحتضنها بقوة فقاومته وبالكاد انتزعت نفسها من بين يديه وولت هاربة إلى غرفة إحدى الحالات لتغيير المحلول، ثم جلست على الأرض تبكي بحرقة، تعلم جيدًا أنها

لن تستطيع أن تشكوه للإدارة، فلن يصدقها أحد رغم علمهم بما يفعله، ليس معها وحدها، ولكن مع الكثيرات، وحتى لو صدقوها، فبالطبع لن يضحوا بطبيب جراح في حجم رأفت الميهي من أجل ممرضة لا ثمن لها في نظرهم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بأحد الأبراج السكنية الفخمة بالدقي، الدور العاشر بأكمله عبارة عن أربع شقق بباب واحد تعلوه لافتة مكتوب عليها «شركة بلاك هورس للإنتاج الفني»، حين تدخل ستجد سكرتيرة حسناء جالسة في الواجهة على مكتب فخم، مسئولة عن تنظيم مواعيد الشركة عمومًا، ومواعيد شيرين القاضي خصوصًا، بالإضافة لمقابلة الكتاب الشباب الذين معهم سيناريوهات ومعالجات لأفلام طالبين مقابلة شيرين القاضي لكن مهما فعلوا لن تتيح لهم مقابلتها –على الأقل في هذه الفترة- بناء على أمرٍ منها، مكتفية باستلام معالجاتهم بابتسامة صفراء لتلقي بها في أقرب درج بجانبها أو صندوق القمامة.. أيهما أقرب لها!

في الغرفة المقابلة المعلق بجوار بابها لافتة مكتوب عليها «غرفة الاجتماعات» تجلس شيرين على رأس مائدة الاجتماعات مع فريق عمل مسلسلها القادم الذي ستنتجه، وسيعرض في رمضان القادم على إحدى أشهر القنوات الفضائية، بميزانية تفوق المائة وخمسين مليون جنيه.

بعدما أجرت بعض التوقيعات، وضعت قلمها الذهبي على المنضدة، رن هاتفها فرفضت المكالمة ثم قالت لمدير التسويق بشركتها: أنا طبعًا مش هوصيك يا خالد، المسلسل المرة دي لازم يكون مختلف تمامًا عن رمضان اللي فات، لازم الإعلانات تحصد ضعف الميزانية، وزي ما أنت شايف، أنا حاطة ميزانية ضخمة جدًا ازاي.. ودة اللي خلاني أنتج السنة دي تلات مسلسلات بس.. اتنين في رمضان التالت بعد رمضان بتلات أربع شهور.

- ماتقلقيش يا أستاذة شيرين... كله هيبقى تمام...

التفتت شيرين إلى كريم زوجها، ومدير الإنتاج أيضًا: كريم، بعد إذنك حاول تتحكم في المصاريف شوية بقدر الإمكان... أنا عارفة إنك بتبذل قصارى جهدك والله، ودة كان واضح في المسلسل اللي فات، لكن لو حاولت أكتر من كدة شوية هكون متشكرة جدًا ليك.. ماتنساش إن الأجور اترفعت. أومأ لها كريم بالإيجاب، كان ذلك حين رن هاتفها مرة أخرى فرفضت المكالمة ثم استأذنتهم وخرجت من غرفة الاجتماعات لتدخل مكتبها ودخل وراءها المستشار المالي الذي كان منتظرًا في الخارج.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعدما تسلل إلى شقة جارته من خلال شرفته وكاد أن يسقط لولا تمسكه جيدًا بالفاصل الحديدي بين الشرفتين، فتح لها شقتها من الداخل ودخلت شقتها ثم عاد إلى شقته مرة أخرى، مُتحصنًا بجدران عزلته ووحدته التي أصبح يحبها كثيرًا ويحب الاستمتاع بها، عكس ما كان في السابق، دخل المطبخ ليُعِد لنفسه كوبًا من القهوة، لكنه حين أمسك علبة البن ظل يتأملها في بلاهة، وجد نفسه مُقبِلا على غسل كوب القهوة والكنكة وتلقيمها بالبن والسكر ثم الوقوف مُترقبًا أمام النار الهادئة مدة لا تقل عن ثماني دقائق وثلاث وأربعين ثانية، وغالبًا سينشغل عنها بأي شيء وتغلي وتفور ويتسخ البوتجاز... فتراجع عن فعل كل هذا موفرًا على نفسه، وفتح الثلاجة ملتقطًا علبة بيرة وعاد بها إلى الصالة، حيث الأريكة الوثيرة التي يحب أن يرتمي بجسده عليها، ليس لأنها مريحة، بل لأنها أمام الجدار المعلق عليه روحه.. أو ما تبقى منها.

فتح علبة البيرة وأشعل سيجارة ثم أخذ يتطلع إلى صور أولاده الذين كانوا يملأون هذا البيت فرحة يومًا ما، كان حنينه إليهما حارقًا، يعتصر فؤاده.. باكيًا، تذكرهم.. تذكر حين كانوا يوقظونه يوم الجمعة كي يخرج معهم في نزهة وكان يرفض لأنه مشغول، فيضطر أن يعتذر لهم ويعدهم أنه سوف يخرج معهم في نزهة كبيرة قريبًا جدًا، رغم مرور أكثر من عام لكنه لم ينس ذلك الألم الذي انزوى في زاوية داخل صدره، وظل هكذا، مُثقِلاً عليه بما لا يطيق ويحتمل، وسيظل هذا الحزن يكبر ويكبر إلى أن يواريه التراب، وكالعادة، لم يبدِ أية مقاومة للحزن حين يحل عليه ضيفًا فجأة عندما يتذكرهم، فيعصره... ويهصره.

أغمض عينيه محاولاً إجبار نفسه على استكمال نومه، رغم أنه خائف من أن يأتيه ذلك الكابوس كالعادة، مرَّت حوالي عشر دقائق سارحًا في السقف الذي حفظ شكله عن ظهر قلب فوجد أن النوم قد طار من عينيه، نهض وأمسك هاتفه وظل يعبث في الفيس بوك متابعًا المنشورات التي نشرها في اليومين الماضيين، وتعليقات أصدقائه ومتابعيه الذين تخطوا المائتين وخمسين ألفًا، لم يأبه بتعليقات الرجال، ولا النساء اللائي لا يضعن صورة شخصية، يقرأ ويهتم فقط بتعليقات أي سيدة أو فتاة تضع صورتها الشخصية، وليس أي صورة، فقط الصور التي تنال استحسانه وإعجابه! فيدخل على ملفها الشخصي محاولاً إلقاء طعم؛ إعجاب بمنشورٍ ما، تعليق على إحدى الصور.. إلخ. وهو يعرف جيدًا أن تسعين بالمائة من اللائي يفعل ذلك معهن سوف يرسلن له رسالة في أقرب وقت..

انتقل بعد ذلك إلى موقع صراحة الذي يحب أن يقرأ الرسائل المرسلة إليه في هذا الموقع، فيرضي غروره، رغم أن الفضول يقتله أحيانًا ليعرف من

صاحب تلك الرسالة.. شرع يقرأ الرسائل غير المقروءة حتى انتهى منها جميعًا فأغلقه بعد أن وجد الشحن قد اقترب من عشرين بالمائة.

ليس هناك شيء ألعن من الفراغ..

أوصل هاتفه بالشاحن ووضعه على المنضدة التي تبعد عنه خمسة أمتار تقريبًا، وعاد خاضعًا خاشعًا إلى الأريكة مرة أخرى، يملك زياد التصالح النفسي الذي يجعله مُعترِفًا أنه صار شخصًا آخر، يعيش سنًا ليس سنه.. ربما، انتابته مراهقة متأخرة؟ ربما.. صار مُتصابيًا؟ ربما!! لكنه على أية حال، مستمتع بحالة السلام النفسي تلك التي يعيشها، رغم كرهه لهذا الشخص الذي أصبح عليه الآن، والذي يختلف مائة وثمانين درجة عن ضابط المباحث زياد ضرغام.. فشتان الفارق بين هذا وذاك..

أحس أن ثلثي كسل وخمول العالم يرقد ويركد داخل جسده في تلك اللحظة، شعر حينها أنه يحتاج بعض النيكوتين، فالتقط علبة سجائره وأشعل واحدة وأخذ ينظر متأسيًا إلى صور أطفاله مرة أخرى، يتذكر صوتهم، أدق تفاصيلهم وحركاتهم وتحركاتهم. كان ذلك في نفس الوقت الذي رنَّ فيه هاتفه فلم يلتفت إليه وأخذ يستكمل استرجاع باقي ذكرياته مع أطفاله، شريط سينمائيّ يمر أمام عينيه فيه كل لحظة دارت بينه وبينهما، رنَّ الهاتف مرة أخرى فزم شفتيه ونهض بصعوبة ليلتقط الهاتف فوجد أن المتصل لمياء أبو العزم، زوجته، أو بالأحرى التي ما زالت زوجته.. فكر في أن يجيب عليها لكنه يعرف مسبقًا الحوار الذي سيدور بينهما فرفض استقبال المكالمة ووضع الهاتف في مكانه مرة أخرى، اتصلت مرة ثالثة، مما جعله يرد عليها مُضطرًا.

- ألو... نعم يا لميا؟ عاوزة إيه؟

- هو لازم كل ما أتصل ترد بعد خمسين مرة؟... المهم ما علينا، للمرة المليون يا زياد بتصل بيك عشان أنصحك ننهي الموضوع بالحسنى ومن غير أي خناق..

يعرف جيدًا ما ستقوله بالحرف، فقد سمعه مرات عديدة.. وضع الهاتف على المنضدة وذهب إلى الثلاجة ملتقطًا زجاجة مياة باردة وعاد مرة أخرى إلى الهاتف ووضعه على أذنه وما زالت لمياء تتحدث..

- ... وبالتراضي، بدال ما نضحّك الناس علينا ونخليهم يشمتوا فينا أكتر من كدة... كفاية اللي حصل، وانت عارف كويس إني صبرت عليك قد إيه، لكن مش هقدر أصبر أكتر من كدة.. وفي نفس الوقت مش عاوزة ألجأ للمحاكم والخلع والكلام ده حفاظًا على شكلك أدام الناس والأهم أدام نفسك. كفاية الخسارة اللي أنت خسرتها، واللي أنا كمان خسرتها. واللي يعتبر أضعاف اللي أنت خسرته.

قاطعها وهو يمدد جسده على الأريكة ويدلك عينيه: اسمعي يا لمياء، تعالي نقعد مع بعض ونشوف إيه الخيارات المتاحة أدامنا، وأنا بأكدلك إننا نملك خيارات تانية غير الطلاق، انتي عارفةكويس أنا بحبك قد إيه، ومقدرش أستغنى عنك بالسهولة دي، أنا تايه ومشتت يا لميا، وزي ما قلتي أنا خسرت كتير، مش هقدر أستحمل خسارتك.

- زياد؟! -أطلقت ضحكة ساخرة أردفت- زيااااد ضرغام مشتت وتايه؟! زياد أرجوك.. أنا متأكدة إن مفيش أي خيارات أدامنا غير الطلاق.

صمت لثوان محاولاً البحث عن أي كلام يقوله لها علَّها تقتنع: يا حبيبتي تعالي بس نتكلم للمرة الأخيرة، ولو لقينا خلاص إننا أدام حيطة سد ومفيش أي خيارات أوعدك إني هطلقك.. أنا في البيت مستنيكي.

- بيت إيه؟! لأ طبعًا.. هنتقابل على الساعة تسعة بالليل.. وفي مكان عام.

نهض قائلاً بانفعال: ليه إن شاء الله؟! هو انتي متحرمة عليا وأنا معرفش؟ تعالي يا لميا متخافيش هنتكلم بس.. ماتقلقيش.. قالها بلهجة بها بعض رجاء، سكتت برهة وأجابته موافقة شريطة أن يحضر معها أخوها، وليد أبو العزم. فأجابها متأففًا:

- مممممم أخوكي!! تمام مفيش مشكلة.. هستناكم، رغم إني مش طايق أبص في وشه لكن مفيش مانع..

أغلق المكالمة فشعر بعدها بصداعٍ شديد قد هاجم رأسه.. لمح أمامه على المنضدة زجاجة شيفاز مملوءة حتى ثلثها تقريبًا، أحضر من الثلاجة بعض قطع الثلج وضعها في كوب وصب عليها كل ما في الزجاجة وجرعه دفعة واحدة مع قطعة جبنة رومي لا يعرف من أين أتت، ثم رجع بظهره مستندًا إلى الكنبة شارعًا ذراعيه على امتدادهما وظل يتطلَّع إلى السقف. شرد يفكر في حياته تلك التي أوشكت على الانتهاء، أو هكذا ما أحس به. راقب مفعول الخمر وهو يسري داخل معدته، أحس بعدها بعقله وهو يذهب تدريجيًا ليرتفع به إلى الأعلى حتى شعر أنه محلق في سقف الغرفة ويرى نفسه على الأريكة، ينظر إلى الأعلى بعينين مرتخيتين حمراوين، مُستمتعًا بحياته التي تضيع أمامه، أو متألمًا.. لا فارق.. فالاثنان سواء، ليس هناك فارق بين الاستمتاع والتألم حين يعيش الإنسان مسلوب الإرادة، فاقدًا لأي حماس، لأي دافع يحفزه على استكمال حياته، حين لا يملك الإنسان أي خيار.. ظل يراقب نفسه من الأعلى، وينظر إلى تقاسيم وجهه المتصلبة حتى أغلق عينيه ببطء.. وغاب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعدما انتهت شيرين من اجتماعها مع المستشار المالي، جلست لمدة خمس دقائق مع كريم لتخبره بما سيفعله:

- حبيبي، زي ما قلتلك في الاجتماع، هتحول لحساب كل واحد في فريق العمل النسبة اللي قلتهالك، حار ونار في جتتهم ولاد الجشعة..

- ماشي يا حبيبتي... بس فكري في توقيت العرض كويس مش عاوزين نغلط نفس الغلطة اللي فاتت.

أومأت له برأسها وهي تنظر إلى ساعة يدها فنهضت مُتعجِلة: أنا همشي دلوقت يا روحي–احتضنته من الخلف وقبلته في رقبته وهي تكمل- هروح لجمعية خيرية أديهم شوية حاجات، بعدها هروح المستشفى هعمل شوية فحوصات وهرجع بسرعة. هتوحشني لحد ما أرجعلك بليل على البيت.. استدار لها وأمسك يدها وقبلها قائلاً: ماتتأخريش، ولو احتاجتي أي حاجة اتصلي بيا على طول...

غادرت شيرين الشركة، وما إن خرجت من الباب حتى رآها سائقها الخاص الذي كان يجلس مع حارس العقار ممسكًا بكوب شاي تركه في نصفه و انتفض من مكانه ليفتح لها السيارة لتركب قائلة له...: - الشيخ زايد.

لم تمر نصف ساعة حتى وصلت إلى فيللا ١٢٨ كومباوند الياسمين بالشيخ زايد، طلبت من السائق أن ينتظرها في الخارج كإجراء احتياطي حتى لا يعرف لمن ستذهب، نزلت أمام بوابة الأمن وأخبرتهم أنها ذاهبة إلى فيلا شريف سند، والذي ينتظرها بشغف وقد احتسى أكثر من خمسة كئوس شمبانيا في انتظارها، وما إن أبلغه فرد الأمن بمجيئها حتى هرع إلى بوابة الفيللا واستقبلها قبل أن تدخل بحضنٍ يترجم اشتياقه لها.

ألقت بحقيبة يدها على الأريكة وصاحت فيه منفعلة: شريف.. مش كل يومين تلاتة تتصل بيا خمسين اتصال عشان تطلب مني نتقابل، أنا دلوقت متجوزة وكريم بيحاول بقدر الإمكان ميبينش إنه بيغير عليا، لكن أنا مش حابة أخونه..

اقترب منها ليحتضنها من الخلف قائلاً: فين الخيانة دي يا روح قلبي؟! انتي مسمية حبي واشتياقي ليكي خيانة؟! يا نهار أمك أسود..!!

استدارت مبتعدة عنه: مقابلتي ليك هي الخيانة بعينها يا شريف، إحنا هنستهبل؟! شريف أرجوك، أرجوك حاول نقلل مقابلاتنا شوية، وياريت نمنعها نهائي، متنساش كمان إني مشغولة الأيام دي وهنشغل أكتر لما نبدأ تصوير المسلسلات ونبدأ الدعاية وبلاوي زرقا...

اقترب منها مرة أخرى مُحاوِلاً تهدئتها: خلاص اهدي... متزعليش... نتكلم في الموضوع ده بعدين..

حملها صاعدًا بها إلى الطابق العلوي وظل يُقبّلها فوقعت عيناها على أجهزة رياضية موضوعة في غرفة بجوار غرفة النوم، فوضعت يديها على كتفيه كي ينزلها ووقفت على باب الغرفة قائلة باندهاش: أوووووه.. إيه الجمال ده كله؟ انت هتعمل الأوضة دي جاكوزي وجيم وكدة وللا إيه؟!

- آه... الأجهزة دي جاية من أمريكا واتصادرت في الجمارك، واحد حبيبي هناك خلصهالي بسعر حلو، أقل من نص تمنها الحقيقي.. تمن الأجهزة دي مايجيش نص اللي بدفعه في جولد جيم في سنة.

- أيوة منا عارفة، كريم صارف نص فلوسه في الجيم.. بس بيروح جيم تاني في التجمع.

شعر حينها بالغيرة: لا يا روح أمك... طول ما أنتي معايا متجبيش سيرة أي رجل تاني.. حتى لو جوزك. قالها منفعلاً ، فردت عليه بنفس نبرته:

- لا بقولك إيه يا شريف، لو عاوز تقلبها ليلة نكد عرفني من أولها عشان أمشي..!

أغمض عينيه لثوانٍ محاولاً تهدئة نفسه ثم استكمل كلامه وكأن شيئًا لم يكن: اللي مفرحني أكتر غرفة الساونا اللي عملتها هناك دي، والجاكوزي جنبها... مش عاوزة تجربيهم؟

قالها وهو يغمز لها وطلب منها أن تغمض، ففعلت. أمسك يدها ودخل بها حتى وقفا في منتصف الغرفة المجهزة بنظام إضاءة بثلاثة مستويات؛ عالٍ ومتوسط ومنخفض، وفي أقصى اليسار غرفة ساونا خشبية وبجوارها جاكوزي إيطالي. طلب منها أن تفتح عينيها، ففعلت ما طلبه وفغرت فاها حين رأت الإضاءة الرائعة والجو الدافيء في الغرفة، لم تشعر بنفسها إلا حين خلع عنها نصف ملابسها وهمس في أذنيها: عندي حاجات كتير عاوز أقولهالك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الساعة ٠٩:٣٤ مساء.

يقف طفلان عند باب الغرفة، أحدهما ممسكًا بدمية، والآخر ممسكًا بسكينٍ حاد وهو يبكي قائلاً «ليه مخدتش تارنا لحد دلوقت يا بابا.. ليه؟!» تزعزت أحشاؤه حينها واختلج غمًا وهمًا، رأى زوجته تمر من بينهما بوجهٍ عابس، وكان يبدو عليها أنها كانت تبكي منذ قليل، الكحل منصهر تحت عينيها وشعرها مشعث، مرتدية قميص نوم أسود اللون قصيرًا، مثيرًا. لكنه مُمزَّق، ظلَّت واقفة، مُتصلِّبة، تنظر إليه بعينين ساهمتين تائهتين، وكان يبادلها نفس النظرة لكن بعينين دامعتين مغرورقتين، مدَّ إليها يدًا مرتعشة، مُتوسِلاً دون أي كلام، يتحدث إليها فقط بعينيه الزائغتين، طالبًا منها أن تقترب منه وتعانقه بقوة، فامتثلت له ودنت منه، كان يراها بوجهٍ يحمل تعبيرات انتقام تارة، وشفقة ممزوجة بحزنٍ تارة أخرى، اقتربت منه وعانقت جسده المرتجف، عِناقًا فجَّر براكين الحب الكامنة بداخله فألهب قلبه الوله المشتاق إليها، استند برأسه على صدرها حتى هدأت ارتجافة بدنه قليلاً، بينما لم يزل طفلاهما واقفين على مقربةٍ منهما يبكيان، بل يصرخان. في نفس اللحظة التي دخل فيها رجل أشيب يبدو عليه التعب مُتأبطًا امرأة جفول مُنهكة؛ يغطيهما الغبار وقد بدا عليهما أنهما غاضبين. أمعن النظر فيهما حتى أدرك أنهما والداه، ابتعد عن حضن زوجته وصُرَّ ما بين حاجبيه وهو يسألهما مُندهشًا عن هذا الغبار الذي يغطيهما، فأجابه والده مُستنكِرًا «انت بجد مش عارف إيه الغبار اللي مغطينا ده يا ولد؟!» أطرق رأسه في حزنٍ بالغ وهو يجيبه «أيوة يا بابا عارف، الله يرحمك يا حبيبي، الله يرحمك يا بابا، وحشتني أوي» سكت للحظات قبل أن ينهار في البكاء وهو ينظر إلى أمه قائلاً لها «وحشتيني أوي يا أمي، وحشتيني أوي ونفسي أشوفك ولو مرة واحدة، عاوز أرمي نفسي جوة حضنك وأبكي.. أبكي أوي زي ما كنت بعمل وأنا صغير، أنا تعبان يا أمي، ابنك تعبان يا حبيبتي، ابنك شاف اللي محدش يقدر يشوفه، ابنك اتحمل اللي مفيش أي حد في الدنيا يقدر يتحمله يا أمي» اقتربت منه والدته فابتعدت زوجته قليلاً عائدة إلى الخلف بظهرها. نظر إلى زوجته وهي تبتعد بعينين مُتلهفتين، في حين أمسكت والدته يده وسألته: «إيه اللي عملته ده يا زياد؟ انت اتجننت؟ اللي انت عملته ده غلط يابني» جحظت عيناه من هول المفاجأة، سأل نفسه كيف عرفت بالأمر.. في نفس الوقت الذي دخلت فيه تلك الخادمة وهي ممسكة بابنها ذي العامين. مرت حينها قطة بيضاء اللون من بين قدميها. جال بنظره في الغرفة التي امتلأت بهم قبل أن يتبادلا النظر هو والخادمة لنصف دقيقة تقريبًا قبل أن تصرخ في وجهه صرخة عالية كادت تخترق طبلة أذنيه.. في نفس الوقت الذي رنَّ فيه هاتفه فاستيقظ صارخًا مفزوعًا وكاد قلبه يخرج من بين صدره من قوة

النبض، وبالكاد استطاع التقاط أنفاسه وهو يمسك الهاتف الذي ظهر على شاشته «مراتي حبيبتي».

- ألو...

- هو انت لازم كل مرة ترد بعد ما اتصل تلات أربع مرات؟؟!

نهض من الأريكة وجلس على حافتها وهو يدلك عينيه: معلش يا لميا، كنت نايم وجالي كابوس ابن كلب، كنت بحلم بولادنا و...

قاطعته غير مكترثة بما يقول: مش عاوزة أعرف كنت بتحلم بإيه، أو مش مهتمة أعرف. المهم أنا دلوقت في الطريق أنا ووليد أخويا.

- تآنسوا وتنوروا يا روح أمك.

قالها وأغلق المكالمة ثم شرد قليلاً، محاولاً تذكر ما رآه في الحلم لكنه فشل في تذكر أي شيء، دخل الحمام وفتح صنبور المياه ليملأ البانيو، نظر بعدها في المرآة ليتأمل وجهه الذي بدأت تظهر فيه التجاعيد، والشعر الأبيض الذي غزا فوديه، حاول مجددًا تذكر الحلم لكنه فشل مرة أخرى، نظر إلى البانيو فوجده لم يُملأ بعد، فقرر أن يُعد فنجان قهوة إلى أن يمتلئ البانيو.

أخذ قهوته وسجائره ووضعهما على رفٍ بجوار البانيو، غمر جسده في الماء لنصف دقيقة تقريبًا قبل أن يرن هاتفه في الخارج، خرج من الحمام مُسرعًا ظنًا منه أن المتصل لمياء، لكن لم تكن هي، بل صديق عمره وزميل دفعته؛ شريف سند، أجابه زياد من خلال السماعة الخارجية:

«شيكو... استناني نص دقيقة متقفلش...» عاد إلى الحمام مرة أخرى مُلتقطًا قهوته وعلبة سجائره قبل أن يرتدي بشكيره المعلق على باب الحمام وجفف رأسه ليستطيع التحدث في الهاتف: عامل إيه يا شريف... واحشني والله.

- وانت كمان واحشني... أنت فين يابني؟

- أنا هنا أهو في البيت، كنت بلبس البشكير و...

قاطعه ضاحكًا: هاهاها لالالا أقصد عامل إيه؟ إيه أخبارك؟ إيه جديدك في الحياة؟ من ساعة آخر مرة اتكلمت معاك فيها أنا واللوا عماد نور الدين في موضوع رجوعك وقلتلنا إنك هتفكر وهترد علينا، ومن ساعتها ماسمعناش عنك حاجة..

أخرج سيجارة من علبته ووضعها في فمه باحثًا عن ولاعته فلم يجدها: ورحمة أمي يا شريف أنا ما زلت مش عارف أقرر، مش حاسس إني عاوز

أرجع، زياد ضرغام بتاع زمان خلاص مابقاش موجود، اتبخر يا شريف، انكسر. مبقاش هو...

- يا حبيبي الموضوع ده مرّ عليه سنة ونص أهو، حرام عليك تسيب نفسك كدة يا زياد، انت كدة بتظلم نفسك، لازم تعدي المحنة ده يا حبيبي، ومش هيخرجك منها غير رجوعك، هتلاقي نفسك ساعتها رجعت لزياد ضرغام بتاع زمان تدريجيًا، وهتستعيد حياتك واحدة واحدة...

- حياتي؟! ضاعت خلاص يا شريف –دخل الحمام بحثًا عن ولاعته وأشعل السيجارة- حياتي اتدمرت، وأنا ذات نفسي اتدمرت بين الاكتئاب والشرب والفيسبوك والنسوان...

- متفكرنيش بالنسوان -استكمل كلامه بنبرة منخفضة- المنتجة دي اللي قلتلك عليها، مجنناني الله يخرب بيت أبوها، خلتني أكره كل الحريم، جامدة جدًا... مفيهاش عيب. أنا بكلمك وهي جوة في الحمام بتاخد دش أهو.

- هههههه ماشي يا دنجوان، هنيالك.. سمع في تلك الأثناء صوت حديد يرتطم ببعضه البعض، فسأله مستفسرًا بتهكم: إيه الصوت اللي عندك دة؟ انت أجرت أوضة في فيلتك لورشة حدادة وللا إيه؟

- هههه لالالا يا معلم، أنا بعدل الدنابل بحطهم مكانهم... هو أنا ماقلتلكش إني عملت أوضة جيم وكمال أجسام وجاكوزي وكدة؟

- لأ ماقلتليش... بقولك إيه، أنا هقفل معاك دلوقت لأني مستني ضيوف وعاوز ألبس هدومي، هنتكلم بعدين.

- مين اعترف... واحدة جديدة شقطتها وللا إيه؟ سأله ضاحكًا.

- لالالا يا عم، دي مراتي، مع أخوها ابن السئيلة، هنتكلم في حوار رجوعنا وكدة، ربنا يكرم وتوافق.

- آه صحيح بالمناسبة، وليد أبو العزم إترقى من شهر ونص... أنا قلت أقولك عشان متتفاجئش لما يقولك.

- ولا يهمني... ولا يشغلني أصلا...

- تمام يا حبيبي، خلي بالك من نفسك، ومتنساش موضوع رجوعك الله يكرمك يا شيخ، اسمع مني، رجوعك هيخليك تستعيد نفسك صدقني، هتستعيد زياد ضرغام اللي كان بيرعب الخلق.

قاطعه وهو يطفئ السيجارة في المطفأة: ماتتعبش نفسك، الموضوع تقيل على قلبي مش هقدر.

- هنشوف يا زوز... وراك لحد ما ترجع، محدش هيرجعك غيري وحياة أمك.

- ربك يكرم.. أسيبك دلوقت، اتمرن كويس عاوز أشوف أرنولد كمان شهرين.

أغلق المكالمة ثم دخل غرفة النوم ليرتدي ملابسه قبل أن ترن لمياء جرس الباب، فهرع إليه وفتح لهما. شعر بقلبه يكاد ينخلع من مكانه حين رآها والتقت عيناه بعينيها، بلغ وجيب قلبه أعلى درجاته حينها، لم يكن يعرف أن بُعدها عنه سوف يفعل فيه كل ذلك، لم يكن يعرف أن مكانها الذي أصبح فارغًا الآن لا تستطيع أي امرأة في العالم أن تشغله، لم يكن يعرف أنه كان يملك ويمتلك الجنة ونعيمها. افتقدها كثيرًا في تلك الفترة التي عاشها بدونها، والآن أدرك أن هذا البيت أصبح قبرًا مُوحشًا لأنه أصبح خاليًا منها، ومن أنفاسها!

صافحها، هربت بعينيها وسحبت يدها سريعًا، دخلت ودخل وراءها أخوها الذي صافح زياد بوجه خالٍ من أي تعبير، حين دخلت لمياء وجلست في غرفة المعيشة وقعت عيناها على الصور المعلقة على الجدار، اقتربت من صور طفليها ولمستها بأطراف أناملها وظلت تنظر إليهما بابتسامة منكسرة وعينين مغرورقتين، بينما جلس أخوها على الأريكة ثم أشعل سيجارة، سألهما زياد ماذا يقدم لهما لكنهما رفضا شرب أي شيء، فجلس قبالتهما، سادت بينهم لحظات من الصمت قبل يبارك لأخيها على الترقية.

- مبروك يا وليد، سمعت إنك اترقيت.

- الله يبارك فيك يا زياد بيه.. وأنا سمعت إنك على وشك الرفد نهائيًا من الوزارة.

- الموضوع ده يهمك كتير؟

- لا خالص ولا يهمني –وقعت عيناه على حمالة صدر ملقاة على الأرض فالتقطها بأطراف أصابعه ليضعها على المنضدة ثم استطرد- دي حياتك وأنت أدرى بيها، مش موضوعي. المهم دلوقت عاوزين ربنا يكرمنا ونخلص موضوع الطلاق ده على خير.

- إنت عارف كويس إني بحب أختك -نهض من مكانه مقتربًا منها قائلاً بقلبٍ مُفعَم بالأسى والحزن– بصي لي يا لميا، بصي، أنا زياد، زياد ضرغام جوزك -ضرب على صدره بقوة- زياد يا لمياء، حبك وحبيبك وكل حاجة في حياتك.

نهضت قائلة له بنبرة أعلى: كنت... كنت في يوم من الأيام كل حاجة في حياتي يا زياد، لحد ما خسرتها وخسرت كل شيء أولهم ولادنا، تانيهم أنا.. انت متعرفش أنا شفت إيه أو حسيت بإيه في اليوم الأسود ده.. أنا.. أنا..

انهارت في البكاء فجأة، فضمها أخوها في حضنه وأخذ يربت على ظهرها مواسيًا، وهو ينظر إلى زياد نظرة مختلطة ما بين عتاب واشمئزاز. ابتعدت عن حضن أخيها وأزاحت يده عنها وهي تنظر إلى زياد مردفة: أنا جربت الموت في اليوم ده يا زياد وشفته بعينيا، قلعوني لبسي وجسم رجل غريب غيرك لمس جسمي –قالتها صارخة وانهارت مرة أخرى في البكاء... أطرق زياد خجلاً وحزنًا لثوانٍ حتى استكملت كلامها بنبرةٍ أهدأ وهي تمسح دموعها– اغتصبوني قدامك يا زياد.

- وهو أنا عملت إيه؟ هة؟ ما تردي. هو أنا كنت واقف بتفرج وللا قاومت وضربت وحاولت أنقذكم؟

مسحت دموعها قائلة بنبرةٍ متهدجة: ومين اللي كان السبب في كل ده من البداية؟ جاوبني دلوقت قدام وليد، كم مرة حذرتك من التعامل مع الأشكال دي؟ كم مرة حذرتك ماتلعبش معاهم... دي عالم سكتهم سودة وآخرتها وحشة.

استطرد أخوها مُستكملاً: وأنا.. كم مرة حذرتك أنا كمان من شوقي ومنصور النمر؟ انت كنت فاكر إيه يا شاطر؟ هتسرق منهم جزء من الحرز وهتسجن أخوه وهتتساب عادي كدة والموضوع يعدي؟

رد عليهم منفعلاً: أنا ماسرقتش حاجة... ماسرقتش حاجة يا جدعان..

نهض وليد من مكانه ليرد عليه بنبرة أعلى: - لا... سرقت... ومش هتعرف تكدب علينا زي ما عملت في الوزارة.. وعلى فكرة يعني مش كلهم مصدقينك... كل الموضوع بس إنهم مش عارفين يمسكوا حاجة عليك، وقبضك على أخو منصور النمر غطا على الموضوع.

قاطعت لمياء أخاها وبالكاد تلتقط أنفاسها: والنبي يا وليد احنا مش في موقف عتاب أو لوم دلوقت. ووجهت كلامها لزياد:

- زياد.. أرجوك.. خلينا ننهي الموضوع ده براحة، انت متخيل أنا بموت كام مرة لما بشوف وشك وأفتكر فيه ولادي واللي حصل!

نهض من مكانه وأمسكها من ذراعها: ماتزايديش عليا يا لميا، انتي متعرفيش أنا بشوف إيه وبعاني إزاي! حتى وأنا نايم، لكن ورحمة أبويا وأمي وولادي ما هسيبه وهاخد بتار الولاد.

أمسك وليد يده وأبعدها عن أخته: ماتمسكهاش كدة وابعد إيدك عنها –ثم سأله متهكمًا– وبعدين تنتقم من مين؟! وبعد إيه؟ بعدما هرب وسافر؟

- حطيت اسمه في قوائم ترقب الوصول، ومن ساعتها وأنا مستني بس أشم ريحته. وعمري ما هعرف أعيش مرتاح غير بعد ما أنتقم.

- ده بجد؟! –قالتها لمياء ساخرة وهي تنحني على المنضدة ممسكة بزجاجة الخمر وحمالة الصدر تلوح بهما أمام عينيه– واضح فعلاً أنك مترقب وصوله، بعد إذنك يا زياد، ياريت نتقابل قريب عند المأذون ونخلص من الموضوع ده. هستنى منك مكالمة، اتصل بيا على تليفون أخويا.

أطرق رأسه في صمت بعد أن نضب، وقد شعر بأن لا فائدة من أي كلام، وأي حرف سينطق به سيكون سخافة منه. نهض وليد فنهضت لمياء بعد أن ألقت بما في يدها على الأرض.. ورحلا دون أي كلمة. ظل جالسًا مكانه ينعي حظه العاثر، وقد شعر أن نصف جسده الأيسر مخدر تمامًا، وإن حاول النهوض فلن يستطيع.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جزء من أحد المقالات بجريدة المُعارض

..وحين تسير بسيارتك في بعض الطرق السريعة التي تربط بين المحافظات، سوف ترى بعض الحواجز الإسمنتية المتراصة على الجانبين مكتوبًا عليها بخطٍ رديء رقم هاتف محمول وبجواره جملة «إنقاذ سيارات» أو «ميكانيكي سيارات»... وكثير من المسافرين يحتفظ بهذا الرقم احتياطيًا كي يستعين به إذا دعت الحاجة لذلك، أو إذا تعطل في الطريق.. وإن حدث ذلك واتصل بالرقم سيرد عليه من يطلب منه تحديد مكانه بالضبط كي يأتي له بعد ساعة على أكثر تقدير، دون أن يعلم صاحب السيارة أنه سيتعرض للسرقة، ليس فقط سرقة السيارة، ولكن أيضًا سرقته هو شخصيًا؛ سرقة أعضائه، هو ومن معه!

وبالطبع هناك أطباء سنتظرون وصولهم كل يوم بأشخاص جدد..

على صعيدٍ آخر... بعضهم يسير بسياراتهم على الجانب الأيمن من الطريق مثل الطريق الدائري، فيصدم أحدهم بشكل عشوائي، فيتجمع حوله الناس ليجبروا صاحب السيارة أن يأخذ الشخص المصاب كي يذهب به إلى أقرب مستشفى، فيمتثل صاحب السيارة لهم ويأخذ الشخص المصاب في سيارته، سواء كان وحيدًا أو معه آخرون أو حتى أصر أحد المارة على أن يرافق هذا الشخص المصاب ليأتي معهما ليطمئن أن صاحب السيارة ذهب به بالفعل إلى المستشفى، وسيذهبون بالفعل، دون أن يعلموا –سواء المصاب أو من معه أو من أصر على مرافقته- أنهم ليس إلا قطع غيار بشرية، فيتم تخديرهم بأي طريقةٍ كانت، وعمل فحوصات شاملة ثم يتم نزع أعضائهم البشرية تمهيدًا لبيعها أو تصديرها مرفقة بالتقارير الحيوية لصاحبها.

في نفس الوقت الذي يتسكع أحدهم في أحد شوارع وسط البلد أو جامعة الدول العربية أو شارع الهرم ليستدرج أي فتاة ليل تعرض عليه جسدها مقابل مبلغ من المال، فيوافق الرجل دون أن يجادلها ويصطحبها معه إلى شقته ويضاجعها قبل أن يخدرها، وتُنزع كل أعضائها البشرية تمهيدًا لبيعها بمائة ضعف السعر الذي كانت تعرض من أجله جسدها...

في نفس الوقت الذي يؤجر أحدهم شقة مفروشة في إحدى المناطق الجديدة، ببطاقة مزورة، يطلب أكلاً من أحد المطاعم، فيوصله له عامل التوصيل، يقف بدراجته البخارية أمام المنزل ويصعد تاركًا إياها في الشارع، يتم استدراجه داخل المنزل، ويرش عليه مادة تجعله يفقد الوعي في خلال ثوان، يأخذ أي شخص منهم مفاتيح دراجة عامل التوصيل ويرتدي ملابسه وخوذته ليداري بها وجهه، فينزل ويأخذ الدراجة يتصرف فيها كيفما يشاء ويعود في الليل بدونها وبدون ملابس عامل التوصيل، الذي تم تفكيكه

كذبيحة وأخذ منه كل ما يلزم لبيعه. في غرفة تم تجهيزها مسبقًا.. يحاولون فعل ذلك مرتين أو ثلاث مرات في اليوم، لمدة يومين أو ثلاثة أيام على أكثر تقدير، بعدها يتركون الشقة بعدما يزيلون منها أي أدلة تدينهم، ويؤجرون شقة أخرى ببطاقة مزورة جديدة يفعلون فيها نفس ما فعلوه في الشقة السابقة، ملايين تلو ملايين، تجارة مزدهرة تعمل داخل مصر على قدم وساق. لا تقل في ربحها عن تجارة الآثار.. والمخدرات والسلاح.

والكثير...

الكثير!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

صباح اليوم التالي...

لم يكن يعلم أن في هذا اليوم سيبدأ الطوفان..

وقف أمام المرآة ينظر إلى نفسه بعينين شاخصتين، شاردتين. سأل حينها نفسه أصعب أسئلة يمكن أن يواجه نفسه بها.. وبعدين؟! هفضل كدة لحد إمتى؟! عملت إيه أنا عشان انتقم لولادي؟! هاخد بتارهم إزاي؟! هعمل إيه بالظبط؟.. كل تلك الأسئلة ظلت تجول في عقله إلى أن خرج إلى غرفة المعيشة ووقف أمام صور أولاده قائلاً بصوتٍ عالٍ..

- ماتقلقوش يا حبايبي... من النهاردة.. من دلوقت. هبدأ أفوق وأدور على منصور النمر.

نهض من مكانه وذهب إلى الحمام ليأخذ دُشًا ويجلس بعد ذلك ليتناول فطوره ويفكر كيف سيبدأ يومه، قرر حينها أن يذهب إلى مديرية أمن القاهرة ليعيد فحص أوراق قضية عائلة النمر جيدًا.. علّه يجد شيئًا جديدًا يوصله بمنصور النمر.

في نفس الوقت الذي رن فيه هاتفه فوجد أن المتصل اللواء عماد نور الدين، رئيسه في مديرية أمن القاهرة، أجابه فوجده يتحدث إليه بنبرة حازمة وحاسمة قائلاً: صاحبك اتقتل في فيلته يا زياد...

سأله متوترًا: صاحبي؟! صاحبي مين يا فندم؟!

- صاحبك شريف سند، جالنا بلاغ إنه اتقتل في فيلته في وضع غريب، لازم تيجي دلوقت.. إحنا هناك منتظرينك.

- مسافة السكة يا فندم.. قالها وأغلق المكالمة ليهرع إلى غرفة نومه ويرتدي ملابسه حتى سمع جرس الباب، فتمتم متأففًا في قرارة نفسه:

- مين اللي بيرن الجرس دلوقت دة؟ النهاردة الزبال أجازة، أكيد الوسخة اللي جنبي.. مش فاتح.

ارتدى في عجالة بنطلونًا ملقى على الكرسي وقميصًا معلقًا على الشماعة وما زال جرس الباب يرن، هرع إلى الباب ليفتح مقررًا توبيخ الذي بالخارج، أيًا كان من.. فتح الباب فوجد أمامه فتاة تبدو من شكلها أنها في منتصف العشرينات، تفحصها بعينيه في عجالة وهو يسألها بجفاء: انتي مين؟ أؤمريني.. عاوزة إيه!!

سألته بنبرة خافتة يشوبها خجل: حضرتك زياد ضرغام؟ فأجابها وهو يدخل قميصه داخل بنطاله:

- آيوه.. أنا.. انتي مين وعاوزة إيه؟!

- أنا مروة شعبان...

حاول تذكر هذا الاسم لكنه لم يشعر أنه سمعه من قبل، ومن المؤكد أنه لم يرها قبل هذا اليوم أو قضى معها ليلة، أعاد عليها نفس السؤال وهو يرتدي حذاءه:

- برضه مش عارف انتي مين وعاوزة إيه... قوليلي بسرعة واخلصي عشان ماعنديش وقت أضيعه...

- أنا بنتك...!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

رغم أن الكومباوند يتميز بالهدوء طوال اليوم، ولم يُسمع فيه أي صوتٍ عالٍ أو زحام أو تجمع لأي أشخاص، والحياة تسير بداخله في هدوء رتيب، وهذا أكثر ما يميز أي كومباوند سكنيّ، وهذا هو السبب الذي يجعل أي ثري يدفع عشرين أو ثلاثين أو حتى خمسين مليون جنيه في شراء فيللا هناك. إلا أن هذا اليوم لم يكن الكومباوند كذلك، انتشرت سيارات الشرطة في الأنحاء، وتجمع سكان الكومباوند أمام فيللا ١٢٨ يتهامسون ويتلامزون فيما بينهم حول جريمة القتل تلك، فمن الغريب حدوث ذلك هنا، نظرًا لعوامل الأمن والأمان في هذا الكومباوند والكومباوندات المماثلة.

لم يكن الحال داخل الفيللا أفضل من الخارج، فقد انتشر خبراء الأمن الجنائي في الأنحاء ليفحصوا كل شيء، أول شيء تفحصوه –كالمعتاد– هو مداخل ومخارج الفيللا، والأبواب التي لم يجدوا بها أي كسر دلالة على عدم وجود أي عنف في الدخول.

بينما كان رئيس المباحث واقفًا ينظر في ساعته كل خمس دقائق منتظرًا حضور زياد ضرغام، الذي وصل بسيارته أمام البوابة وأطلق أبواقًا كي يزيحوا الأقماع البرتقالية من أمامه ليدخل، فأزاحها أحد أفراد أمن الكومباوند بينما سأله الآخر عن اسمه فرد عليه زياد موبخًا:

- وكان فين الإجراءات دي لما دخل واحد قتل شريف سند يا ولاد الخاطية؟ افتح البوابة أنا مقدم مباحث زياد ضرغام.

لم يمهل فرد الأمن الذي ارتعش من هيبته وهيئته ونبرته ودخل بسيارته متجهًا يمينًا وسار مسافة خمسمائة وأربعين مترًا حتى وصل أمام الفيللا، نزل من سيارته فوجد أمامه أحد ضباط المباحث الذي كان مستندًا إلى سيارة شرطة مطأطئًا رأسه في حزن، صافحه وعانقه وهو يسأله بصوتٍ خافت عما حدث، فأجابه صديقه أن رجال البحث الجنائي بالداخلِ يفحصون

الفيللا بالكامل، وأن اللواء عماد نور الدين ينتظره بالأعلى، فاستأذنه وصعد مباشرة إلى الطابق العلوي، في طريقه للأعلى ألقى السلام على خبراء البحث الجنائي الذي رآه أحدهم ولم يعرفه فسأل زميله عنه، فأجابه:

- ده زياد ضرغام، واحد من أهم وأبرع ضباط المباحث في الداخلية، مفيش قضية مسكها إلا وفك لوغاريتماتها، مفيش جريمة تصعب عليه، ومسك عصابات كتير... انت معذور لأنك اشتغلت معانا قريب ومتعرفوش. دلوقت بقى للأسف مدمن مخدرات وكحول وسهر كل يوم، لكن لو مسك القضية دي أنا متأكد إنه هيجيب اللي عمل كدة في يومين تلاتة بالكتير. ده زياد ضرغام.. أفضل ضابط مباحث شفته في الداخلية. رغم إن الشغل معاه مش سهل... أنهى كلامه وألقى نظرة أخرى عليه وهو يصعد على السلم، فقال متأسيًا بصوتٍ خافت:

- يا خسارتك يا زياد بيه... خسارة كبيرة اللي وصلتله ده والله.

أول شخص قابله بالأعلى كان اللواء عماد نور الدين الذي صافحه وعانقه قائلاً له بصوتٍ مبحوح:

- أعز أصدقاء دفعتك اتقتل يا زياد...

- متقلقش يا سيادة اللوا.. أنا هتعامل، اعتبرني رجعت الشغل خلاص..

- تمام... ده خبر حلو، ودلوقت ادخل شوف الجثة ومسرح الجريمة... أنا عاوز القاتل النهاردة بالليل يا زياد. دي قضية كبيرة ومهمة، المقتول جوة ده مش شخص عادي، ده ظابط مباحث معانا، غير إنه صاحبك، والموضوع ده مش لازم يوصل للصحافة.

هز زياد رأسه استئذانًا ودخل الغرفة التي بها الجثة، بيد أنها تلك الغرفة التي أخبره عنها أنه أعدها لكمال الأجسام، وفي أقصى اليسار غرفة خشبية صغيرة عرف أنها الساونا، وبجوارها الجاكوزي الممتلئ بالمياه وكانت المضخات تعمل، بجوار الجاكوزي منضدة رخامية ارتفاعها متر ونصف تقريبًا وفوقها جثة شريف صديقه، ممددة، عارية.

- الجثة منزوعة القلب والعينين، وفي رصاصة في الجبهة... قالها متأسيًا أحد فريق الطب الشرعي الذي دخل وراءه. التفت إليه زياد وهز رأسه دلالة على أنه يدرك ذلك، أعاد بصره مرة أخرى إلى الجثة بعدما اقترب منها. رغم أنه معتاد على رؤية مثل هذه المناظر دون أيّ رد فعل منه، لكنه شعر حينها بغصة في حلقه، فهذه ليست أي جثة، إنما جثة شريف سند، صديقه الذي طالما وقف بجواره في مثل هذه الجرائم، والآن هو بطل المشهد، قطع تفكيره رئيسه الذي دخل مُتجهِمًا، سأله بنبرة جادة يكسوها الحزن:

- إيه يا زياد... شايف إيه؟

دون أن يلتفت إليه زياد اقترب من جبهة الجثة قائلاً: - الرصاصة دي اتضربت من مسدس كاتم للصوت... هز رأسه والتفت إلى اللواء عماد مُستطرِدًا: طريقة نزع العينين عشوائية، والكسر اللي في الضلع الشمال محكم بإتقان ومقطوع صح، نزع القلب برضه عشوائي، مش متقن، أعتقد إن الجاني استخدم منشار كهربائي... عمومًا هنعرف ده من التقرير، بس واضح إن الجاني داخل وهو عارف هدفه كويس، وعارف هو عاوز إيه..

- تجارة أعضاء تقصد؟

- ماعتقدش يا سيادة اللوا، أنا لو تاجر أعضاء مش هعرض نفسي للخطر وأدخل كومباوند فيه أفراد أمن حتى لو كانوا ديكور، وفيه كاميرات مراقبة، واقتحم فيللا عشان أقتل واحد وأسرق أعضاؤه، حتى لو النظرية دي صحيحة، هو هنا مسرقش أعضاء، طريقة نزعها مفيهاش أي احترافية، بص كدة سعادتك.. هتلاقي أجزاء من أطراف أوعية وأوردة القلب لسة موجودة... النزع تم بانتقام.

كان ذلك في نفس الوقت الذي دخل فيه دكتور حازم نجيب، خبير الطب الشرعي، والذي صافح زياد وعانقه:

- والله زمان يا زياد بيه، إيه الأخبار، وحشتني جدًا طول الفترة اللي فاتت ووحشني الشغل معاك...

- وأنا كمان يا زوما... معلش متزعلش مني مكنتش برد على أي مكالمات والله، انت أكيد هتعذرني...

قاطعه: عارف يا حبيبي... كان الله في عونك، أتمنى تكون قدرت تتخطى الموضوع ده، أنا عارف إنه صعب لكن أي حاجة مهما كانت كبيرة مش هتكون صعبة عليك...

رد عليه زياد بابتسامة بينما استأذنهما اللواء عماد، ارتدى حازم نجيب القفاز الطبي وبدأ يفحص الجثة فحصًا مبدئيًا.. لمح زياد بطرف عينيه يبحث في جيوبه عن شيء ما، سأله عما يبحث فأخبره أنه يريد دفترًا وقلمًا، أشار إلى مساعده الذي أحضر له ما طلبه في التو وأعطاه لزياد الذي جلس على كرسي بجوار غرفة الساونا، وأخذ يفكر في خيط يبدأ منه التحريات، سأل حازم عن البصمات، فأخبره أن فريقه رفع كل البصمات في الفيللا، وستظهر النتيجة في أقرب وقت، وسيخبره بها حينما تظهر، شرد قليلاً في آخر مكالمة كانت بينهما، فتذكر أنه تحدث عن امرأة كانت معه، نزل إلى

الطابق الأرضي وطلب من أحدهم أن يحضر أفراد الأمن بالبوابة الرئيسية. ثم سأل آخر: لقيتو الموبايل بتاعه؟

- أيوه يا زياد باشا، لقيناه فوق الكومودينو جنب سريره، وخدناه من ضمن الأحراز... اتفضل. أعطاه الكيس الشفاف الذي يحتوى على الهاتف، سأله زياد إن كان قد رفع البصمات التي عليه أم لا، فهز له رأسه بالإيجاب. ففتح زياد الكيس واستخرج منه الهاتف.

مفيش حد غيري هيرجعك الشغل تاني يا زياد

ترددت هذه الجملة في أذنيه، تذكر حينها صوت شريف حين قالها له في آخر مكالمة، هز رأسه متأسيًا وهو يزم شفتيه، متأملاً تلك الأحداث التي يرتبها القدر، ماذا لو علم شريف حينها أن كلامه هذا سوف يتحقق بالفعل وأنه سيكون السبب في عودته إلى العمل...

بعدما يُقتَل!

قطع تفكيره فردا الأمن اللذان دخلا الفيللا، ويبدو على وجهيهما التوتر والقلق، سأل أحدهما بلهجة حازمة:

- فين دفتر الحضور والانصراف يابني؟ ومين آخر شخص زار المجني عليه؟ عاوز أعرف أسامي كل اللي زاروه أو شفتوه معاه في الفترة الأخيرة.

أجابه أحدهما بينما كان الآخر ممسكًا بدفتر الحضور والانصراف:

- ماحدش جاله غير واحدة ست مش فاكر اسمها يا باشا، لكن مكتوب في الدفتر ثواني...

كان ذلك حين فتح زميله الدفتر يقلب صفحاته بارتباك إلى أن وصل إلى صفحة حضور وانصراف ذلك اليوم: - اسمها شيرين يا سعادة الباشا... شيرين القاضي.

سألهما إن كان قد حضر له أو معه شخص آخر غير تلك السيدة... فهزا رأسيهما بالنفي.

كتب في دفتره اسمها ورقم بطاقتها، وأشار لهما بالانصراف من مسرح الجريمة، فتح بعدها الهاتف وبدأ يتصفحه ويقلب فيه، ومن بين الأرقام الواردة وجد رقم شيرين، وقد اتصل بها قبل مقتله بيوم، أخذ رقم هاتفها ونقله في مفكرته وأعاد الهاتف مرة أخرى في الكيس البلاستيكي وأعطاه إلى فرد البحث الجنائي قبل أن يصعد مرة أخرى إلى الجثة التي انتهى باقي الفريق بقيادة حازم نجيب من فحصها المبدئي ولم يجدوا أي بصمات عليها

ووضعوها على نقالة بعد أن غطوها تمهيدًا لنقلها إلى المشرحة لفحصها في مصلحة الطب الشرعي بدقة أكبر.

ظل زياد يجول بناظريه في المكان لعشر دقائق، عله يجد أي دليل على أي شيء، قبل أن يجلس على نفس الكرسي الذي كان يجلس عليه منذ قليل، أخرج هاتفه من جيبه ليتصل بشيرين لكنه وجد هاتفها مغلقًا.

- طبعًا.. طبعًا هلاقيه مقفول يا وسخة –هز رأسه– كنت عارف... ماشي.

سرح قليلاً وشرد بخياله في تلك الأيام الخوالي التي قضاها مع شريف في معسكر التدريب، والتعاون بينهما في حل أحجيات جرائم القتل، ومواقف كثيرة جمعتهما معًا، ثم انتقل بخياله إلى تلك الفتاة التي رنّت عليه جرس الباب قبل أن يأتي إلى هنا، وبدون أي مقدمات تخبره أنها ابنته! قبل أن يوبخها ويدفعها جانبًا لتقع على السلم ويتركها ويرحل.

- أنا بنتك...!

نهض ووضع المفكرة في جيبه وركب سيارته ورحل، قاصدًا أحد البارات في الزمالك، جلس هناك لساعة ونصف الساعة قبل أن تتصل به إحدى صديقاته وتحدثا خمس دقائق اتفقا فيها أن تقابله في منزله بعد ساعة، احتسى باقي زجاجة عمر الخيام وذهب إلى البيت.

كان هناك في تمام الساعة الثامنة وأربعين دقيقة، بعدما فتح باب المصعد تفاجأ بأن جارته واقفة تربت على ظهر تلك الفتاة التي أخبرته أنها ابنته، كانت جالسة على درجات السلم تبكي، نظر إليهما مُندهشًا، وما إن رأته جارته حتى قالت له معاتبة بلطف:

- مش المفروض تخلي تليفونك مفتوح؟ ينفع كدة قريبتك تفضل قاعدة على السلم كل ده مستنياك؟ وعمالة أتحايل عليها تدخل عندي ومش راضية...

لم يرد عليها ونظر إلى مروة زامًا شفتيه لا يعرف ماذا يفعل، فأخرج من جيبه مفاتيح شقته وأشار لها بالدخول، فدخلت وعادت جارته إلى شقتها، وما إن أغلق الباب حتى أمسكها من ذراعها بقوة وصاح فيها منفعلاً:

- عاوزة مني إيه ع المسا؟! انتي عاوزة تقضي الليلادي في السجن يابت؟ انتي ماتعرفيش أنا مين يا روح أمك؟! أجابته بنبرة خائفة وكادت أن تبكي:

- عارفة.. عارفة كويس.. وزي ما قلتلك أنت أبويا.

- كدة بالبساطة دي؟! إزاي أبوكي يا بت؟ انتي فاكرة نفسك طفلة في بؤها بزازة؟ انتي بتشربي إيه يابت.. استروكس؟ انتي مش شايفة نفسك قد إيه؟

ده انتي طولي. اسمعي.. لو عاوزة قرشين قوليلي بشكل مباشر من غير حوارات الأفلام الهندي دي.

- ورحمة أمي أنا ما باخد أي حاجة، أنا بقولك الحقيقة. أنا بنتك... من فتحية.

- فتحية مين يا بنت المجنونة؟! بقولك إيه أنا مش هضيع وقتي في كلام فارغ أنا مش ناقصك –أخرج هاتفه من جيبه- أنا هتصل بالقسم أخليكي تباتي النهاردة في الاستيفة يا روح أمك بدال ما أرميكي من البلكونة وأرتكب فيكي جناية يا بنت الـ...

قطع كلامه فجأة وسرح قليلاً...

- ثواني كدة... انتي قلتي إيه؟ فتحية؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عام ١٩٨٩

كانت هدية عيد الميلاد من حسين ضرغام لزوجته التي تعبت في الآونة الأخيرة من كثرة أعباء المنزل، أن جلب لها سيدة ريفية ثلاثينية، كان قد رآها في ليلة ممطرة جالسة على الرصيف تحمل رضيعًا بين يديها، بلا مأوى، سألها أين تسكن وكيف تقتات، فأجابته أنها أتت من قرية صغيرة مع زوجها ليعملا في القاهرة، هربًا من الجوع والفقر في بلدهم. وأنها عملت لمدة شهرين كخادمة لدى أسرة لكنهم طردوها بعد أن أهانوها واتهموها بالسرقة. زمَّ الحاج حسين شفتيه متأسيًا فنهضت تلك السيدة وهي تبكي وتقسم له إنها لم تسرق، وكثيرًا ما وقعت عيناها على ذهب ومال ولم تمد يدها إليه قط، سألها أين زوجها فأخبرته أنه سافر ليبيا منذ سبعة أشهر ولم يعد حتى الآن، ولم يرسل إليها أي خطاب، ترجته باكية أن يجد لها أي عمل شريف تقتات منه، تذكر حينها أن زوجته لم تعد تستطيع تحمل أعباء المنزل بمفردها، خصوصًا أن مساحته كبيرة، فأخذها من يدها وذهب بها وبرضيعها إلى المنزل وأخبر زوجته أنها ستساعدها في شتى أمور المنزل، فرحت زوجته حينها وسألتها: ما اسمك؟! فأجابتها مطأطئة الرأس:

- فتحية... خدامتك فتحية يا ست هانم.

أخذتها من يدها وأعطتها غرفة صغيرة، وطلبت منها أن تعتبر نفسها منذ ذلك الحين واحدة من الأسرة، ليس مجرد خادمة بل واحدة من الأسرة التي ليس بها سوى ثلاثة أفراد؛ الحاج حسين وزوجته وابنه زياد... البالغ من العمر ستة عشر عامًا.

وفي أحد الأيام التي كان يعود فيها زياد من المدرسة فيجد أمه تغطّ في نومها بينما كان والده في العمل، وقعت عيناه على فتحية الجالسة في البيت على راحتها، مُرتدية جلبابًا قصيرًا مُتهدلاً وتنظف إحدى الغرف، كان مراهقًا حينها وبدأت عيناه تتفتحان على الجنس والتعرف على جسد المرأة، وبدأ يعي أن الحياة بها ما هو أمتع من اللعب في المنزل بالأتاري ذي الأذرع، كثيرًا ما كان يختلس النظر من وراء الباب عليها فيجدها تخلع ملابسها وتستبدلها، فتجحظ عيناه انبهارًا بجسدها المثير، وفي إحدى المرات استغل ذهاب والدته إلى أختها ولم يستيقظ ليذهب إلى المدرسة، منتظرًا فتحية أن تدخل عليه الغرفة لتوقظه. وما إن دخلت عليه حتى جذبها ناحيته وأخذ يطيل معها الكلام، في نفس الوقت الذي كانت يده تتحرش بها، رغم أنه كان حينها خائفًا جدًا من أن تصرخ أو تفضح أمره، لكنه حينها لم يجد منها سوى بعض التَمَنُّع الممزوج بغنجٍ يدل على رغبتها، لأنها أيضًا كانت في أمسّ الحاجة إلى أي لمسة يد راغبة فيها، حتى لو كانت تلك اليد لصبيٍّ مُراهِق لم يزل شاربه

على وجهه غير مكتمل، واستطاع الشيطان في النهاية أن يتسلل إليهما ويُجمِّل في عينيهما تلك العلاقة، وحدث ما حدث.. ليس مرة واحدة، بل مرات، ورغم صغر سنه على إقامة علاقة كهذه لكنها كانت تملي عليه ما يجب عليه فعله معها، حتى أصبح بعد عدة مرات لديه الخبرة في سد احتياجها...

نوعًا ما...!

إلى أن جاء اليوم الذي تغير فيه كل شيء، حين عاد زوجها من ليبيا بعد سفر طويل وبحث عنها في كل مكان حتى استطاع في النهاية إيجادها، كان هذا اليوم الذي اكتشفت فيه تأخر الدورة الشهرية. وتوقعت أنه على الأرجح أنها حملت...

من صبي في السادسة عشرة من عمره.

كان علمها بعودة زوجها هو القشة التي ستنجدها من الفضيحة، ورغم أنها لو لم تكن حاملاً كانت سترفض العودة إليه لأنها تشعر بالراحة في العمل في هذا المنزل، وأصبحت ترى الورقة فئة مئة جنيه، لكن الوضع الآن أجبرها على أن توافق على العودة معه إلى البلد، حاملة في بطنها سرًا لا يعلمه سوى الله.... وهي.

تاركة زياد، الذي أدمنها. وأخذ وقتًا طويلاً كي يستطيع الاستشفاء من إدمانها، وبالكاد استطاعت الأيام أن تنسيه جسدها الممتع المثير.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- هي دي كل الحكاية حضرتك.. قالت له مروة بعد أن أجلسها على كرسي في غرفة المعيشة.. أكملت كلامها:

- وبعد ما رجعت البلد مع جوزها، مات في حادثة بعدها بشهرين، وقع من سقالة في عمارة كان شغال فيها، كانت ساعتها حامل في الشهر الرابع، وولدتني بعد خمس شهور، كل الناس عارفين إني بنت شعبان البنا، لكن الحقيقة اللي خبتها جوة صدرها سنين طويلة هي إني بنتك انت... وماعترفتليش بالحقيقة دي غير من سنة واحدة، وهي بتموت.

- وليه قالتلك في الوقت ده بالذات؟ سألها زياد وقد اكتسى وجهه بمسحة حزن، فأجابته وهي تمسح عينيها من الدموع:

- عشان صعبت عليها، شايفاني كل يوم أنام على سريري والدموع في عيني، من ظلم الدنيا والناس ليا، والمتحرشين اللي ماليين حياتي، مافيش مكان أروحه أو أشتغل فيه غير لما ألاقي حد يحاول يضايقني أو يعرض عليا إنه يعمل لي أي حاجة مقابل جسمي، آخرهم الجراح الكلب اللي هددني

بالرفد من المستشفى اللي شغالة ممرضة فيها لو ماديتلوش اللي طلبه مني.

تفحص جسدها بعينين خاليتين من أي شهوة، مدركًا حقيقة ما تقول، فجسدها فعلا مثير، وتملك جمالاً صارخًا؛ شعرًا غجريًا كستنائي اللون وعينين خضراوين كعينيه.. أخذ يفكر بينه وبين نفسه في صحة ما تقول من عدمه، في قرارة نفسه لا يريد أن يُكذّبها، لكن في نفس الوقت يعرف جيدًا أنه ليس من الحكمة تصديقها بسهولة والاقتناع بكلامها هكذا بهذه السرعة..

قطع تفكيره جرس الباب، نظر إلى الساعة فوجدها التاسعة مساءً. تذكر أنه موعد تلك السيدة التي هاتفته حين كان في البار، فتح الثلاجة الممتلئة بزجاجات البيرة والخمور فوجد علبة عصير، قدمها لها:

- اشربي العصير دة... هرجعلك حالاً..

فتح زياد الباب واعتذر لصديقته عن استقبالها، مُتحجّجًا بحضور أقاربه فجأة دون ميعادٍ سابق، واتفق معها أن يعوضها عن تلك الليلة قريبًا، أغلق الباب في عجالة ليعود مرة أخرى إلى مروة التي ما زالت ممسكة بعلبة العصير دون أن ترتشف منه، جلس زياد قبالتها دون أن يتفوه بكلمة مكتفيًا بالنظر إليها فقط، أخذ يفكر في تلك المشكلة التي نزلت عليه فجأة من السماء دون أي ترتيب، علّق نظره عليها وهو يحك ذقنه بأصابعه يفكر:

- اسمعي يا مروة، أنا مش ضد قبولك كابنة، أنا مش الرجل اللي يهرب من بنته اللي ظهرتله فجأة من تحت الأرض، لكن أنا محتاج أتأكد إن كلامك ده صح. انتي عارفة الأول أنا مين؟!

- أيوة عارفة حضرتك كويس جدًا.. وسمعت عن اللي حصلك أنت وأسرتك من سنة ونص، قالتها وهي ترمق الصور المعلقة على الحائط، أطرق رأسه في حزن، فتنهدت متأسية وأردفت: آسفة، عارفة إنه شيء سخيف إني أفكرك بالكلام ده، وبدعيلك ليل نهار إن ربنا يعوض حضرتك خير إن شاء الله... ابتسم ابتسامة مُنكسِرة قائلاً لها بنبرة هادئة:

- أتمنى تكوني العوض ده يا مروة، أتمنى.. مع إن مفيش حاجة ممكن تعوضهم، المهم زي ما أنتي عارفة، أنا ضابط مباحث، وبحب كل حاجة آخد فيها بالأسباب، مش الأسباب بس، وبالأدلة كمان، بكرة هنروح لمختبر عشان نعمل تحليل DNA ونشوف النتيجة... ومن هنا لحد ما النتيجة تطلع انتي تقدري تباتي هنا لو حابة.

استأذنها ليدخل إحدى الغرف ليجهزها لها، في نفس الوقت الذي كانت فيه في الصالة تتطلّع إلى صور أولاده المُعلّقة على الجدار، لاحظت حينها أن

هنالك مكانًا فارغًا كانت به صورة بيد أنها نُزِعَت حديثًا، جالت بنظرها فوجدت بالفعل صورة زوجته مُلقاة على الأرض وقد تهشم الزجاج الذي كان يبروزها، فأدركت على الفور أن هناك مشكلات بينهما، انحنت لتلقطها وأخذت تتمعن في ملامحها، لا إراديًا شعرت بعدم الراحة نحوها، وهذا ما قالته له حين عاد ليخبرها أن غرفتها جاهزة، سألته مستنكرة كيف تخلت عنه في ظروفٍ كهذه؟! لم يجبها، ووجد أنها ستسأله أسئلة أخرى فكبح جماح فضولها، وقطع عليها أي محاولات للأسئلة:

- اسمعي يا مروة، أنا للأسف دماغي هتنفجر من الصداع، النهاردة يوم ما يعلم بيه إلا ربنا.

أطرقت رأسها في خجل: أنا آسفة. مكنتش أعرف إن وجودي هيسبب لك مشكلة كبيرة أوي كدة و..

قاطعها: لالالا... انتي فهمتيني غلط... أنا أقصد حاجة تانية..

سألته بفضول: إيه هو؟ ممكن أعرف؟! فقاطعها قائلاً بحزمٍ به بعض لين: مروة.. ادخلي نامي..

ما إن دخلت غرفتها وأغلقت على نفسها حتى أشعل سيجارة وانكبّ على زجاجة بيرة وفتحها ليشربها دفعة واحدة ولم ينزلها إلا وهي فارغة، دخل بعدها غرفته بعد أن أعتمها تمامًا، استلقى على سريره وأخذ يفكر في هذا اليوم الذي قلب حياته رأسًا على عقب، وهو يعلم جيدًا أنه سينام بعد قليل.. وسيرى نفس الكابوس الذي يأتيه أغلب الليالي.. وبرغم قساوته، إلا أنه الفرصة الوحيدة التي يقابل فيها أولاده.. ويتحدث إليهم..

ويراهم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في صباح اليوم التالي.

الساعة ٠٧:٠٠ صباحًا.

استيقظ زياد، فوجد باب غرفة مروة مُواربًا.. سعل بصوتٍ خافت كي يخبرها بشكل غير مباشر أنه استيقظ، كانت جالسة على حافة سريرها فنهضت واقفة وألقت عليه الصباح وقد تورد وجهها خجلاً، سألها متى استيقظت فأخبرته أنها استيقظت منذ ساعة وأخذت تعبث في هاتفها، لاحظ زياد أنها مرتدية نفس الملابس التي كانت ترتديها بالأمس، فأخذها من يدها وأدخلها غرفة النوم وفتح لها الدولاب، الجزء الخاص بلمياء، وأخبرها أنه لا يحتاج إلى هذه الملابس، وأنها تستطيع أخذها.

- هتلاقيها على مقاسك بالظبط يا مروة، جسمك نفس جسمها تقريبًا.

- هي اسمها إيه؟!

أغمض عينيه مانعًا نفسه ألا ينفعل: مايهمش اسمها إيه، ومتخلنيش أنطقه ياريت، المهم إنك تقدري تخدي لبسها، ومتخافيش نضيفة ومغسولة، وغالية بالمناسبة، اللبس ده كله ماركات عالمية، والأحذية هتلاقيها في الجزامة برة.. خديهم برضه.. لحد ما أشتريلك ملابس تانية جديدة.

- شكرًا يا بابا..

- بابا؟!! قالها متهكمًا ومبتسمًا ابتسامة ساخرة.. بذمتك مش مكسوفة من نفسك وانتي بتقوليها؟ مش حاسة إن في حاجة غريبة؟!

- لا... أنا محرومة من الكلمة دي طول عمري، حتى لو كانت لأب مزيف الناس فاكرينه أبويا، لأنه مات قبل ما أتولد، ورغم إني عشت كل حياتي محرومة منك لكن مبسوطة إني قابلتك أخيرًا، ومبسوطة أكتر إن أبويا حد عظيم زيك...

شعر في داخله بفرحة عارمة حاول ألا يظهرها، على الأقل قبل أن يتأكد من كلامها، نظرت في ساعتها فاستأذنته أن ترحل لأن موعد نوباتشيتها في المستشفى اليوم الساعة الثامنة صباحًا.

- تمام .. بصي بقى، من هنا ورايح أي حد يحاول يتحرش بيكي أو يضايقك، سواء في المستشفى أو في أي مكان، كل اللي عليكي إنك هتقوليلي بس، وهقطعلك... هقطعلك.. هقطعلك خبره من الدنيا.. قدامك.. اتفقنا؟

- أهو أنا دلوقت أسعد واحدة في الدنيا، وأول مرة أحس بأمان.. قالتها وقد لمعت عيناها المعلقتان عليه وأمسكت يده وقبلتها، أحس حينها أن سعادة

عارمة انتابته فجأة، سألها متى ستنتهي من عملها، فأخبرته أن نوباتشيتها اليوم ستنتهي في تمام الرابعة عصرًا.. فاتفق معها أن تقابله أمام معمل القوات المسلحة بمنطقة المهندسين في تمام الساعة الرابعة والنصف.

أومأت له مبتسمة ورحلت، دخل غرفته بعد ذلك وارتدى ملابسه ثم ذهب إلى مديرية الأمن، وما إن وصل هناك حتى شعر بارتجافة في جسده، فهو لم يأت إلى هنا منذ فترة كبيرة، ركن سيارته فلمحه السائس الذي أقبل عليه مرحبًا به ترحيبًا حارًا وهو يفتح له باب السيارة، فصافحه زياد وهو ينتزع نظارته الشمسية وأخرج من جيبه ورقة فئة خمسين جنيهًا وأعطاها له.

قضى حوالي نصف ساعة مصافحة لزملائه ومعارفه هناك، كل من رآه وصافحه كان ينظر إليه نظرة شفقة رغم عدم محاولتهم إظهار ذلك، رغم تحاشيهم ذكر أي شيء متعلق بتلك الحادثة، لكنه كان يعي جيدًا ما يشعرون به تجاهه حين يصافحونه ويتحدثون إليه، وتعمد أن يظهر قويًا صلبًا لا مباليًا أمامهم؛ لأنه يكره نظرات الشفقة تلك. وصل أخيرًا إلى مكتبه الذي انتهى عامل النظافة من تجهيزه وتنظيفه للتو بناء على تعليمات اللواء عماد، الذي علم بقدومه وذهب إليه بعدما دخل مكتبه بدقائق، وصافحه بحرارة:

- أنا عارف كويس يا زياد إنك ماكنتش عاوز ترجع، على الأقل دلوقت، لكني كأب بنصحك متفكرش في إنك تبعد تاني، أنت من أمهر ضباط المباحث عندنا، والكل بيشهدلك بالكفاءة، وأنا متأكد من إنك هتجيب العيال اللي قتلوا شريف سند، زي ما أنا متأكد من إنك هتجيب منصور النمر.

- متقلقش معاليك، هرجع زي الأول وأحسن وكله هيبقى تمام...

جلس على مكتبه الذي شعر تجاهه بحنينٍ جارف، التقط ورقة وقلمًا أمامه ورسم فيها ثلاث دوائر، الدائرة الأولى كتب بداخلها جريمة قتل شريف سند، والدائرة الثالثة كتب بداخلها التحقق من موضوع مروة التي تدعي أنها ابنتي، والدائرة الثالثة تركها فارغة وظل معلقًا عينيه عليها، في قرارة نفسه كان يريد أن يكتب بداخلها البحث بجدية عن منصور النمر، كان ذلك حين اتصل به خبير الطب الشرعي، د. حازم نجيب الذي أخبره أنه ينتظره عند مكتب الطب الشرعي الذي يبعد عنه بثلاثة شوارع، للتحدث معه حول جثة شريف، فقال له أنه سيمر عليه بعد قليل...

أغلق المكالمة ثم أشعل سيجارة وسحب منها نفسًا عميقًا وهو يفكر في هذه الجريمة، بدا وكأنه تذكر شيئًا فوضع السيجارة على المطفأة ونهض ليخرج محفظته والتقط منها الورقة التي كان يكتب فيها ملاحظاته عند مسرح الجريمة بالأمس، مشى بعينيه على الملاحظات المكتوبة. متذكرًا الاتصال بشيرين، التي كانت مع شريف ليلة وقوع الحادثة، أمسك هاتفه

واتصل على الرقم فوجده يرن هذه المرة لكنها لم تجب، عاود الاتصال بعدما انتهى من سيجارته لكن أيضًا بلا جدوى.

رفع سماعة الهاتف واتصل برقمٍ داخلي:

- آلو... أيوة يابني معاك الرائد زياد ضرغام. ابعتلي أمين شرطة حسين فتحي، مش موجود؟! أومال راح فين؟ اتنقل؟ طيب ابعتلي جمال طارق.... اتنقل هو كمان؟! طب ابعتلي أي حد عندك يا حبيبي، انت اسمك إيه؟ ماشي يا عمار ابعتلي أي أمين نوباتشي عندك... بسرعة.

لم تمر أكثر من نصف دقيقة حتى جاء إليه أحد الأمناء الذي ألقى عليه التحية الميري: نورت القسم كله يا زياد باشا، تحت أمرك سيادتك.

- في منتجة اسمها شيرين القاضي... عاوزك تستعلم لي عنها وتجيبلي كل المعلومات اللي...

كان ذلك حين رن هاتفه، وكان المتصل شيرين، أشار لأمين الشرطة بيده أن ينتظر ثم رد عليها:

- ألو، شيرين القاضي؟!

- أيوة أنا... مين أنت؟

- رائد مباحث زياد ضرغام.. كنت عاوز أدردش معاكي شوية، تحبي ندردش هنا وللا في مكان تاني؟

- ندردش؟! ندردش في إيه؟ أنا مش فاهمة حاجة. إيه اللي حصل؟

- هتعرفي كل حاجة لما أشوفك في مديرية الأمن، بعد ساعتين من دلوقت.

- لا صعب النهاردة مش هقدر، خليها بكرة بعد الساعة عشـ...

قاطعها بحسم وحزم: النهاردة قلت، وبعد ساعتين زي ما قلتلك. (نظر في ساعته) الساعة دلوقت عشرة الصبح، متتأخريش عن اتناشر، أنا كنت ممكن أبعتلك أمين شرطة يجيبك بالإجبار، لكن مارضتش أعملك شوشرة عندك في الشركة أو العمارة.

ردت عليه بنبرة يشوبها توتر: حح.. حاضر.. أوكي... مفيش مشكلة، أشكرك طبعًا رغم إني معرفش في إيه...

- متتأخريش... ومتخلنيش أندم إني معملتش كدة.

سأله أمين الشرطة الذي ما زال واقفًا عن أي شيء آخر يريده، فشكره وأشار له بالرحيل.. في نفس الوقت الذي دخل فيه المقدم علاء شكري

عاشور الذي عرفه بنفسه وأخبره أن اللواء عماد نور الدين أرسله إليه ليعمل معه في تلك القضية.

- من حسن حظي يا زياد بيه إني هشتغل معاك. أنا سمعت عنك كتير وكان نفسي من زمان أشوفك.

- الشرف ليا أنا يا علاء بيه... بص يا باشا دي ورقة فيها أسماء اللي هنستدعيهم ونحقق معاهم. شوفها كدة ولو لقيت حد تاني محتاج نحقق معاه اكتب اسمه... أنا هروح لحازم نجيب وراجع كمان ساعة.

قالها وهو يطفئ سيجارته ثم نهض ملتقطًا ولاعته وعلبة سجائره ومفاتيحه، ليذهب إلى مصلحة الطب الشرعي، وقابل هناك حازم نجيب الذي انتهى للتو من فحص جثة شريف الراقدة أمامه.. سأله زياد عن أي شيء جديد قد توصل له فأشار له حازم بالجلوس قبل أن يطلب فنجاني قهوة، ثم سأله وهو ينزع نظارته ويمسحها بطرف البالطو الذي يرتديه: شريف طلق مراته من أربع شهور تقريبًا؟!

- لا... خمس شهور أعتقد، كنت موجود أنا في الجلسة دي، عشان لميا مراتي صاحبة طليقته.. وهستدعيها نحقق معاها... بس ليه بتسأل يا د. حازم؟

ارتدى حازم النظارة مرة أخرى مستطردًا: لكن الله يرحمه كان عنده علاقات كتير زي ما أنت عارف، ضهره فيه علامات خدوش أظافر، بالإضافة إلى إنه كان بيشرب خمور كتير، وآخر حاجة شربها قبل ما يموت كانت بيرة.

- بالنسبة لعلاقاته النسائية فأنا متفق معاك، هستجوب بعد شوية الست صاحبة آخر خدوش على ضهره، ودي كانت عنده يومها... اسمها شيرين القاضي.

- انت تقصد شيرين القاضي المنتجة السينمائية؟! سأله وقد لمعت عيناه، فأجابه زياد مندهشًا:

- أيوة هي، بس مالك عنيك لمعت كدة ليه... قالها مازحًا وهو يشعل سيجارة، في نفس الوقت الذي جاء فيه عامل البوفيه ومعه القهوة التي وضعها وغادر، أردف زياد: تعرف إيه عنها يا دكتور حازم؟

- أعرف إيه؟ ومين ميعرفش شيرين القاضي؟ دي تاني أجمل ست في مصر يا عم زياد..

دخل في نوبة ضحك وسأله: من الأولى إذن؟ فقال له حازم: أمي... أمي الأولى طبعًا.

فانخرط أكثر في الضحك حتى هدأ وسأله عن الآلة التي تم نزع الأعضاء بها، فأجابه الطبيب أنه على الأرجح موس حلاقة كالذي يستخدمه الحلاق. وأن النزع لا ينم عن أي احترافية؛ لأن نزع القلب يجب أن يكون بطريقة ليس بها تهتك بالأوردة والشرايين التي حوله، نفس الشيء بالنسبة للعينين، أما بالنسبة للضلوع فمن الأرجح أنها تم تقطيعها بآلة مشرشرة، وعلى الأرجح منشار، مما يدل على أن الجريمة ليس سرقة أعضاء بالفعل، وإنما لغرضٍ آخر، وفي الأغلب انتقام....

سأله د. نجيب وهو يناوله فنجان قهوته: هو شريف كان له أعداء يا زياد؟

- أعداء؟! ومين أكتر من ضابط المباحث هيكون له أعداء. أكيد له أعداء طبعًا..

كان ذلك حين وقعت عيناه على الساعة فوجد أن أمامه نصف ساعة ليقابل شيرين القاضي، فنهض واستأذن من حازم:

- همشي أنا دلوقت يا زوما.. هستجوب المرة المنتجة دي واحتمال أتصل بيك بعدها.

عاد إلى مكتبه مرة أخرى حوالي الساعة الثانية عشرة والنصف، ورغم قصر المسافة بين ملصحة الطب الشرعي ومديرية الأمن إلا أنه وصل متأخرًا نصف ساعة بسبب الزحام الذي استغله في استخراج هاتفه وحاول البحث بعدة طرق عن شيرين القاضي، فجمع من خلال عناوين الأخبار معلومات لا بأس بها قد تفيده في التحقيق معها.

شيرين القاضي توقع عقد فيلمها الجديد

شيرين القاضي تتشاجر للمرة العاشرة مع طليقها

شيرين القاضي وطليقها وصلا إلى طريق مسدود

شيرين تتزوج أخيرًا بعد قصة حب نشبت بينها وبين كريم عفت مدير الإنتاج بشركتها

امتثلت المنتجة شرين القاضي للشفاء أخيرًا بعد عملية الزائدة... وقد.....

نشوب مشاجرة كبيرة بين المنتجة التي ذاع صيتها مؤخرًا بسبب أرباحها المهولة لآخر فيلم أنتجته، وبين بطلة الفيلم التي طالبتها بشرط جزائي...

دخل مكتبه فوجد العسكري يخبره أن المدعوة شيرين القاضي تنتظره في مكتب الاستيفاء، لم يكن في حاجة لمعرفة ذلك، فقد تسللت لأنفه رائحة عطر مثير فوّاح، ليس معتادًا عليه في القسم، دخل مكتبه مشيرًا للعسكري

أن يُدخلها، وما إن دخلت من الباب حتى تفحص جسدها بعينيه، جلست وهي تسأله بصوتٍ عذب: حضرتك عاوز مني إيه بالظبط يا حضرة الظابط؟

- شريف، شريف سند... علاقتك بيه إيه بالظبط؟

- علاقة عادية.. معرفة.. وفي بيننا شغل وخدمات.. بيخدمني كتير في استخراج التصاريح لأن له معارف في كل مكان..

- وانتي بتقدمي له إيه بقى في المقابل؟

أجابته بتوتر: مش.. مش فاهمة.. مش فاهمة حضرتك تقصد إيه! هو في إيه بالظبط يا حضرة الظابط؟

نظر إلى عينيها محدقًا ليقرأ رد فعلها حين يخبرها: شريف سند اتقتل.

حجظت عيناها وارتعش كف يدها الأيسر ونهضت فاغرة فَيها: نعم؟! يعني إيه اتقتل؟ اتقتل إزاي وإمتى؟

- يوم ما كنتي عنده... قالها وهو ممسك بالولاعة يداعب بها أصابعه.. وآخر شخص كان عنده قبل قتله مباشرة كان أنتِ.. إيه سبب تواجدك بذات المكان والزمان سالفي الذكر؟! وإيه هي طبيعة العلاقة بينك وبين المجني عليه؟

أطرقت رأسها خجلاً يشوبه توتر ولم تجب، وقف مستكملاً أسئلته: إيه اللي حصل بينكم خلاكي تقتليه يا شيرين؟ قوليلي الحقيقة كاملة وأوعدك هحط اعترافك في الاعتبار، أهم حاجة تقوليلي كل الحقيقـ...

- حقيقة إيه؟! قاطعته باكية... انت عاوزني أقول إني قتلته؟ -بالكاد استطاعت الوقوف وأكملت باكية- والمصحف الشريف ما عملت كدة ولا أعرف أقتل نملة أصلاً..

نهض من كرسيه وجلس على الكرسي المقابل لها مشيرًا لها بيده أن تهدأ وتجلس، فجلست وهي منهارة في البكاء، انتظر دقيقة كاملة حتى توقف بكاؤها، ظل طوال هذه الدقيقة مُعلِقًا نظره عليها، محاولاً ترجمة ردود أفعالها ولغة جسدها، إلى أن هدأت نوعًا ما ثم اقترب بوجهه من وجهها قائلاً بصوتٍ خافت:

- وجوزك عصمت الدندراوي يعرف طبيعة العلاقة بينكم؟

رفعت رأسها قائلة له وهي تمسح دموعها: عصمت؟! عصمت طليقي مش جوزي.

- آآآ أقصد كريم... يعرف اللي بينكم؟!

- لا طبعًا.. أرجووووك.. انهارت في البكاء مرة أخرى وأمسكت يده وقبلتها: أرجوك ماتعرفوش حاجة زي كدة، والمصحف ما كنت عاوزة أعمل كدة...

- تعملي إيه؟ تقتليه؟

- لالالا طبعا قتل إيه؟ أنا بقولك مقدرش أقتل حشرة، أنا بتكلم على علاقتي بشريف سند، هو اللي كان بيتحايل عليا أروحله والله، وكنت بروحله مضطرة والله، وآخر مرة طلبت منه مايتصلش بيا تاني، ووعدني بكدة فعلاً. قضيت معاه الليلة ومشيت من عنده الساعة ١٢ بالظبط، وتقدر تتأكد من كلامي من خلال الأمن، لكن أقسم بجلال الله ما قتلته.

نهض وقال لها بنبرةٍ هادئة: مش هتعترفي يعني... صرخ في وجهها: خلاص هستدعي جوزك وأقوله اللي حصل وهسيبه هو اللي يقتلك يا شيرين...

- لالالا أرجوك متقولوش، انت ماتعرفش كريم مش هيستحمل يعرف ده، أنا بحبه والله وهو كمان بيحبني، وعارفة إنه مايستاهلش أخونه لكن شريف هو اللي كان بيتحايل عليا وبيبتزني بمنصبه. مكانش عندي اختيارات أرفض.

- مممممم تمام... ماشي.. قالها بنبرة هادئة.

سألته بنبرة قلقة: حضرتك في حاجة تانية طالبها مني؟

- آه يا شيرين، انتي هتشرفينا هنا شوية. ونادى على العسكري الذي دخل مُهرولاً، أمره زياد أن يأخذها إلى الزنزانة، ظلت تصرخ باكية وهي تقول إنها بريئة ولم تقتل أحدًا، لكن زياد لم تتحرك فيه شعرة، لاحظت شيرين أن لا جدوى من إحداث بلبلة، ولا جدوى من التحدث معه، فطلبت منه أن تتصل بمحاميها:

- ليه لأ؟ وماله.. تقدري تتصلي بأي حد حتى لو جورج دبليو بوش.. أنا كدة كدة هتصل بجوزك كمان فتقدري تخليه يجيبه معاه بالعربية وهو جاي.

- لا.. أرجوك بلاش تقول لجوزي، كريم لو عرف ممكن يموت فيها.

- كريم مين دي مصر كلها هتعرف، لحد ما تعترفي -وجه كلامه إلى العسكري- خدها الحجز يابني.

قالها وهو يمسك هاتفه ليتصل بالمقدم علاء الذي كان يُجري تحرياته في الخارج.. فطلب منه أن يستدعي زوج شيرين وطليقة شريف سند...

أغلق المكالمة وجلس على كرسي مكتبه وقد شعر بصداعٍ في رأسه، ثم أشعل سيجارة ورجع بظهره على الكرسي واضعًا قدميه فوق المكتب، ظل معلقًا عينيه على السقف يفكر في أشخاصِ آخرين قد يطلب استدعاءهم

للتحقيق، كان ذلك حين رن هاتفه فوجد المتصل مروة، نظر إلى ساعته فوجد الساعة الرابعة والنصف واكتشف أنه يجب أن يكون الآن أمام معمل القوات المسلحة، أجاب على الهاتف: ألو، أيوة يامروة، انتي فين دلوقت؟ لحقتي توصلي؟ تمام أنا في العربية مفيش بيني وبينك غير شارعين تلاتة.

دخل عسكري في هذه اللحظة قائلاً: المتهمة سعادتك عمالة تزعق وتصرخ وبتقول عاوز تتصل بمحاميها.

نظر له زياد حانقًا في حين ضحكت مروة قائلة: هاهاها واضح فعلا إن حضرتك في العربية...

قال لها زياد: ثواني يا مروة خليكي معايا.. -وجه كلامه إلى العسكري بغضب- خد منها رقم المحامي واتصل بيه خليه ييجي، ومتدخلش تاني مرة بالطريقة دي من غير ما تخبط، انت مش في زريبة أمك! خرج العسكري بعد أن اعتذر له ثم استكمل معها:

- اسمعي يا مروة، استنيني في بينوس كافيه اللي أدام المعمل، لحد ما أجيلك، مش هتأخر عليكي متقلقيش.

أخذ مفاتيحه وسجائره وخرج من مكتبه فنهض العسكري، قال له زياد والسيجارة في فمه ويبحث عن ولاعة في جيوبه:

- ابقى ادخل كل شوية بص على الست اللي اسمها شيرين القاضي، ومتخليش أي ست في الحجز تضايقها، ولو احتاجت أي حاجة هاتلها، دي بنت ناس ومش وش بهدلة.

هز العسكري رأسه متفهمًا وهو يمد يدًا مرتعشة بالولاعة ليشعل له السيجارة، حين وصل إلى سيارته لاحظ حين أمسك بمقبض الباب أن هناك جملة مكتوبة بأحمر شفاة على زجاج الشباك الأمامي ناحيته، ابتعد برأسه قليلاً كي يستطيع قراءة الجملة المكتوبة بخطٍ ركيك:

متدفنش جثة شريف دلوقت..

صُرَّ حاجباه مُندهِشًا وشرد يفكر في معنى تلك الجملة، تساءل في قرارة نفسه عمن الذي كتبها! هل معنى ذلك أن شيرين القاضي ليست هي القاتلة؟! ولو لم تكن هي فمن إذن؟ أم أن الذي كتب هذه الجملة شريكها في تلك الجريمة، حتى لو كان شريكها.. فلماذا يطلب منه ألا تُدفَن جثة شريف؟!

نادى بصوتٍ مرتفع على السائس الذي هرع إليه مُهرولاً وسأله عن أي شخصٍ رآه بالقرب من السيارة؟ فأقسم له السائس بالطلاق من زوجتيه إنه

لم ير أيّ شخص اقترب من سيارته ولا أحد يجرؤ أن يفعل ذلك، رأى زياد أن التحدث مع سائس لن يفيده، فأشار له أن يرحل... سرح قليلاً وأخذت مئات الأسئلة تجول في عقله حتى انتزع نفسه من التفكير قبل أن يخرج هاتفه ويصوِّر الجملة من عدة زوايا ثم مسحها بمنديل ورقي وألقاه على الأرض وفتح باب السيارة، استوقفه التفكير قليلاً ورأى أنه قد يكون من الأفضل الاحتفاظ بالمنديل، ففتح باب السيارة والتقط المنديل من الأرض ووضعه في درج سيارته، ثم انطلق بسرعة كي لا يتأخر على مروة.

كان هناك في غضون نصف ساعة، دفع قيمة هوت شوكليت لم تحتسيها وعبرا الشارع قاصدين المعمل، أمسك هاتفه حين دخل المبنى ليتصل بدكتور رمزي طبيب التحاليل هناك، فأخبره أنه في مكتبه بالدور الرابع، وما إن رآه حتى استقبله بحفاوة:

- يااااه.. أخيرًا شفتك يا زياد بيه.. واحشني والله. اتفضلوا.

أشار لمروة أن تنتظر في الخارج بينما دخل بمفرده، وقال لدكتور رمزي بعد أن اكتسى وجهه بملامح الجدية:

- بقولك إيه يا دكتور، أنا عاوزك في موضوع مهم ومصيري، وسري في نفس الوقت.. اللي برة دي بنت اسمها مروة.. هي بتقول إنها بنتي... قاطعه الطبيب مستكملاً: عاوز تعمل تحليل DNA لإثبات موقف الأبوة و..

قاطعه زياد: أنا مش بشكك في كلامها بشكل قاطع، أنا عندي أدلة تانية إن كلامها صح، لكن التحليل ده عشان قلبي يطمن مش أكتر.. وفي نفس الوقت عاوز النتيجة تطلع في أسرع وقت.. ودة طبعًا من عشمي فيك.

- تمام يا زياد بيه، متقلقش. اتفضل ارتاح على الشيزلونج واندهلها تدخل عشان ناخد منكم العينات.

مرت نصف ساعة تقريبًا حتى أخذ الطبيب العينات منهما ثم انصرفا.. رن هاتفه حين فتح باب السيارة، وكان المتصل لمياء فأشار لمروة أن تركب هي وابتعد عنها قليلاً ليجيب على الهاتف: أيوه يا لميا... عاوزة إيه؟

- هكون عاوزة إيه غير ورقة الطلاق يا زياد؟ هنروح للمأذون إمتى؟

شعر أن موضوع لمياء أصبح سخيفًا وعبئًا حقيقيًا عليه، رغم أنه يتألم لسماع مثل هذا الكلام منها، لكنه أيضًا بعد آخر مرة كانت في بيته كرهها وأصبح لا يريدها، وقرر أن يضع حدًا لتمسكه بها، بالإضافة أنه بالفعل في حاجة للابتعاد عنها، لأنه مثلها كلما يراها يتذكر أولاده وما حدث لهم، فقال لها بنبرة حاسمة: في أي وقت تحبيه... معنديش مانع إطلاقًا.. تحبي دلوقت؟!

- ياريت...

- هنتقابل بعد ساعة عند نفس المأذون اللي اتجوزنا عنده، اللي في السيدة زينب.

- تمام.. هكون هناك قبل ساعة.

بدا كما لو أنه تذكر شيئًا: صحيح، قولي لي، هو كان في مشاكل جامدة بين شريف سند وطليقته؟

- انت بتتهمها بقتله وللا إيه؟

- عرفتي ازاي إنه اتقتل؟!

- ليه هو الموضوع هيفضل سر مدة كبيرة؟ أخويا قاللي.. وبعدين أنا كنت معاها من شوية لما جالها أمين الشرطة يستدعيها.. بس عمومًا آيوة كان في بينهم مشاكل بس مشاكل عادية يعني..

- إيه سبب المشاكل دي بما إنها صاحبتك فأكيد عارفة... سألها وهو يركب سيارته وأشار لمروة ألا تصدر أي صوت.

- كان واخد منها مبلغ مش فاكرة كام، ولما طلبت يردهم رفض، قالها مش معايا فلوس، رغم إن الأجهزة اللي اشتراها وأوضة الجاكوزي والساونا اللي عاملها تمنها غالي المفروض، طبعًا غير مؤخرها اللي لسة مخدتوش ومصاريف مدارس الأولاد اللي عمل عبيط الله يرحمه ومدفعهومش.

- تمام... نتقابل عند المأذون كمان ساعة..

أغلق الهاتف وأدار محرك سيارته قاصدًا السيدة زينب، طلب من مروة في الطريق أن تحكي له عن حياتها وطبيعة عملها.. فظلت طول الطريق تحكي له عن كل شيء يتعلق بها، وعن المضايقات التي تتعرض لها، ثم أخبرته أنها تسكن في منطقة إمبابة، وحكت له عن أخيها وعما يفعله معها، حين وصل إلى ميدان الأوبرا أنزلها عند كافيه هناك وخيّرها بين أن يعطيها مفتاح الشقة وتسبقه إلى هناك أو تنتظره في أي كافيه هنا إلى أن يذهب وينهي إجراءات الطلاق ويعود إليها سريعًا، فاختارت أن تنتظره في كافيه.

حين وصل إلى المأذون اتصل بلمياء، فأخبرته أنها في الطريق وستصل بعد ربع ساعة، جلس ينتظرها، وأخذ يُدرِّب نفسه على الجَلَدْ والتحلّي بالقوة حين يراها، وألا يُظهر أي ضعف أمامها، رغم أن دمعة من عينيه ألحّت عليه أن تسقط حين مرّت حياتهما معًا أمام ناظريه، لم يستطع في النهاية مقاومة رغبة تلك الدمعة في السقوط، لكنها لم تسقط وحدها، بل أخذت معها شلالاً من الدموع، ظل يبكي مُستسلمًا لضعفه الذي لو رآه أي شخص عليه في

بداية هذا اليوم لن يصدق أبدًا أن هذا الذي يبكي هو زياد ضرغام، انتبه لما هو فيه فجأة ودخل الحمام ليجفف عينيه ويغسل وجهه، نظر في المرآة فلم ير سوى رجل كبر فجأة بعد أن ركض الزمن وراءه حتى سقط تحت سنابك خيله، فاشتعلت رأسه شيبًا عند فوديه... ظل يصدر بوجهه عدة انفعالات بلهاء أمام المرآة ويفتح فمه على اتساعه ويغمض عينيه ويفتحها كي يمحو تعابير الحزن من صفحة وجهه، حتى لا تعرف زوجته أنه كان يبكي، وخرج من الحمام بعد أن تأكد تمامًا أنه أزاح كل أمارات الحزن أو البكاء من قسماته، مُرتديًا من جديد ثوب الرجل الصلب اللامبالي الذي لا يخاف أحدًا.

بداخل كل رجل، رجل آخر، غيره تمامًا... لا يظهر إلا لامرأة عشقها.

وصلت لمياء أبو العزم بعد ذلك بدقيقتين ومعها كل الأوراق وصورة من قسيمة الزواج، دخلت المكتب فوجدته جالسًا، مطرقًا، انحنت نصف انحناءة واقتربت من وجهه مبتسمة، مشت بأناملها على شعره قائلة بصوتٍ خافت: مش ضعف إنك تبكي يا زياد، ليه بتحاول تداري إنك كنت بتبكي؟ على فكرة لو داريت ده عن العالم كله مش هتعرف تخفي ده عليا..

رفع رأسها ناظرًا إليها بعينين حمراوين: ده مش موضوعك.. أو مبقاش موضوعك.

جلسا أمام المأذون الذي حاول أن يثنيهما عن هذه الخطوة وأخذ يقول لهما الكلام المعتاد بلا بلا بلا، لكنها قاطعته قائلة إنهما اتفقا على كل شيء وأن هذا أفضل لهما، فبدأ المأذون في إجراءاته واستكملها.. وبعد عشر دقائق خرجا من هناك وهما مطلقين، منفصلين، لن يراها مرة أخرى، وحتى لو رآها، فلن يستطيع أن يضمها إلى صدره، لن يبدأ يومه مرة أخرى بصوتها الساحر ووقع ضحكتها في نفسه، لن يستيقظ بعد ذلك فيجدها بجواره، نائمة كالملائكة، فينظر لها مبتسمًا، سارحًا في قسمات وجهها، مطيلاً النظر حتى تستيقظ، لن يحبها بطريقته مرة أخرى، تفادى التطلُّع إليها أو التحدث معها في أي شيء ونزل قبلها إلى الشارع.

وصل إلى سيارته فوجد ورقة تحت مسّاحة سيارته، مكتوب فيها: مستعد للي جاي؟!

ظل مُعلقًا نظره على تلك الورقة محاولاً فهم تلك العبارة، في نفس الوقت الذي جاءت وراءه لمياء قائلة وهي ترتدي نظارتها الشمسية:

- شكرًا يا زياد على كل حاجة كانت بيننا في يوم من الأيام، سواء حلوة أو وحشة، لو احتاجتني في أي حاجة أطلب مني بدون تردد...

لم ينتبه إلى أي حرف قالته وظل شاردًا في تلك الورقة محاولاً إيجاد طريقة للتعرف على ماهية ذلك الشخص الذي ترك له هذه الرسالة، وما زالت لمياء تتحدث إليه فوضع يده على كتفها قائلاً: لمياء، امشي دلوقت أنا مش محتاج أسمع كلامك ده.. مبروك على الطلاق.. مش ده اللي كنتي محتاجاه؟ أديكي خدتيه. وبقيتي حرة... مبروك.

نظرت له وهي تلوي شفتها امتعاضًا، وعبرت الشارع لتركب سيارتها وغادرت، بينما نظر زياد حوله فوجد كاميرا مثبتة في المحل المقابل للسيارة، دخله مُلوحًا لصاحب المحل أنه مباحث ويريد أن يعيد ما سجلته الكاميرا في آخر نصف ساعة، فأخبره صاحب المحل ببلاهة أن هذه الكاميرا ليست كاميرا حقيقية، وإنما مجرد ماكيت لا غير. فخ، كي يخيف أي شخص من السرقة، أغمض زياد عينيه محاولاً السيطرة على غضبه ووضع الورقة في جيبه قبل أن يركب سيارته ويعود مرة أخرى إلى مروة التي لم يجدها في الكافيه، اتصل بها فأخبرته أنها سئمت من الجلوس وحدها، فاحتست قهوتها وغادرت لتشتري عشاء ومستلزمات للبيت الذي لا يحتوى على أي شيء سوى الخمور والسجائر. وقابلته بعد عشر دقائق أمام سوبر ماركت بجوار الكافيه، فأخذها وذهبا إلى منزله مباشرة...

حين وصلا إلى البيت وضعت مروة الأشياء التي اشترتها في الثلاجة بعد أن أزاحت كل الخمور التي عليها ورصتهم متقززة في الرف السفلي، أعدت بعد ذلك العشاء ونادت عليه لكنه رفض أن يأكل، طالبًا منها أن تُعد له قهوة، حاولت أن تلح عليه لكنه قاطعها بصرامة بإشارة من يده رافضًا تمامًا أن يأكل.

- لما أقولك مش عاوز أتنيل يبقى خلاص مش عاوز أتنيل، محايلتك عليا مش هتخليني أغير قراري.. حتى لو انطبقت السما على الأرض، فياريت توفري على نفسك الإلحاح ده يا مروة، لإني معنديش رفاهية الوقت اللي أضيعه في تبرير كل حاجة. فهمتي؟!!

- فهمت... قالتها بحذر وهي مغمضة عينيها خشية بطشه وابتعدت عنه، بينما دخل هو الحمام وأخذ دشًا ثم دلف إلى غرفته فوجد القهوة موضوعة على الكومود، شكرها وأخبرها أنه سينام بعد قليل، وأن تعتبر هذا المنزل بيتها وتفعل فيه أي شيء يحلو لها، فأومأت له برأسها دون أن تتفوه بكلمة. أغلق على نفسه من الداخل ودس يده في جيبه ليخرج تلك الورقة التي وجدها على سيارته، وضعها أمامه على الكومود بجوار القهوة وظل يفكر في هذا القادم الذي يسأله القاتل إن كان مستعدًا له أم لا! تساءل في قرارة نفسه هل من الممكن أن يكون الفاعل منصور النمر؟! ربما، هل كان شريف سند له أعداء؟ شرد محاولاً تذكر أي شيء يعينه على الإمساك بتلابيب تلك

الجريمة. أمسك هاتفه واتصل بالمقدم علاء ليسأله عن تحرياته وما آلت إليه:

- مساء الفل يا زياد بيه، روحنا عملنا شوية تحريات في الكومباوند اللي كان فيه وبعتنا نستدعي جوز الست اللي اسمها شيرين وطليقها وكمان مدام هند طليقة شريف الله يرحمه.

- تمام.. على خيرة الله.. أغلق هاتفه ووضعه في الشاحن قبل أن يشعل سيجارة ويحتسي قهوته، مدد بعدها جسده على السرير وظل ينظر إلى السقف يفكر في هذين اليومين العجيبين! وفي تلك الورقة التي وجدها على سيارته، وتلك العبارة المكتوبة على الزجاج، وفي نتيجة تحليل الـ DNA وفي الذين سيحقق معهم غدًا في تلك الواقعة.. وفي..

ظل يفكر هكذا إلى أن غاب عن الوعي تمامًا....

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في صباح اليوم التالي..

وجد مروة قد أعدت له الفطور، رغم أنه لوهلة فكر في أنه من الممكن جدًا تكون هذه الفتاة ليست ابنته على الإطلاق، وأن هذا السندوتش الذي أعطته له للتوّ قد يكون فيه سم، لكنه مع ذلك أكله، هل لأنه يثق فيها؟ ربما.. هل لأنه لا يثق فيها لكنه يحتاج إلى شخص يثق فيه؟! ربما.. هل أكله وهو غير واثق من أنه لا يحتوي على سم؟! لكنه أراد أن يختبر ثقته فيها وعلى أية حال لو شعر بأي بوادر سم سيستطيع التصرف.. في غضون عشر دقائق قد انتهى من أكل السندوتش واحتسى قهوته مع سيجارة، وكانت قد أوشكت على الانتهاء من ارتداء ملابسها، سألها إن كانت تريد أن يوصلها فأومأت له رأسها بالإيجاب، فأخبرها أنه سينتظرها في الأسفل وطلب منها أن تتأكد من غلق الباب جيدًا، حين نزل وجد شخصًا بالقرب من سيارته، ممسكًا بمطواة يجرح بها باب السيارة، انطلق نحوه وأمسكه من ياقة قميصه بقوة:

- انت مين ياض يابن الـ.....؟!

لم يرد عليه محاولاً التخلص من قبضته، فصفعه زياد مرة أخرى مكررًا سؤاله: جاوبني ياض انت مين؟

سال دم من فمه دون أن يتفوه بكلمة وبدا على وجهه الذعر، فلحقه زياد بلكمة أخرى في وجهه مكررًا سؤاله، كان ذلك حين نزلت مروة، وما إن رأته حتى هرعت إليه صارخة...

- أرجوك سيبه.. ده جمال أخويا... عشان خاطري سيبه... عشان خاطري.

انهارت فجأة في البكاء، بينما أفلته زياد من بين يديه، بينما قال لها جمال منفعلاً: هو ده اللي أمك حكت لك عليه؟ إزاي؟ انتوا عاوزيني أتجنن؟! ماشي.. عمومًا أنا هعرف حقيقة الموضوع ده إيه.. اصبري عليا يا مروة.

أمسكه زياد مرة أخرى وقال له مهددًا بنبرة حازمة: انت عارف ياض لو مروة قالتلي إنك حاولت بس إنك تقرب منها أنا هعمل في وشك إيه؟ انت سمعت قبل كدة عن زياد ضرغام ياض؟ غور وماشوفش وشك هنا تاني..

ما إن أفلته من يده حتى انطلق هاربًا، بينما مشى زياد بيديه على الجروح التي أحدثها بالسيارة وهو يفكر في طريقة لتصليحها، ركب سيارته وأشار لها أن تركب وما زالت تبكي وهي تعتذر له عما بدر من هذا المعتوه.

- معلش أنا آسفة والله بس جمال ده أهبل والبودرة والمخدرات لحسوا دماغه.

لم يرد عليها زياد وانطلق بسيارته كي يوصلها إلى المستشفى التي تعمل بها، حين نزلت من السيارة قال لها:

- زي ما قلتلك وهكررها لك، لو حد ضايقك سواء دكتور أو أي عفريت أزرق، قوليلي بس.

هزت له رأسها مبتسمة ودلفت عبر البوابة، بينما قصد زياد طريقه إلى القسم وكان أول من قابله المقدم علاء الذي أخبره أن محامي شيرين القاضي ينتظره بالأعلى، ويريد مقابلته، فأومأ له برأسه ودخل مكتبه هو والمقدم علاء.

دخل المحامي بعد خمس دقائق، ممسكًا بورقة قدمها إليه قائلاً إنه يريد الإفراج عن موكلته بضمان محل إقامتها، وللتشكيك في إجراءات التحقيق والضبط والقبض عليها واحتجازها بدون وجه حق، بينما كانت ذاهبة فقط للإدلاء بأقوالها، في الحالات العادية من الممكن أن يخشاه زياد؛ لأن كلامه به بعض الحق، لكنه يعرف جيدًا أن كل ما يشغل بال هذا المحامي ألا يتسرب هذا الموضوع إلى الصحافة، وأيضًا إلى زوجها. لأنها بالفعل كانت في فيلته في هذا اليوم. وأن بينهما علاقة جنسية، ومثل هؤلاء الناس لا يخافون أي شيء أكثر من الفضيحة، بالإضافة إلى أنه قد بدأ يقتنع نسبيًا أن شيرين القاضي ليس لها يد في جريمة القتل هذه، خصوصًا بعد كل ما حدث أمس.

- اسمع يا متر، أنا عاوزك في الأول تهدى كدة وبلاش انفعال.. أنا هفرج عن موكلتك كمان شوية.

- مفيش مشكلة يا زياد باشا. لكن أرجوك يعني بعد إذنك، موضوع علاقتها بـ...

قاطعه زياد مدركًا ما سيقول: ماتقلقش.. خليها على الله.. سيبني بقى أكمل باقي شغلي.. قالها وفي قرارة نفسه لا يهمه معرفة زوجها بخيانتها أم لا، كل ما يشغل باله هو الوصول إلى طرف الخيط..

بينما خرج المحامي، طلب من علاء عاشور أن يذهب إلى حازم نجيب ويسأله عن الآلة التي من الممكن استخدامها في قطع ضلع في القفص الصدري دون أن تصدر صوتًا... وكيف تعمل تلك الآلة. ويحاول أن يبحث عن الأماكن التي من الممكن أن تبيعها. ويسأله أيضًا إن كان هناك أي جديد اكتشفه في تشريح الجثة، وبعدما خرج المقدم علاء نادى على العسكري ليدخل له عصمت الدندراوي، لكن المقدم علاء عاد مرة أخرى ليخبر زياد أن هناك عامل نظافة بالخارج يدعى عم حسين، قد حضر الآن، وأن لديه كلامًا

مهمًا يريد إخبارنا به بخصوص القاتل، فأومأ له زياد برأسه أن يدخل وطلب من العسكري تأجيل دخول عصمت الدندراوي الآن.

دخل رجل أشيب يبدو عليه البساطة الشديدة، محني الظهر، ذو يدين متشققتين. ألقى التحية على زياد الذي أشار له أن يجلس ويخبره عما يعرفه، فقال الرجل بنبرة مرتعشة بعد أن جلس على طرف الكرسي:

- أنا شفت القاتل سعادتك.. شفته بعينيا دول اللي هياكلهم الدود وأنا متأكد إنه هو...

- إزاي يا عم حسين؟ وإمتى؟ وشكله إيه؟

- شفته خارج من فيللا شريف بيه، مسكته لكن هو فلت مني ابن الصرمة، فلت مني وهرب زي البرص وطار..

- اوصف لي شكله يا عم الحاج.

- ماشفتش وشه، كان لابس قناع كحلي في راسه، ولابس اسود في اسود، وشنطة صغيرة معلقها في ضهره... طوله متوسط، وجسمه عادي لا تخين ولا رفيع... لا طويل ولا قصير، عينيا جت في عنيه يا سعادة الباشا، عينيا جت في عنيه أقل من ثانية. وهرب بعدها فلت مني ونط من السور زي الفرقع لوز ابن الجزمة.

- ماقلتش ليه لأفراد الأمن ساعتها؟

- كان ناقص على نوباتشيتي ربع ساعة يا سعادة البيه، وفي الأول كنت فاكره من ولاد الذوات اللي هناك سرق حاجة من أبوه وجري. وخفت أبلغ عنه يتقطع عيشي.. لكن بعد ما سمعت عن اللي حصل قلت مبدهاش.

- هل لديك أي أقوال أخرى؟

- لا يا سعادة البيه. بس أرجوك متجبش سيرتي في حاجة أنا غلبان وبجري على يتامى.

- متقلقش يا عم حسين، متقلقش، لو عرفت أي حاجة تانية تعالالي في ساعتها.

خرج عامل النظافة وطلب من العسكري أن يرسل له طليق شيرين القاضي، عصمت الدندراوي الذي جلس عاقدًا يديه عند صدره بعد أن صافح زياد منتظرًا تحقيقه، رأى زياد أن التحقيق معه لن يفيده في شيء خصوصًا بعدما سمع أقوال عامل النظافة، لكنه مع ذلك قرر أن يستجوبه، عله يخرج منه بأي معلومة تفيد القضية. قدم له سيجارة فرفض عصمت مُعتذرًا،

متحججًا أنه قد أقلع عن التدخين. ثم بدأ أسئلته، وبدا معه أن التحقيق ودي أكثر منه رسميًا:

- قوللي يا عصمت انت ليه طلقت شيرين؟

تحول وجه عصمت فجأة وزم على شفتيه محاولاً إخفاء تعبيراته، استنبط زياد عدة إجابات لكنه لم يتوقع الإجابة التي قالها له والتي كانت عائمة، تلك الإجابة الدبلوماسية الشائعة: مجرد خلافات، مكناش متفقين مع بعض، مش مناسبين لبعض. مفيش توافق.

- لأ يا بطل الأبطال الكلام ده تقوله لصاحبتك على النت، لكن هنا تقول الحقيقة محددة.

بدا كأنه يفكر في اختيار كلمات مناسبة لما سيقوله: كانت بتخونني يا زياد بيه.. كدة تمام؟ وماكانتش بتخونني مع واحد بس لأ دول كتير.

- قريت على النت إنك سبق وهددتها وابتزتها، إيه نوع الابتزاز والتهديد دول؟

- كل ده مجرد كلام صحف ومجلات وإشاعات وسائل تواصل اجتماعي، ومصدرها دايمًا هتلاقيه النسوان الفاضية بتوع النوادي، لكن الحقيقة كانت غير كدة تمامًا... واستعانت بجوزها البلطجي اللي فاكر نفسه سوبرمان، لما طالبتها بحقي في الشركة. لكن سبحان الله ربنا بيسلط أبدان على أبدان... الاتنين يستاهلوا بعض.

- إزاي؟!

- هو فاكر إنها محترمة، لكن أنا بحمد ربنا إنه خلصني منها وهو اللي لبسها. كفاية سيرته اللي على كل لسان دلوقت. كفاية شكله وهو قاعد مع ممثل وجسمه عليه عرق الهانم مراته... كفاية كرامته اللي متبعترة في كل مكان.

- طب هي خاينة تمام مش هنختلف... تفتكر هي ممكن تقتل؟! فأجابه بدون تردد.

- ليه لأ؟ هو القتل حاجة صعبة؟

- بمعنى؟

- بمعنى إن اللي تخون ممكن تعمل أي حاجة عادي.

شكره زياد مشيرًا له أن يرحل، وحين خرج من المكتب وجد أمامه زوج شيرين الحالي، كريم عفت، جالسًا على كرسي في الغرفة المجاورة، ألقى نظرة على كريم الذي لوح له بإشارة بذيئة بإصبعه، فاقترب منه خطوتين قائلاً:

- سبحان الله ما جمع إلا أما وفق.. قالها ثم أطلق ضحكة بها بعض سخرية مما أثار غضب كريم الذي نهض وأمسكه من ياقة قميصه وهو يشتمه بأقذع الشتائم بصوتٍ عالٍ، فهرع إليهما عسكري محاولاً الفصل بينهما، بينما خرج زياد من غرفته وفصل بينهما بسهولة وقد استنبط أن الطرف الثاني هذا لا بد وأن يكون زوجها، قال لهما بنبرة حادة:

- إيه ده يا جدعان إحنا في قسم مش في نادي الصيد... تحبوا تباتوا في الحجز انتوا الاتنين إن شاء الله؟! –وجه كلامه لعصمت– إمشي يا عم عصمت شوف حالك.. واستنى تليفوني هحتاجك تاني.. أعطى العسكري ورقة فئة مائة جنيه وأمره أن يذهب إلى المطعم المجاور ليشتري له وجبة نصف فرخة وربع كفتة، ويشتري لنفسه بباقي المائة جنيه ما يريد، ثم طلب من كريم أن يدخل مكتبه، فتبعه إلى الداخل وأغلق العسكري الباب عليهما، في الداخل لم يشر زياد لكريم بالجلوس وإنما وجه له كلامه وهما واقفان بصوت خافت، وقد بدا كريم هادئًا منصتًا:

- بص يا كريم انت شكلك ما شاء الله شاب طول بعرض بحلاوة، خد الكلمتين دول من أخ كبير –ساد الصمت بينهما لثانيتين تلاقت فيهما عيناهما وقال له زياد بنبرة ودية– خلي بالك من بيتك.

- مش فاهم حضرتك، اوعى تكون صدقت الشمام.. ده مبرشم سعادتك أنا كان نفسي تعمله تحليل هتعرف إنه بيضرب كل حاجة، أنا متأكد إنه جايلك التحقيق وهو سكران.

- يا عم بطل اندفاع شوية واشتري مني سيبك منه –أخرج سيجارة من علبته وأعطى أخرى إلى كريم الذي وضعها في فمه وأشعلها وأشعل له سيجارته ثم استكمل زياد كلامه- خد بالك من بيتك وماتسيبش الدنيا تهرب منك، وخلي عنيك في وسط راسك.

- حاضر يا فندم. رغم إني عارف هو قالك إيه. شيرين آخرها خالص تلعب قمار أو تشرب، غير كدة لأ.. ولو شفتها وسط مليون رجل استحالة أصدق إنها ممكن تخون. أنا ممكن أأكدلك إنه كداب ابن كدابة.

- لأ.. لو عاوز حاجة هتأكد منها بنفسي. يللا روح انت. استلم مراتك ومعاكم المتر هيخلص باقي الإجراءات.. أنا ماقلتلكش حاجة.

بينما خرج كريم أمسك زياد هاتفه ليتصل بعلاء شكري ليسأله عن سبب عدم حضور هند الراوي طليقة شريف، فأخبره أنها اعتذرت عن الحضور وستأتي غدًا لأنها غير مؤهلة لأي استجواب بسبب حالتها النفسية وحزنها، أغلق المكالمة وأخذ يبحث عن رقمها قائلاً:

- حالتك النفسية وحزنك إيه يابنت الجزمة ده انتي تلاقيكي ما صدقتي.

إلى أن وجد رقمها فاتصل بها، ردت عليه وكانت منهارة من البكاء، عزاها ثم استأذنها بلهجة آمرة أكثر منها إلحاح أن يزورها اليوم، فوافقت.

بينما أغلق المكالمة جاء العسكري ومعه الوجبة، جلس زياد وتناولها في عجالة ثم أخذ سيارته قاصدًا التجمع الخامس، حيث تقطن هند الراوي في فيلا والدها المهيبة، أخبر الخادمة أنه سوف يُفضِّل انتظارها في حديقة الفيللا، لم تمر عشر دقائق حتى نزلت له هند مرتدية نظارة شمسية، حين وقعت عيناه عليها وجدها امرأة أخرى، مختلفة تمامًا بدون مكياج، قدم لها العزاء قبل أن يبتدر في الكلام:

- ماكنتش أحب نقعد قصاد بعض القعدة دي يا هند، لكن انا دلوقت أدام شوية احتمالات واتهامات، لكن انتي عارفة إني أكيد مش حابب أستجوب وأحقق معاكي. لكن عاوزك تقوليلي الحقيقة...

التقطت منديلاً تمسح به دموعها وأنفها قائلة: حقيقة إيه يا زياد اللي عاوزني أقولهالك؟!

- هسألك سؤال مباشر وساذج.. انتي ليكي يد في قتله؟! سألها وعيناه محدقتان على ملامح وجهها، فأجابته مندهشة..

- أقتله؟!! لا طبعًا.. وعارفة إيه اللي بيدور في دماغك؛ لأني لو كنت عملت كدة كنت هقولك نفس الإجابة برضه لأ... محدش بيعترف على نفسه إنه قتل إلا لو كان مجنون، لكن أنا عارفة إنك أقوى من أقوى جهاز كشف كذب، وعارفة إنك ماهر في علم الفراسة ولغة الجسد زي شريف الله يرحمه، وهتعرف إن كنت كذابة وللا لأ...

- وعشان أنا عارف إنك عارفة ده منا ممكن أقول إنك اتمرنتي كويس على إن كذبك ميتكشفش.

نزعت نظارتها ووضعتها على المنضدة أمامهما: ماتتعبش نفسك من التفكير كتير، حقق معايا وأكيد هكون سعيدة لما تلاقي القاتل. هو مهما كان طليقي وكان بيننا عشرة وطبعًا هو أبو ولادي.

قاطعها: والوريثة الوحيدة له، ودلوقت انتي المتهمة الأولى في قتله يا هند.

- ماقتلتوش، في نفس اليوم ده من الصبح لبالليل كنت مع بابا في المستشفى، وتقدر تتأكد من ده بكل سهولة.

- إيه سر خلافـ.. قطع زياد كلامه حين جاءت الخادمة حاملة صينية عليها فنجان قهوة وضعته أمامه وانصرفت ثم استكمل زياد كلامه: - إيه سر

خلافكم الفترة الأخيرة؟

- كنت عاوزة منه تلتوميت ألف جنيه كان خدهم مني من سنتين ومردهومش، ومش عاوز يردهم، وأنا مكنتش عوزاهم ليا أنا كنت عوزاهم برضه عشان مصاريف مدرسة الأولاد. منا مش هفضل أصرف من فلوس بابي، غير إن الـ ١٥ ألف بتوع كل شهر مش بيعملوا حاجة وانت عارف مصاريف مدرسة الأولاد... تذكر حينها أولاده، مثل تلك الأيام كان من المفترض أنه يجهز لمدرستهم، يأخذهم ليشتري لهم متطلبات المدرسة ومصاريفها و... شعر أنه سيشرد بعيدًا فانتزع نفسه سريعًا من التفكير في هذا الأمر وهز رأسه بانفعال ليعود بتركيزه إلى التحقيق مع هند التي شعرت أنها جرحته بكلامها فاستدركت: أنا آسفة يا زياد.. ماكانش قصدي. الله يرحمهم.

- ونعم بالله... ولا يهمك... طيب نرجع لموضوعنا. لقينا جثته في غرفة الجاكوزي منزوعة القلب والعينين، عندك تفسير لدة يا هند؟!

- جاكوزي؟ جاكوزي إيه ده مش فاهمة؟! سألته مشدوهة وقاطبة حاجبيها.

- انتي ماتعرفيش إنه عمل غرفة في الدور اللي فوق للجيم والجاكوزي والساونا؟

- لأ ورحمة أمي ما أعرف، لسة أول مرة أعرف منك دلوقت..!

شرد حينها متذكرًا المكالمة التي دارت بينه وبين لمياء التي أخبرته أن هند تعلم أنه قد أنشأ صالة جيم وجاكوزي في الطابق العلوي.. ترى، هل ثمة علاقة بين لمياء وشريف سند؟! سأل نفسه ثم عاد بذهنه مرة أخرى إلى هند الراوي، سألها وهو مضيق عينيه:

- ماكنتيش تعرفي؟

- لأ والله.. عملها إمتى؟

- من فترة.. المهم ده مش موضوعنا. هتواصل معاكي تاني عشان شوية إجراءات.

- أوكي... وآسفة كمان مرة يا زياد، وآسفة كمان لموضوع طلاقكم، قدر الله وماشاء فعل، وأكيد ده أحسن لكم. ربنا مش بيجيب حاجة وحشة.

رد عليها بابتسامة واستأذنها بالرحيل، ركب سيارته ولم يدر محركها، جلس قليلاً يفكر فيما قالته له لمياء.

- ياترى يا لميا عرفتي إزاي بوجود الأوضة دي في فيلته..! يا ترى كنتي على علاقة معاه؟! هل ليكي يد في قتله؟!... ظل مستغرقًا في تفكيره إلى أن أمسك هاتفه كالمجنون واتصل بها، لم ترد عليه في المرة الأولى لكنه اتصل بها بعدها مباشرة عدة مرات حتى أجابت عليه، كان سيسألها مباشرة عن معرفتها بما أخبرته به، لكنه آثر أن يسألها وجهًا لوجه، ليفاجئها ويقرأ في تلك اللحظة تعبيرات وجهه أو ما سيصدر منها.

- انتي فين دلوقت؟ وبتعملي إيه حالاً؟

- وانت مالك أنا فين وبعمل إيه؟ هو في بيني وبينك أي علاقة بتربطنا ببعض لاسمح الله عشان تحقق معايا؟ انت شارب؟!

- عاوزك في موضوع مهم... وهقابلك دلوقت...

- أنا مشغولة دلوقت ومش هينفع نتقابـ...

قاطعها منفعلاً: قلت لك.. هقابلك دلوقت... وللا تحبي أجيبك القسم على ملا وشك يا روح أمك؟

ساد الصمت بينهما للحظات حتى قطعت ذلك الصمت: قابلني في النادي بعد ساعة.

ما إن أغلق الهاتف حتى جاءته مكالمة أخرى، وكان المتصل هذه المرة دكتور رمزي، والذي أخبره أن نتيجة الـ DNA متطابقة بينه وبين مروة تثبت أبوته لها، شكره زياد وأعطاه عنوان بريده الإلكتروني على GMAIL ليرسل له النتيجة بصيغة PDF .

ابتسم زياد حينها وشعر بمسام جسده تتفتح، وأن هواءً منعشًا لا يعلم من أين أتى قد لفح صفحة وجهه، أمسك هاتفه ليتصل بمروة ويخبرها لكن هاتفها كان مغلقًا، لم تمر خمس دقائق حتى استقبل إشعارًا برسالة قد وردت له للتو من الطبيب، فتح الملف ورغم معلوماته الضئيلة لكن خبرته كضابط مباحث جعلته يستطيع قراءة نتيجة التحليل بنفسه، وما تؤكده على إثبات أبوته لمروة.. التي لا تصغره بالكثير! فكرة غريبة ومجنونة، لكن عليه أن يتكيَّف معها ويتقبلها بداية من الآن وصاعدًا، ابتسم مرة أخرى حين رأى في ذلك تعويضًا من الله عن أولاده الذين راحوا ضحية منذ عام ونصف، ورغم أنه لن ينساهما، ولن يعوضهما أي شيء في هذه الدنيا، لكنه اعتبر بالفعل أن رحمة كبيرة من الله مجيء مروة في ذلك الوقت بالذات، والذي يعتبر أكثر وقت هو فيه وحيد، بعدما فقد أولاده، وتخلَّت عنه زوجته وطلبت الطلاق رغم كل توسلاته لها، انتبه من هيجان خواطره وجولان أفكاره حين

تذكر أنه على موعدٍ معها، وأجل الاتصال بمروة حتى يستقبل رسالة بأنها قد فتحت هاتفها.

أدار محرك السيارة وهم لينطلق، لكن رن هاتفه فوجد أن المتصل المقدم علاء عاشور، والذي أخبره أن دكتور حازم نجيب كتب في تقريره أن الآلة المستخدمة في قطع ضلع في القفص الصدري، من المحتمل أن تكون منشارًا كهربائيًا، ويوجد منه أنواع صغيرة الحجم تعمل ببطارية ولا تصدر صوتًا عاليًا، وربما يكون القاتل قد استخدمه، وأخبره أيضًا أن هناك مئات المحلات التي تبيع مثل هذا المنشار، ولن يفيد السير في هذا الاتجاه في أي شيء، شكره زياد وأعطاه اسم «خالد شعبان إمبابة» أخي مروة، وطلب منه عمل تحريات عنه، ثم أدار محرك السيارة مرة أخرى قاصدًا النادي حيث وجد لمياء هناك تنتظره وهي تحتسي قهوة وسيجارة، كان أول مرة يراها تدخن، رغم ذلك لم يبد لها أي اندهاش. جلس أمامها مباشرة موجهًا عينيه في عينيها ليسألها بدون أي مقدمات: عرفتي منين إن شريف عامل غرفة جيم وجاكوزي في فيلته؟!

سكتت لثانيتين أو ثلاث ثواني بينما كان معلقًا نظره عليها، لكنه لا إراديًا سرح فيهما وشرد هائمًا، متذكرًا أشياء كثيرة حدثت بينهما، تلك العينين اللتين طالما أحبهما، طالما استمتع برؤيتهما، طالما قبلهما وطالما رآهما تغمضان حين كان يضاجعها، سرح في عينيها اللتين كثيرًا ما كان يستمتع بمراقبتها وهي تفتحهما حين تستيقظ وتجده مستيقظًا قبلها يتطلع إلى صفحة وجهها الصبوح، تلك العينين الـ... شعر في بداية الثانية الرابعة أنه بدأ يسرح أكثر وينسى ما أتى من أجله، أغمض عينيه وهز رأسه بقوة محاولاً إفاقة نفسه وانتزاعها من ذلك الشرود، ورغم أنها شعرت بذلك لكنها لم تأبه وأجابته بثقة:

- هند الراوي... هند الراوي هي اللي قالتلي ... مانا قلتلك... بس انت ليه بتسأل؟

- عشان حققت معاها وقالتلي إنها مكانتش على علم بالموضوع دة، وأنا بصراحة كدة بقى صدقتها. مخبية عني إيه يا لميا؟ عرفتي منين موضوع الجاكوزي دة؟ قوليلي دلوقت واحنا قاعدين بشكل ودي في النادي وبنشرب قهوة بدال ما أعرف بطريقتي.

- مافيش حاجة... وفعلا أنا مش فاكرة.. سكتت قليلاً ثم استطردت: هو انت بتتهمني بحاجة يا زياد؟ هو انت طلبت تشوفني وتقابلني عشان تتهمني إني كنت على علاقة بيه؟!

- أو قتلتيه..!

نهضت منفعلة قائلة له بنبرة حادة: انتهى الكلام بيني وبينك يا زياد... وأي اتهام عاوز توجهه ليا هيكون رسمي، وفي حضور أخويا والمحامين بتوعي.

قالتها ورحلت بينما وقعت عيناه على فنجان القهوة الذي كان أمامها ولم تشرب منه سوى رشفتين، أمسك الفنجان وظل يتأمله، في نفس الوقت الذي عادت فيه لمياء مرة أخرى: طالما انت حلو كدة وشاطر، حاول توفر ذكاءك ده في القبض على اللي اغتصبني قدام عينيك وقتلوا ولادنا...! باي...

ثم رحلت مرة أخرى دون أن يرد عليها زياد الذي سقط منه الفنجان على الأرض فهرع إليه النادل وانحنى ليلملم بقاياه، فأمسك زياد مرفقه وأقسم إنه هو الذي سيلملم قطع الفنجان، قبل أن يخرج من جيبه ورقة فئة مائة جنيه ويعطيها له طالبًا منه كيسًا بلاستيكيًا، فشكره النادل وذهب ليحضر له الكيس، فأخذه منه وطلب فنجان قهوة مضبوطًا، وما إن رحل النادل حتى وضع زياد الفنجان المنكسر داخل الكيس، ثم التقط من المطفأة التي أمامها عقبي السجائر اللذين فيها، ورحل قبل أن يعود النادل ومعه القهوة التي طلبها زياد فلم يجده.

ركب زياد سيارته متجهًا إلى مصلحة الطب الشرعي وأعطى تلك الأدلة إلى حازم نجيب كي يطابقها بأعقاب السجائر التي وجدوها هناك، ويستخدم فنجان القهوة ليرفع بصمة الـ DNA من عليه ويطابقها بأي عينة أخرى وجدها في مسرح الجريمة، فأخذ حازم منه تلك الأدلة وهو يسأله:

- كنت عاوز أعرف هنطلع تصريح دفن جثة شريف إمتى يا زياد؟

تذكر زياد حينئذ ما كان مكتوبًا على زجاج السيارة «متدفنش جثة شريف دلوقت..» فأجابه على الفور: مش هندفنه دلوقت، هنحتاج الجثة شوية، استنى أربع خمس أيام أو ممكن أسبوع يا زوما..

- تمام.. بس قوللي، انت جبت أعقاب السجاير والفنجان دول منين؟ أكيد مش من مسرح الجريمة.

- هبقى أقولك بعدين، المهم خليهم معاك كأدلة مرجعية، وافحصهم، ولو لقيت إن لها علاقة بأي حاجة اتوجدت في مسرحة الجريمة عرفني على طول... أنا همشي دلوقت وعلى تليفون.

بينما كان في المصعد أخرج هاتفه من جيبه واتصل بمروة ليبشرها بنتيجة تحليل الـ DNA لكنها لم تُجِب، فركب سيارته بعد أن حمد الله أنه لم يجد فيها ورقة أو رسالة مجهولة.. وذهب إلى السوبر ماركت ليشتري بعض المستلزمات للبيت لأن مروة في الفترة القادمة ستقيم معه.

مرت حوالي ساعة، كان قد وردته رسالة، توقع أنها ستكون إشعارًا من شركة المحمول بأن هاتفها قد فُتِح.. لكن الرسالة لم تكن كذلك، بل كانت من رقم ليس مسجلاً لديه.. رسالة لم يفهم معناها أو مقصد مرسلها بالتحديد:

افتح موقع صراحة هتلاقيني باعتلك رسالة، ومتحاولش تضيع وقتك في البحث ورا الرقم دة

سرح قليلاً في فهم فحوى هذه الرسالة ومع ذلك اتصل مباشرة بالرقم فوجده مغلقًا.

- طبعًا هتكون قافله وأكيد رميت الخط، وطبعًا اخترت موقع صراحة تراسلني من خلاله عشان مش بيبين هوية الراسل. وتبعت زي ما أنت عاوز وأنت قاعد في مكانك أحسن من إنك تسيبلي رسايل على عربيتي

اتصل بعدها دون تفكير بأحد أصدقائه في وزارة الداخلية قسم المعلومات، أعطاه الرقم وطلب منه أية معلومات عن هذا الرقم والاسم المسجل به، فطلب منه صديقه الانتظار قليلاً ليعمل على طلبه، سأله زياد هل يستطيع معرفة هويّة أي مرسل قد يراسله من خلال موقع صراحة، فقال له صديقه إن هذا الأمر صعب ومعقد، فأغلق زياد الهاتف منتظرًا رده وحاول فتح الإنترنت ليدخل على موقع صراحة الخاص به، لكن الإنترنت داخل السوبر ماركت ضعيف جدًا، فخرج بعد أن دفع قيمة ما اشتراه ودخل سيارته وأمسك هاتفه الذي استقبل رسالة للتو بأن مروة قد فتحت هاتفها، خرج من الرسائل وولج موقع صراحة لكن حال دون ذلك اتصال مروة به، والتي تحدثت معه بصوت مرتجف:

- آسفة لسة فاتحة الموبايل دلوقت، كنت قفلاه طول اليوم وماكنتش عارفة أكلمك، ولا عارفة أخرج من المستشفى أتواصل معاك بناء على التعليمات إننا كلنا نقفل تليفوناتنا.

- غريبة، ليه كل ده يعني؟ -في هذه الأثناء جاءته مكالمة أخرى تم تحويلها بخاصية الانتظار، نظر زياد إلى الشاشة فوجد أن المتصل علاء عاشور فاستكمل كلامه لمروة- ومالك صوتك متغير كدة ليه يا مروة؟ في إيه مالك ردي؟

- حصلت عندنا جريمة قتل، الدكتور الجراح اللي قلتلك عليه اللي كان بيتحرش بيا، لقوه في أوضته مقتول ومتشوه، أنا خايفة جدًا..

- طب اهدي.. اهدي.. أنا جايلك حالا خليكي مكانك.

أغلق الهاتف فاتصل به المقدم علاء مرة أخرى، فأجاب على الفور: زياد بيه، أنت فين أنا بتصل بيك؟!

- أنا هنا في محيط المهندسين.. في إيه؟!

أجابه علاء: في بلاغ بحدوث جريمة قتل في مستشفى في المهندسين. مشابهة لجريمة قتل شريف.. المجني عليه..

قاطعه زياد مستكملاً بدلاً منه: دكتور جراح في مستشفى السلام بالمهندسين، عرفت.. أنا في الطريق ليهم... قابلني هناك بعد نص ساعة.

انطلق زياد متجهًا إلى المستشفى وكان هناك في غضون خمس وعشرين دقيقة، قبل أن يتصل به صديقه في وحدة المعلومات ليخبره أن الرقم الذي أعطاه له ليس مسجلاً بأي اسم، ولكن آخر إشارة التقطها له في محافظة الجيزة، وتحديدًا بمنطقة المهندسين، شكره زياد ونزل من سيارته، تذكر موقع صراحة الذي من المفترض فيه رسالة له، أخرج هاتفه وولج الموقع فوجد بالفعل رسالة:

عاوز تعرف مين القاتل؟! إطلع المستشفى وخد إجراءاتك، عاين مسرح الجريمة..

اتعب شوية... وهقولك بعدها على القاتل.. بعد الفاصل...

- آه يابن المرة المجنوووونة.. قالها بصوتٍ عالٍ وكاد يلقي بالهاتف في الأرض ليحطمه لكنه آثر التحكم في نفسه، أغمض عينيه لثواني كي يهدئ نفسه قبل أن يدخل المستشفى التي كان يقف على بابها ثلاثة عساكر وأمين شرطة ألقى عليه التحية حين رآه وأخذه إلى الطابق الرابع حيث وجود الجثة، أخذ زياد يجول بناظريه في أنحاء المستشفى ليعرف موضع الكاميرات المثبتة، قابله علاء عاشور عند المصعد فصافحه قائلاً له في عجالة: خليهم يفرغوا الكاميرات كلها عشان نشوفها...

- أوامر سعادتك يا زياد بيه.. أنا استدعيت فريق البحث الجنائي ووصل من خمس دقايق و...

قاطعه زياد بنفس النبرة: تمام تمام.. اقفل مداخل ومخارج المستشفى... والتفت إلى أمين الشرطة: الجثة في الدور الكام يابني؟

- في الدور الرابع سعادتك... قالها وهما يدخلا المصعد، في نفس الوقت الذي وصل فيه فريق البحث الجنائي إلى مسرح الجريمة، حيث جثة دكتور جراح رأفت الميهي ملقاة في غرفته، على ظهرها، منزوعة القلب والعينين، ما إن رآه زياد حتى أدرك أن هناك قاتلا محترفًا، يعي تمامًا ما يفعله.

- يا ترى مين ده اللي بيعمل كدة؟! وإيه العلاقة بين شريف وبين الدكتور دة!! وإيه المغزى من نزع الأعضاء بعد القتل.. وبالذات القلب والعينين! سرح قليلاً محاولاً إعادة قراءة الرسالة التي أرسلت له في موقع صراحة، لم يكن بحاجة إلى فتحها، لأنه حفظها عن ظهر قلب.

عاوز تعرف مين القاتل؟! إطلع المستشفى وخد إجراءاتك، عاين مسرح الجريمة..

اتعب شوية... وهقولك بعدها على القاتل.. بعد الفاصل...

جاءه أحد العساكر وأخبره أن مدير الأمن بالمستشفى قد طلب من أفراد الأمن تفريغ الكاميرات. فأومأ له برأسه أن يذهب وسوف يتبعه بعد قليل.. أخرج سيجارة من علبته وأشعلها في نفس الوقت الذي ومضت داخل عقله آخر جملة في الرسالة..

بعد الفاصل

استنبط أنه من المؤكد قد تم إرسال رسالة أخرى له، أخرج هاتفه وفتح موقع صراحة ليجد بالفعل قد وردته رسالة جديدة.

مسرح الجريمة فيه دليل يثبت إنك القاتل، القتيل اتحقن بحقنتين مخدر، الحقنتين جوة الأوضة.. الحقنة الأولى عليها بصمات القاتل، والتانية عليها بصماتك انت... مش عارف أقولك مكانها وللا لأ.. سيبني أفكر

شعر بالعرق يقطر فوق ظهره، وأن المكان يلف به، فكر لثوانٍ ماذا يفعل؟ هل يخبر رئيسه بفحوى هذه الرسائل؟ قرر أنه يجب إخباره بها فور وصوله، كي يحمي نفسه أولاً من أي توريط في هذه الجريمة، وثانيًا ليفوّت على هذا المجنون فرصة أن يتفاوض معه أو يعقد معه أي صفقة، انتزعه من تفكيره رنين الهاتف وكان المتصل مروة التي نسي تمامًا أنها محجوزة في المستشفى، رد عليها وسألها أين هي فأخبرته أنها مع طاقم الممرضات في الغرفة الخاصة بهن بآخر الممر في الطابق الرابع، نفس الطابق الذي به الجثة، مدَّ بصره إلى آخر الممر فوجد بابًا أزرق يمينًا وبابًا أبيض يسارًا، سألها أي باب فأخبرته أن الباب الأزرق هو الخاص بغرفة الممرضات.

أغلق الهاتف وفكر هل يخبرها بنتيجة تحليل الـ DNA الآن أم لا.. وهل أبوته لممرضة تعمل في مستشفى حدث فيه جريمة قتل سوف يجلب له أي نوع من الشبهات؟! وما هذا الدليل الذي قد يدينه أو يورّطه في هذه الجريمة؟! وهل إذا أخبر رئيسه بكل ما حدث وعرض عليه الرسائل التي وردته من هذا المجنون سيصدقه؟ من الممكن أن يصدقه لولا وجود مروة في هذا المستشفى كممرضة، ولكن ماذا لو علم بأنها ابنته ومن المؤكد أن خبرًا

كهذا حتمًا سوف ينتشر قريبًا.. شرد متعمقًا في الأمر أكثر وأكثر، هل من الممكن أن تكون مروة هي من قتلته وهي من تبعث له هذه الرسائل؟! هل هذا معقول؟! نعم.. ولم لا؟ ألم تخبرني من قبل أن هذا الطبيب حاول مضايقتها والتحرش بها؟! ترى، هل من الممكن أن تكون هي من قتلته فعلاً؟ من هذه الفتاة التي ظهرت فجأة من العدم؟ ومنذ ظهورها والمصائب تحل عليه من كل صوب وجهة؟ هي ابنتي بالفعل، ولكن ظهورها ليس مريحًا بأي حال.

فتح هاتفه وولج موقع صراحة لعله يجد رسالة جديدة تفيد بوجود الحقنة التي عليها بصماته، وبالفعل وجد رسالة قد وصلته منذ دقيقة واحدة، لم يقرأها وهرع إلى غرفة الممرضات أولاً ليفحص هاتفها فجأة، ويفتشها ذاتيًا، دخل الغرفة فوجد هاتفها موضوعًا أمامها وجالسة على كرسي بجوار دولاب، وثلاث ممرضات أخريات جالسات على سريرٍ في آخر الغرفة، أمسك هاتفها وحقيبتها وطلب منها أن تلحق به إلى الغرفة المجاورة المواجهة، الخاصة بالأدوية والعقاقير، وما إن دخلت وراءه حتى أغلق الباب عليهما ثم فحص هاتفها والبرامج المثبتة عليه وآخر مواقع دخلت عليها من المتصفح... إلخ، ثم فتش حقيبتها بحثًا عن أي هاتف آخر أو أي شيء غير طبيعي فلم يجد شيئًا يلفت انتباهه سوى دبلة ذهبية منقوشًا عليها من الداخل «أيمن» سألها بفضول:

- إيه دة! انتي مخطوبة من إمتى؟!

- كنت... كنت مخطوبة لواحد اسمه أيمن محمد كان شغال هنا موظف استقبال من فترة، بس رفدوه من المستشفى بسبب خلاف بينه وبين دكتور رأفت، رغم إنهم كانوا سمنة على عسل.

- سمنة على عسل؟! موظف استقبال ودكتور جراح كبير؟ ازاي؟!

- أيمن كان دراعه اليمين وكان بيظبط له كل يومين تلاتة سهرة، ودة سبب إننا انفصلنا، البيه كان عاوزني أعمل معاه علاقة عشان أطلع منه قرشين نتجوز بيهم. لطشته بالقلم وقلتله مشوفش وشك تاني.

سألها عن سبب احتفاظها بدبلته إذن.. فأجابته أنها كانت تنوي بيعها لأنها تمر بضائقة مالية، استكمل التفتيش في حقيبتها فلم يجد أي شيء آخر، حتى تأكد بنسبة كبيرة أنها بعيدة عن الموضوع، وضع بعد ذلك حقيبتها أمامه ثم نظر لها بعينين شاخصتين قائلاً بصوت خافت ووجه يكسوه بعض ملامح الجدية: انتي عارفة إن نتيجة التحليل ظهرت؟ لمعت عينيها وسألته بفضول:

- بجد؟ وطلعت إيه؟

أجابها مبتسمًا بنبرة هادئة: إيجابية... النتيجة إيجابية... انتي بنتي..

لمعت عيناها أكثر: كنت حاسة والله، لكن دلوقت بعد ما اتأكدت وانت كمان اتأكدت وصدقتني معتقدش في حد في الكون ده كله أسعد مني.

- الدكتور الجراح اللي اتقتل ده هو اللي كان بيتحرش بيكي؟

- أيوة هو... ومعملش كدة معايا لوحدي، ادخل اسأل كل الممرضات اللي جوة وهما هيقولولك هو حيوان قد إيه.

- انتي اللي عملتي كدة يا مروة... قوليلي الحقيقة. أمسكها من ذراعيها مكررًا سؤاله بانفعال: قوليلي الحقيقة وهحاول أساعدك ماتقلقيش... هظبطلك الليلة كلها بس قوليلي كل حاجة.

مسحت دموعها وقالت له بصوت مبحوح: ورحمة أمي ما قتلته، والمصحف الشريف ما قتلته أحلفلك بإيه تاني.

سكت لثوانٍ ثم سألها أين كانت وقت ارتكاب الجريمة واكتشافها، فأخبرته أنها طوال اليوم كانت في الطابق العلوي بقسم العناية المركزة وغسيل الكلى، وأنها كانت تنقل مريضة وتتابع حالتها حتى سمعت صراخ زميلتها حين دخلت غرفته ووجدته مقتولاً، هز لها رأسه وهو يخرج هاتفه ليقرأ الرسالة التي وردته منذ قليل ليعرف ما الجديد، فقرأ الرسالة التي كان نصها:

الرسالة دي عشان أثبتلك إني مش عاوز أورطك.. مع إني أقدر.. الحقنة فوق الدولاب اللي جنب سلة المهملات...

طلب منها أن تعود إلى غرفة الممرضات، وهرع إلى الغرفة التي بها الجثة، وفريق الأدلة الجنائية الذي ما زال يعمل هناك على قدمٍ وساق، محاولاً رفع كل البصمات وتجميع أي دليل قد يكون مفيدًا في معرفة القاتل. دخل متظاهرًا بمتابعتهم وأخذ يسألهم عدة أسئلة، هو نفسه لا يدري ماذا قال لهم، وقعت عيناه على الدولاب الذي يقف بجواره أحد أعضاء الفريق ممسكًا بمطفأة عليها أعقاب سجائر يتفحصها، قال له زياد:

- عاوزك تحط كل عقب من أعقاب السجاير دي في كيس منفصل عن الباقي.. انت لقيت كام سيجارة؟

- سبع سجاير يا زياد بيه.

- شكله كان حريقة سجاير الله يرحمه... المهم زي ما قلتلك.

قالها والتقط كرسيًا ووضعه بجوار الدولاب ووقف عليه متظاهرًا بمحاولته إيجاد أي دلائل، حين وقف عليه وقعت عيناه على سلة المهملات، والحقنة

التي بداخلها، والتي أخبرته الرسالة أنها تحتوي على بصمات القاتل، طلب من رجل آخر في الفريق أن يلتقط هذه الحقنة:

- ارفع البصمات اللي على الحقنة دي دلوقت، حالاً.. مستني النتيجة في أقرب وقت.

أومأ له الرجل بالإيجاب وانحنى ليمسك الحقنة من السن، ووضعها على المنضدة ليعمل على رفع أي بصماتٍ عليها، في نفس الوقت الذي كان يدق فيه قلب زياد بقوة حتى كاد يخرج من صدره حين اشرأب ليرى الحقنة الملقاة فوق الدولاب، أمسكها بيدٍ واحدة ونزع عنها السن المدبب، ألقى بطرف عينيه نظرة إلى كل من في الغرفة فوجدهم منهمكين في عملهم، لكنه رأى الجثة قد حركت يديها، ثم استندت على كوعها ونهضت، أخذ يرمش بعينيه كي يزيح من مخيلته هذه التهيؤات ووضع بسرعة البرق الحقنة في جيب قميصه ثم نزل من فوق الكرسي قائلاً:

- مفيش حاجة فوق الدولاب لافتة للانتباه.. ياريت يا شباب محدش يغفل أي تفصيلة في الغرفة هنا. ثم وجه كلامه إلى فرد البحث الجنائي الممسك بالحقنة التي كانت في سلة المهملات: منتظر نتيجة البصمات اللي على الحقنة دي.

قالها ثم خرج من الغرفة بسرعة فوجد أمامه علاء عاشور الذي أخبره أن مدير الأمن بالمستشفى يعمل الآن على تفريغ الكاميرات، طلب منه زياد أن يذهب ليحقق مع الممرضات وعمال النظافة، ففعل، وما إن ابتعد عنه حتى أخرج منديلاً من جيبه ومسح جبينه الذي كان يقطر عرقًا باردًا، شعر أنه أبعد عن نفسه خطرًا مُحتملاً مصدره شخص مجنون، أشعل سيجارة ليهدئ من روعه قليلاً واستغل حينها أن الممر لا يوجد به أحد، أراد أن ينقل الحقنة من جيب قميصه إلى جيب بنطاله دون أن تتأثر البصمات التي من المفترض أن تكون عليه، لكنه قبل أن يخرج الحقنة من جيبه فطن إلى وجود كاميرا مثبتة أمامه، ورغم أنه من المحتمل أن تكون تلك الكاميرات خارج الخدمة الآن لأن مدير الأمن بالمستشفى يعمل الآن على تفريغ تلك الكاميرات بحسب كلام المقدم علاء، لكنه مع ذلك توقع أنها قد تعمل، فأدار لها ظهره وبخفة شديدة نقل الحقنة إلى جيب بنطاله قبل أن يلقي بالسيجارة في الأرض ويدوس عليها ليطفئها ثم عاد مرة أخرى إلى غرفة الممرضات فوجد علاء عاشور يحقق معهن، ويسأل إحداهن عن الدكتور رأفت الميهي فأجابته إحدى الممرضات:

- دكتور رأفت الميهي، أشهر من نار على علم، ويعتبر الكل في الكل هنا في المستشفى وبالذات قسم الجراحة، زير نساء، ورغم إنه كل يوم مع واحدة

شكل لكن مش بيفوت أي واحدة جميلة غير لما يحاول يجر معاها ناعم عشان يعمل معاها علاقة على طريقته، معتمد إنه دكتور مشهور وكدة.

تدخل زياد وسألها: له أعداء؟

- معرفش... لكن لو هنعتبر إن البنات اللي حاول معاهم ومعرفش إنهم يكونوا أعداءه سواء ممرضات أو طبيبات فكدة هيكونوا أعداءه كتير، من ضمنهم أنا.. بس أكيد مش لدرجة قتله.

ظل زياد وعلاء لمدة ساعة ونصف يحققان مع كل من في المستشفى، ممرضتان وطبيبة أدلين في أقوالهن إنه قد تحرش بهن من قبل، فيما قال أحد موظفي الأمن بالمستشفى إنه كان السبب في فصل أحد موظفي الاستقبال بعدما نشبت بينهما مشاجرة كبيرة، وأدلت طبيبة في الطوارئ أنه قد تردد منذ عامين أنه كان السبب في انتحار سيدة، كان قد قضى معها ليلة وصورها فيديو ابتزها به وقد أرسله لزوجها بعدما رفضت أن تجلب له صديقتها، وبعدما رأى زوجها الفيديو ظل يضربها لمدة خمس ساعات حتى هربت منه وألقت بنفسها من الدور التاسع.

بعدما انتهى زياد من التحقيق مع معظم العاملين بالمستشفى ترك علاء يكمل تحقيقاته وذهب إلى فريق الطب الجنائي الذي انتهى من رفع البصمات وتحريز أي أدلة قد تفيد في القضية، كان يتحسس كل خمس دقائق الحقنة التي في جيبه، وخشي أن يراها أحد أو يلاحظها فيسأله عنها، فكر ماذا يفعل حتى اهتدى بتفكيره أن ينزل إلى سيارته ويخبئها فيها، استأذن منهما مُتحججًا أنه سيعاين مداخل ومخارج المستشفى ونزل إلى الشارع حيث سيارته، وضع الحقنة أمامه وأخرج من درج التابلوه فرشاة وعلبة بها بودرة وشريطًا لاصقًا، كي يرفع البصمات التي على الحقنة بالطريقة القديمة، غمر الفرشاة في المسحوق ومشى بها في جدار الحقنة الخارجة ونظر بالعين المجردة فلم يجد أية بصمات، أحاطها بشريط لاصق ونزعه مرة أخرى كي يتأكد من أنها لا تحتوي على بصمات، فزاد تأكده ولم يجد بالفعل أية بصمات، فأدرك حينها أنه أمام قاتل محترف يتلاعب به.

أخرج من جيبه علبة سجائره وهاتفه، أشعل سيجارة وهو يفتح موقع صراحة، عله يجد رسالة أخرى، لكنه لم يجد! فانتهى بسرعة من سيجارته بنفس الوقت الذي اتصل به المقدم علاء ليخبره أن مدير الأمن بالمستشفى قد انتهى من تفريغ كل كاميرات المراقبة، وأن مكتبه في الدور الأخير، فقال له إنه سيكون هناك بعد دقيقتين.

أغلق زياد الهاتف وصعد مباشرة إلى غرفة مدير الأمن، والتي بها كنبة جلدية مريحة جدًا، أدرك ذلك حين جلس عليها وشعر أنه يغوص فيها، أخرج

سيجارة من العلبة وهو يلتفت حوله ويسألهم إن كان يوجد هنا أجهزة إنذار حرائق، فأومأ له مدير الأمن أن نعم، لكنه أدرك أنه بحاجة إلى إشعال سيجارة، فأشار إلى أحد الموظفين بأن يغلق نظام الإنذار بالغرفة المكيفة، والتي بها أكثر من ٢٥ شاشة تلفاز.

- اطفي يابني الأجهزة كلها وسيب بس الكاميرات المتركبة في الدور الرابع.. وضع السيجارة بين شفتيه، فمد له أحد أمناء الشرطة يده بولاعة ليشعل له سيجارته، ثم أشار زياد لمدير الأمن أن يشغل الكاميرات الثلاث المثبتة في الدور معًا في وقت واحد، بحيث كل كاميرا تعرض ما تعرضه الاثنتين الأخريين في نفس اللحظة، ويسرعها في وقتٍ واحد حتى يصلوا إلى الوقت الذي حدثت فيه جريمة القتل، كانت الكاميرات تعرض خط سير العمل في الطابق الذي بدا أنه يسير على قدمٍ وساق، وصل الطبيب في تمام الساعة الرابعة والربع ودخل غرفته مباشرة، ثم خرج منها بعد أن ارتدى البالطو الأبيض، ومرَّ على الثماني غرف في حوالي خمس وأربعين دقيقة، وقف بعدها مع إحدى الممرضات في نفس الوقت الذي خرجت فيه مروة ابنته من إحدى الغرف وتدفع كرسيًا متحركًا عليه إحدى الحالات قاصدة وحدة الغسيل الكلوي بالدور الخامس، طلب في تلك اللحظة من مدير الأمن أن يوقف الكاميرا المثبتة في وحدة الغسيل الكلوي بالدور الخامس.

ففعل الرجل ما طُلِبَ منه، فتأكد أن مروة بعدها بثلاثين ثانية دخلت مع السيدة العجوز إلى وحدة الغسيل الكلوي، فتنفس الصعداء حينها، ربما لأنه تأكد من صدقها وأنها بالفعل لم تقم بهذه الجريمة، المهم أنه طلب منهم بعد ذلك أن يستأنفوا عرض كاميرات الدور الرابع، والتي عرضت إحداها الطبيب وهو يتحدث إلى إحدى الممرضات، التفت زياد إلى مدير الأمن يسأله:

- هي الكاميرات دي صوت وصورة وللا صورة بس؟

- لا يا زياد بيه، صورة بس مفيهاش خاصية تسجيل الصوت.

ظل الطبيب يتحدث إلى إحدى الممرضات حوالي سبع دقائق، أمر أحد العساكر أن يحضر هذه الممرضة الآن، فأخذ العسكري الأوامر وانطلق، بينما ما زال زياد معلقًا نظره على الشاشة حين دخل الطبيب غرفته التي لن يخرج منها سوى على نقالة.. منزوع القلب والعينين.

بعد ربع ساعة تقريبًا خرجت إحدى الممرضات من غرفته، بعدها بعشر دقائق دخلت ممرضة أخرى وخرجت صارخة، هكذا بدا له من ملامح وجهها والذعر الذي بدا عليها جليًا، كان ذلك حين قال مدير الأمن:

- هنا، في اللحظة دي يا زياد باشا اكتشفنا جريمة القتل معاليك، لما الممرضة خرجت بتصرخ.

لم ينتبه له زياد، بل طلب منه أن يوقف الكاميرا على الممرضة التي خرجت قبلها، وكانت مرتدية كمامة على وجهها، وربما أصلا لم تكن ممرضة، بل رجل.. القاتل، حجظت عيناه وهو يطلب منهم أن يسترجع آخر عشر دقائق مرة أخرى، بالضبط حين كان الطبيب يتحدث إلى الممرضة، انتقل بعينيه إلى الكاميرات المثبتة فوق غرفة الطبيب من الناحية الأخرى. فتبين له أن شخصًا ما يرتدي ملابس ممرضة وكمامة على وجهه قد دخل الغرفة، لم يستطع زياد أن يحدد بالضبط هل هو رجل أم سيدة.

- وقف الكاميرا كدة..

أوقف مدير الأمن الكاميرات على هذا الشخص وهو يدخل الغرفة أثناء حديث الطبيب مع الممرضة التي دخلت عليهم للتو مع العسكري.

- تحت أمرك يا فندم.

- اسمك إيه؟!

- اسمي إيمان..

- قوليلي يا إيمان... انتي تعرفي الممرضة دي اللي على يمين الشاشة؟ سألها وهو يشير إليها.

نظرت الممرضة إلى الشاشة بعينين نصف مغمضتين محاولة أن تعرف من هذه، لكنها أعربت له عن اندهاشها من ارتداء تلك الكمامة؛ لأنها ليس لها داعٍ من الأساس، وإن حدث وارتدتها إحدى الممرضات وهذا نادر، فليس من الطبيعي والمنطقي أن ترتديها خارج غرف المرضى أو العمليات.

دقق زياد أكثر في صورة الشخص فلاحظ أن الحذاء ليس حذاء سيدة، بل رجل، التفت إلى الممرضة وسألها عن فحوى الحديث الذي كان يدور بينها وبين الطبيب في ذلك الحين.. فأطرقت برأسها وقد شعرت بالخجل، مما جعل زياد يعيد عليها السؤال وهو يوبخها بصوتٍ عالٍ، فارتعشت الممرضة وأخبرته:

- كان بيطلب مني أدخل له الأوضة بتاعته، لكن أنا رفضت والله، والحمد لله إني رفضت، لولا كدة كان زماني أنا المقتولة مكانه دلوقت أو على الأقل كانت جثتي هتبقى جنب جثته..

- معتقدش يا إيمان، مش انتي المقصودة من الليلة دي كلها. قالها بصوتٍ خافت، ثم أشار لها أن ترحل قبل أن ينهض، سألهما مستنكرًا:

- هو الله يرحمه ماكانش عاتق أي حد كدة ليه؟!

اقترب من الشاشة وطلب منهم أن يستأنفوا التشغيل، لقد دخل هذا الشخص بملابس تمريض، وكمامة لتخفي ملامحه التي عجزت الكاميرا أن تعرض شيئًا مميزًا بها؛ لأن الصورة كانت شبه رديئة، لكنه عرف على الأقل أن هذا الشخص دخل أثناء حديث الطبيب مع الممرضة، انتظره بالداخل حتى دخل وأغلق الباب عليهما، نفّذ جريمته وخرج، ممسكًا بالآيس بوكس، ومن المؤكد أنه يحتوي على الأعضاء التي انتزعها منه، ثم خرج من أحد الأبواب الجانبية..

- إيه الباب ده يا حبيبي؟ وبيودي على فين؟ سأل موظف الأمن.

- ده باب الطوارئ معاليك، وبيودي على الدور الأرضي و الجراج. وبيستخدموه غالبًا في خروج النفايات الطبية لعربية في الجراج. طبعا غير حالات الطوارئ لعربيات الإسعاف...

- هاتلي طيب كاميرات السلم أو الجراج...

- مفيش كاميرات فيهم سعادتك.

سرح قليلاً محاولاً التفكير بهدوء قائلاً في قرارة نفسه: حتى لو كان القاتل من برة المستشفى، فأكيد إنه استعان بحد بيشتغل جوة، شخص عارف مداخل ومخارج المستشفى، وأكيد الشخص ده هو اللي جابله اليونيفورم بتاع التمريض.

صاح في مدير الأمن: باشا خلي حد يتصل بالموظف المسئول عن ملابس الممرضات وتوزيعها عليهم... خليه ييجي حالاً.. قالها وقد استكمل كلامه بصوتٍ خافت وكأنه يفكر بصوت عالٍ:

- هو ممكن برضه يكون القاتل على دراية بشكل اليونيفورم بتاع التمريض، بناء عليه فصَّل طقم زيه بالظبط وحط عليه لوجو المستشفى اللي ممكن يتجاب بمنتهى السهولة..

كان ذلك في نفس الوقت الذي حضر فيه أحد فريق البحث الجنائي: - زياد باشا.. إحنا عرفنا هوية القاتل...!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في نفس الوقت...

كان المقدم علاء عاشور في الطابق الأرضي مُنتحيًا بجوار المصعد، مُمسكًا بهاتفه ليتصل باللواء عماد:

- ألو... مساء الفل يا عماد باشا... جالك علم ببلاغ مستشفى المهندسين؟

- أيوة يا علاء.. في إيه؟! عندك تفاصيل جديدة؟

- لا هو بغض النظر عن إن اللي حصل في الجثة هنا هو هو نفس اللي حصل لشريف سند... تشابه وتطابق كبير بين الجريمتين.. لكن مش ده اللي بكلمك عشانه سعادتك..

- أومال؟

- حضرتك في حاجات غريبة بتحصل هنا في المستشفى وملهاش تفسير... أقدر أقابل سيادتك؟

- طيب ماشي... مستنيك...

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- انت اتجننت؟ ازاي الكلام دة؟! سأله زياد وقد فغر فاه من هول الدهشة مما سمع، فأجابه أحد فريق الطب الشرعي:

- زي ما بقولك كدة يا زياد بيه، البصمات على الحقنة اللي وجدناها، وكمان بين صوابع المجني عليه وجدنا شعيرات والتحليل المبدأي بيقول إنه لنفس الشخص.

- ازاااي؟؟ طب اديني عقلك.. ازاي مقتول يقتل مقتول يا جدعان؟ ثواني... قالها ثم دس يده في جيبه ليستخرج الهاتف واتصل بدكتور حازم نجيب الذي أجابه سريعًا:

- بقولك إيه يا عم حازم... هي جثة شريف سند عندك؟

- أيوة أدامي أهي.. ماتحركتش ولا راحت ولا جت... ودة اللي هيجنني لما بعتولي إحصائيات كروموسوم الشعيرات وطابقتها لقيتها متطابقة مع شريف سند الله يرحمه. والبصمات بصماته.

- طب ازاي؟

- هبعتلك جثة الدكتور ده ولو لقيت فيها أي حاجة في التشريح عرفني أول بأول...

أغلق الهاتف ووقف منتصبًا حائرًا أمام فريق البحث الجنائي الذين كانوا لا يقلون عنه في الحيرة، أشار لهم أن ينتهوا من رفع كل الأدلة ويرسلوا الجثة إلى المشرحة.

جلس على أحد الكراسي في الطرقة أمام غرفة المجني عليه وأخرج سيجارة من علبته، في نفس الوقت الذي قدم له أحد العساكر كوبًا من القهوة، احتساها وهو يفكر في منطقية تلك الأحداث، متحدثًا في قرارة نفسه:

- لو كنت شفت الكلام ده في فيلم خيال علمي مكنتش هصدقه...! وبينما كان فريق الطب الشرعي بالداخل ينهون عملهم، جاءه اثنان منهم يسألانه عما سيتم بعد ذلك، فقال لهما بعينين شاردتين: واضح إننا أدام تحدي كبير، والظاهر إننا داخلين على أيام سودة ولعبة كبيرة... ماشي .. تمام... نلعب.. وماله.

كان هذا حين جاء مدير الأمن ومعه الموظف المسئول عن اليونيفورم ونظافته وتوزيعه على طاقم التمريض، سأله زياد بغير اهتمام وبذهن مشوش عن أي طاقم قد فُقِد في الفترة الأخيرة، كان يعلم إجابته قبل أن ينبس بحرف، فأسهل شيء سيخبره به أنه لا يفقد أي شيء، وأن عدد الأطقم معه ليس به أي عجز، وهذا ما أخبره به الموظف بالفعل، فأشار له زياد بيديه أن يذهب، وما زال يفكر في كيفية حدوث ما اكتشفوه، لا يمكن لاثنين أن يحملا نفس البصمة، حتى لو كان توأمًا لشريف...

وقف منزويًا في أحد الأركان يدخن سيجارة أخرى وهو يفكر، حتى مرت خمس دقائق تقريبًا ثم أشار لهم أنه سيرحل، وينقلون الجثة إلى دكتور حازم نجيب في المشرحة.. نفس المكان الذي به جثة شريف...

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ركب سيارته قاصدًا مديرية الأمن، لكنه حين اقترب من هناك وقف بسيارته فجأة، ووجد نفسه غير قادر على استكمال اليوم، شعر بغثيان في معدته متذكرًا أنه لم يأكل أي شيء منذ الصباح بينما دخن اثنين وثلاثين سيجارة، وردت مروة في ذهنه فجأة فاتصل بها يسألها أين هي، فأخبرته أنها مع إحدى زميلاتها في كافيه ستاربكس تواسيان طبيبة معهما في المستشفى، كانت متزوجة عرفيًا من د. رأفت الميهي وهي الآن حامل منه.

- حامل منه؟! اسمها إيه؟

- دكتورة وفاء، دكتورة تخدير عندنا.

- أومال أنا ليه مقابلتهاش؟ بقولك إيه لما نتقابل ابقي احكيلي عنها وقوليلي كل حاجة متعلقة بيها، ومتجبليهاش سيرة أي حاجة بيننا، ولا تجيبي سيرة الموضوع ده دلوقت لأي حد... انتي هتخلصي معاها وهترجعي البيت كمان قد إيه؟

- كمان ساعتين أو ساعتين ونص بالكتير.

أغلق الهاتف مُتذكرًا فتح موقع صراحة بحثًا عن رسالة، فلم يجد سوى بعض الرسائل التافهة من بعض الفتيات اللائي لديه على أكونت الفيس بوك، بعد أن تقاعد بسبب ما حدث لأسرته، كان يقضي معظم وقته على وسائل التواصل الاجتماعي، في البداية كان يكرهها ولا يفهم فيها شيئًا، لكنه تدريجيًا أحب تلك الوسائل، خصوصًا فيس بوك وإنستجرام..

في أحد الأيام قرأ منشورًا نشرته فتاة تستنجد بأصدقائها وتبكي من أنها عرفت شخصًا كانت على علاقة به وخدعها وبدأ بعد ذلك في ابتزازها بالمال مقابل صورها العارية التي أرسلتها له.. كتب لها تعليقًا طلب فيه أن ترسل له بياناته وسوف يسجنه، وبالفعل أجرى اتصالاته بزملائه في وزارة الداخلية قسم الجرائم الإلكترونية، وبعد يومين كان هذا الشاب في السجن بعد أن تم مصادرة هاتفه وحاسوبه المحمول، انهالت عليه عشرات الحالات مثل حالة هذه الفتاة يستنجدون به، وأصبح مشهورًا بعد ذلك.

وبعد تلك الواقعة ازدادت شهرته أكثر، وكلما يضع صورة سواء بملابسه الميري أو الملكي يجد مئات الأصدقاء والمتابعين يضغطون إعجابًا على الصورة، وتدريجيًا أصبح آلافًا، وبعد عام واحد استطاع جذب حوالي ١١٠ ألف متابع، كان ذلك هو سبيله الوحيد في الخروج من عزلته وحزنه واغتمامه، ورغم أنه يستقبل رسائل كثيرة من فتيات يحببن الضباط، وأيضًا نساء مطلقات وأرامل وحتى متزوجات، يعربن فيها عن إعجابهن به وبجاذبيته ومظهره، ومنهن من تطلب منه مقابلته سواء لاحتساء قهوة معه أو يأتين له في المنزل، لكنه وإن كان قد رفض الكثير لكنه يقبل أحيانًا، بشروط معينة...

ألقى الهاتف بجواره وأوصله بشاحن السيارة فجاءت حينها فكرة للتو، اتجه إلى منطقة باب اللوق قاصدًا أكبر متجر لكاميرات المراقبة، عرض عليه أحد المهندسين هناك عدة نماذج من الكاميرات، فلفت انتباهه نوع كاميرا حديث، بحجم الزر، تُثبَّت بسهولة ويسر في أي مكان يريده، وتستطيع التصوير بالصوت والصورة، مع إمكانية استدعاء ما تم تصويره في أي وقت عن طريق تطبيق يثبت على هاتفه ويتصل بها عن طريق الإنترنت، ورغم أنها باهظة الثمن لكنه اشترى أربعًا منها، ثم طلب من المهندس أن يأتي معه

لتركيبها، رغم أن تركيبها سهل لكنه لا يطيق التعامل مع مثل هذه الأمور التي يعتبرها شائكة، فالقبض على قاتل متسلسل بالنسبة له هو أسهل مائة مرة من التعامل مع إلكترونيات أو كهرباء أو أي تصليحات عمومًا، اعتذر له المهندس لأنه لا يستطيع ترك المحل، لكنه اتصل بفني تركيب كاميرات ماهر وأعطاه الهاتف ليمليه العنوان..

لم تمر نصف ساعة حتى وصل بيته وقابل الفني هناك واقفًا ينتظره تحت البيت، ركن سيارته في نفس الوقت الذي اتصل فيه وليد أبو العزم، نظر إلى الهاتف مُتأففًا وقرر عدم الرد ثم أعاد الهاتف في جيبه، فاتصل وليد مرة أخرى فزفر وأجابه مضطرًا:

- أيوه يا وليد بيه.. أؤمرني؟

- كنت بتفكر متردش على مكالمتي؟

- لالالا ازاي، مين اللي قالك كدة؟ قالها متهكمًا.

- معرفش... حسيت... وإلا كنت رديت من أول مرة.

سكت لثانيتين ناظرًا إلى أعلى وقد بدأ صبره ينفد: معلش.. كنت في اجتماع في المديرية واستأذنتهم أخرج أرد عليك.

- تمام... عظيم... عدي لي الشارع بقى عشان عاوزك.

رغم أن وليد كشف كذبه لكنه لم يشعر بالإحراج، أغلق سيارته واشرأب بعنقه فرأى سيارة وليد الذي كان جالسًا بداخلها يلوح له بيده، أقبل على الفني الذي عرفه من حقيبته التي يحملها ومكتوب عليها «الإيمان للإلكترونيات والكاميرات وأنظمة المراقبة».. اعتذر له عن التأخير وطلب منه أن ينتظره خمس دقائق، وعبر الشارع لوليد قائلاً له دون مصافحة:

- وليه الحوارات طيب يا حضرة الرائد...؟ طب افرض إني مش طايق سحنتك ومش عاوز أتكلم معاك.. عندك مانع؟

ولَّى وليد وجهه بعيدًا مبتسمًا ابتسامة ساخرة ثم عاد ببصره إليه مرة أخرى مجيبًا: مفيش أي مانع طبعًا... بس ملوش لزوم التحوير يعني؟

- أنا حر يا حبيبي، وأعمل اللي انا أعوزه.. وبصراحة كدة مش طايقك ولا طايق أشوفك لا أنت ولا أختك.. قال له منفعلاً فرد عليه وليد بلهجة أكثر حدة: أومال ليه طلبت تقابلها؟ وليه كل الأسئلة اللي سألتهالها دي كلها وكإنها في تحقيق؟

- أنا أعمل اللي أنا عاوزه واللي أِشوف إنه يخدم قضيتي، وعشان كان في بيننا في يوم من الأيام عيش وملح وكانت مراتي أنا قلت اسألها بشكل ودي بدون ما استدعيها في مكتبي... ومع ذلك متزعلش نفسك... بكرة إن شاء الله هستدعيها... وأقولك حاجة كمان؟ أنا بشك فيها ومشتبه فيها وبتهمها بالضلوع في جريمة قتل شريف سند.. إيه رأيك بقى؟!

أطلق وليد ضحكة ساخرة: الله الله الله.. إيه الذكاء ده كله يا حضرة الظابط.؟! أنا شايف إنك ما شاء الله زي ما أنت شاطر في شغلك زي ما كنت زمان. وأنا اللي كنت فاكر إن القعدة في البيت والخمرة والفيسبوك والنسوان لحسوا دماغك وخلوك تنسى أصول البحث الجنائي..!

- طالما حوارنا وصل للتريقة فأنا همشي أحسن ما أخلي راسك تحت في الدواسة دي.. همشي عشان بس خاطر العيش والملح و..

سكت قليلاً ثم سحب آخر نفس من سيجارته وزفر تجاهه: أختي عرفت بموضوع الجاكوزي اللي في فيلا شريف عن طريقي.. أنا اللي قلتلها، أنا قلت أجيلك أقولك بدال ما دماغك تروح لبعيد وأزعلك.

- أومال ليه كدبت عليا وقالتلي إنها عرفت من هند طليقته؟

- اتوترت.. اتوترت ليس إلا.. فأنا قلت أجيلك أقولك وأوفر عليك حوارات كتير وعلى فكرة... لو استدعيتها رسمي مش هتجيلك –استكمل كلامه بنبرة أعلى بها وعيد- أخت وليد أبو العزم مش هتدخل أقسام طول منا عايش يا زياد... وبحذرك من التعامل معاها أو الاتصال بيها مرة تانية، كل اللي بينكم انتهى، وكفاية اللي حصلها، أنا قلت أحذرك عشان يبقى عداني العيب لما مخليش في جسمك حتة سليمة.. طبعا ده قبل ما أسجنك.. وانت عارف أنا قصدي إيه كويس..!

شعر زياد بحنقٍ شديد واحمرّ وجهه، طرق على سقف سيارته قائلاً: طب امشي... امشيٍ عشان ماقلش أدبي عليك، ومش زياد ضرغام اللي يتهدد يا وليد يا أبو العزم، وانت عارف كويس إني خلاص مبقاش عندي حاجة أخاف منها... أو عليها.

- لا ازاي... عندك اللي تخاف عليه طبعًا.

قالها ونظر أمامه ليدير محرك سيارته، لكن زياد لم يرتح لآخر جملة قالها فسأله مرتابًا: تقصد إيه من كلامك دة؟ إيه الحاجة اللي عندي وخايف عليها؟

شعر وليد أن ما قاله قد لاقى تأثيره عليه وأنه استطاع التحكم في الحوار، فقال له بعد أن ضحك متهكمًا: فين المساخيط يا زوز؟ فين التمثالين اللي خنصرتهم من حرز شوقي ومنصور النمر؟!

- معرفش انت بتتكلم عن إيه... دس يده في جيبه وأخرج قلمًا ثم كتب على كف يده «مفيش حاجة تديننني» ومد له يده ليقرأ ما كتبه على كفه. فضحك وليد مرة أخرى ساخرًا:

- انت خايف من إني أكون بسجلك؟!.. أطلق ضحكة ساخرة مرة أخرى ثم أنطلق... بصق زياد عليه بعدما ابتعد عنه وأشعل سيجارة قبل أن يعبر الشارع عائدًا مرة أخرى إلى الفني معتذرًا له ثم صعد معه إلى شقته، فتح الباب ووراءه الفني أمام عتبة الباب من الخارج، يضع حقيبته على الأرض وانحنى ليفك رباط حذائه فقال له زياد:

- متقلعش جزمتك يا بشمهندس، أنا مضمنش تلاقيها لما تخرج أنا بحذرك أ...

كان زياد يتحدث إليه وهو يدخل أمامه، وما إن ضغط على مفتاح إضاءة غرفة المعيشة، حتى وجد جثة رجل ملقاة على الأرض...

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في نفس الوقت.. مديرية أمن القاهرة.

بينما وضع الساعي فنجان قهوة بجواره كوب ينسون، قال اللواء عماد بعدما نضب: بمنتهى الوضوح يا علاء... هات من الآخر كدة وقول إنت عاوز تقول إيه؟

- أنا قلت كل اللي عندي يا سيادة اللواء..

- أنت ماقلتش حاجة، بقالك نص ساعة بتقول كلام مش مترتب مش فاهم منه كلمة واحدة.

ابتلع المقدم علاء عاشور ريقه قبل أن يمد يده بعلبة سجائره للواء عماد الذي اعتذر عن أخذ سيجارة، أشعل المقدم علاء سيجارته وحاول شرح ما يقصده بشكل مباشر:

- زياد ضرغام كانت تحركاته النهاردة مريبة ومش مفهومة، بالإضافة إنه خد بنت ممرضة من غرفة الممرضات وانفرد بيها لوحدها في غرفة تانية، عشر دقايق وخرجت. وسمعت طراطيش كلام إنها بنته!

هز اللواء عزمي رأسه محاولا استجلاب تفسير وتوضيح لكلامه ثم قال له:

- مش قادر أبلعها، ازاي واحدة في سن أربعة وعشرين سنة أو خمسة وعشرين سنة وتكون بنت رجل في الأربعينات؟! مانكرش إنه نادرًا بيحصل، لكن كلنا عارفين إن زياد ضرغام كان عنده طفل وطفلة بس، واتقتلوا في الحادثة إياها.. جاب إمتى البنت دي وخلفها إزاي؟! ده لو افترضنا إن كلامك صحيح.

- كلامي صحيح سعادتك، واللي أكدلي أكتر كلام د. رمزي.. هو اللي عمل تحاليل الـ DNA.. الغريب إن اسمها مروة شعبان..

- ما يمكن اتبناها أو أهله اتبنوها... أوحتى عشيقته أو مرات أبوه.. مازلت مش قادر أفهم إنت عاوز تقول إيه يا علاء.

ناول علاء كوب الينسون إلى اللواء عماد قائلاً: كلامي اللي فات ده كوم.. وتوتره وارتباكه في المستشفى النهاردة كان كوم تاني.. بقول لحضرتك خدها ودخلوا أوضة تانية وقعدوا جوة حوالي عشر دقايق.. وكمان التحريات بتقول إن كان في عداوة بين البنت دي وبين الدكتور اللي اتقتل و...

قاطعه اللواء عماد منفعلاً: وبين تلات مرضات غيرها برضه، وللا نسيت دي؟! والتحقيقات بتقول إنه كان بيضايقهم وبيحاول يطلب منهم حاجات مش تمام. اوعى تكون عاوز تقول إن زياد هو اللي قتله انتقامًا لبنته..! تبقى

مجنون. قالها وطرق بكفه على المكتب، سكت علاء وولّى وجهه الناحية الأخرى فنهض اللواء عماد منفعلاً وهو يستكمل كلامه: أنت اتجننت يا علاء؟ انت عارف مين هو زياد ضرغام؟!

عاد علاء بنظره إليه: أيوه أعرفه معاليك، هو هو نفس الظابط اللي شغال على جريمة شريف سند، واللي عشانها رجع الشغل تاني، وبعدها تاني يوم حصلت نفس الجريمة بالكربون.. وحضرتك ملاحظ طبعًا وجه التشابه بين الجريمتين.. وطبعًا مش هتكلم عن الحرز اللي رجع ناقص تمثالين.

- على فكرة أنا اللي كنت بتحايل عليه يرجع يشتغل تاني، ويطلع نفسه من الحياة السودة اللي كان عايشها، عشان بحبه، ضيف على كدة إنه كان أفضل تلاميذي، وبعتبره أجدر شخص يمسك القضية دي. ولو كلفتك تقف معاه فدة عشان تستفيد منه مش عشان تتهمه بالقتل يا حضرة المقدم..! وياريتك معاك أدلة مادية قاطعة مانعة... ده انت بتتهم زميلك جزافًا..

نهض المقدم علاء واستأذن اللواء عماد بالرحيل وهو مطرق رأسه قائلاً: عن إذنك سعادتك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لم يحتج زياد أكثر من ثانية واحدة، هي نفس المدة التي كان فيها فني تركيب الكاميرات مُنحنيًا يخلع رباط حذائه فتفاجأ بزياد يطفئ الأنوار مرة أخرى والتفت له قائلاً بضجر مصطنع: لا إله إلا الله.. مش فاهم إيه الستات اللي بينضفوا الشقة وقت رجوعي من الشغل دول..

لم يرد عليه الفني، مكتفيًا بابتسامة يشوبها بعض خجل، دخلا المصعد ونزل به، فسأله الفني إذا كان سيركّب الكاميرات أم سيرحل، فأجابه زياد محاولاً السيطرة على توتره والأدرينالين الذي يضخ بقوة في عروقه:

- هنركبهم طبعًا، كل الموضوع معلش هتنزل تقعد على القهوة دي (أشار له إلى مقهى قريب من منزله على بعد خمسة عشر مترًا) نص ساعة بالظبط، وهندهلك تيجي... لحد ما مراتي تخلص تنضيف الصالة لأنها غرقانة مية.

بدا على الفني الامتعاض فلم يمهله زياد فرصة وأخرج من جيبه خمسين جنيهًا وأعطاها له مبتسمًا، كانت كافية لإزالة ذلك الامتعاض، أخذها وذهب بوجه مليء بالرضا.

- تمام يا باشا.. بس الله يكرمك متأخرنيش أكتر من نص ساعة لأن ورايا أوردرات تانية.

أومأ له زياد وما زالت الابتسامة الزائفة مرسومة على وجهه، وبينما ابتعد عنه الفني انطلق إلى الأعلى، فصادف حارس العقار يخرج من غرفته

الصغيرة الكائنة تحت السلم، والتي لا تتعدى مساحتها ستة أمتار مربعة، كان يعدل جلبابه وفوجئ بزياد أمامه يسأله بعصبية: كنت فين من شوية يا زفت؟!

أجابه حارس العقار متلجلجًا: كـ كـ كنت قاعد مكاني يا زياد بيه... قالها رافعًا كفه عند رأسه اتقاءً لأي صفعة مفاجئة من زياد، فمن بين كل سكان العقار، لا يخاف إلا منه.

- أنا دخلت وخرجت كذا مرة وماشفتكش... (أمسكه من ذراعه بقوة) كنت في أنهي مصيبة؟ فأجابه حارس العقار متألمًا:

- مروحتش في أي حتة عليا الطلاق من مراتي... ودلوقت كنت جوة في بيت الراحة، وقبلها كنت في مشوار بجيب حاجة للست هانم اللي ساكنة جنبك.

- انت كلب ابن كلب كداب... أنا نادرًا أما بشوفك قاعد، مبتعملش حاجة طول النهار غير النوم وبالليل بتدخل أوضتك تتخمد..

- عليا الطلاق بالتلاتة يا زياد بيه أنا ... قال مرتعشًا، خائفًا فقاطعه زياد: متحلفش يابن الكدابة، وحياة أمك هفوق لك بس وأمشيك من البرج كله... (بلع ريقه ثم سأله بنبرة مختلفة وهو متأكد أنه لن يلقى إجابة شافية) قوللي... ملاحظتش أي حد غريب دخل البرج النهاردة؟

- حد غريب زي مين سعادتك؟! قالها وما زال يرتعش.

شعر أنه ينفخ في قربة مثقوبة.. وآثر ألا يوضح أسئلته أكثر من ذلك، ربما لا يكون في صالحه، ومن الأفضل أن يصعد ويتخلص من تلك المصيبة أولاً ثم يفعل بعد ذلك أي شيء آخر يريده.

وقف عند عتبة باب العمارة واشرأب برأسه باحثًا عن فني تركيب الكاميرات فاطمأن أنه جالس في المقهى، فصعد بسرعة البرق وفتح باب الشقة، مُتمنيًا أن يضغط على مقبس الإضاءة مرة أخرى فلا يجد جثة، وأن يكتشف أن كل ما رآه ليس إلا تهيؤات ليس أكثر من ذلك، فيدخل متنفسًا الصعداء ويرتاح على الأريكة ويشعل سيجارة قبل أن يدخل الحمام ويأخذ دشًا وينام، لكن الحقيقة غالبًا ما تكون مؤلمة، غير مرغوب فيها... أغلق الباب وضغط على مقبس النور وقد هاجمت أنفه رائحة الدم، ووجد الجثة ملقاة على الكرسي، كانت لرجل يبدو أنه في منتصف الثلاثينيات، ظل ينظر إلى وجهه الشاحب، وإلى عينيه المفتوحتين، شعر لوهلة أنه حي وينظر له، لكنه آثر ألا ينظر إلى عينيه وبدأ في فحص باقي جسده، اكتشف شيئًا غريبًا. وجد الأذن اليسرى مبتورة، لم يأبه كثيرًا لتلك الملحوظة، جال الشقة في عجالة باحثًا

عن أي كسر في أي نافذة أو مكان من المرجح أن دخل منه ذلك الشخص ومعه هذه الجثة، ولكن كيف؟! سأل نفسه مفكرًا.. فمن رابع المستحيلات أن يكون قد دخل الشقة حاملاً جثة.. علّق نظره على الجثة لثوانٍ، ليت الأموات يتكلمون، ليته يستطع سؤال جثة هذا الرجل عن كيفية دخوله فيجيب! من المؤكد أنه دخل هنا حيًا، ولكن كيف، ومن هذا الرجل الذي فعل كل هذا؟ ومن هذا الرجل المقتول أمامه الآن وعينيه تنظر له؟ وما المغزى من قطع الأذن؟! وهل كل هذا له علاقة بجريمتي القتل اللتين حدثتا في اليومين السابقين؟! نفض تفكيره عن كل هذا وأخذ يفكر في مكان يخبئه فيه مؤقتًا إلى أن ينتهي الفني من تركيب الكاميرات في الأماكن التي يريدها، وحتمًا يجب أن يكون ذلك المكان الذي سيخبئه فيه ليس من ضمن تلك الأماكن التي يريد أن يركب فيها كاميرا.

جال بنظره في جميع أرجاء الشقة الواسعة بالفعل، لكنه شعر حينها أنها ضاقت فجأة، وأنها ليست سوى غرفة صغيرة، أضاءت فجأة فكرة في ذهنه، أن يخبئه في الشرفة، فهي تعتبر أكثر مكان أمانًا، خصوصًا أن بها ستارة تمنع الجيران بالعمائر التي أمامه من التلصص، دخلها ليتأكد أنها بالفعل أمان ثم عاد إلى الجثة وحاول جرّها حتى وضعها في الشرفة، على الأرض بموازاة الحائط، ثم وضع فوقها عدة ملاءات بعد أن علق نظره على وجه ذلك الرجل لثواني، وبعد أن غطاها بملاءات أزاح ستارة الشرفة ونادى على فني التكييف الذي التفت له فأشار له بيديه أن يأتي.. فهز الفني رأسه ودفع قيمة ما طلبه وذهب إليه.

كان معه أربع كاميرات، طلب منه أن يثبت الأولى فوق باب الشرفة لتكشف له كل الصالة بالإضافة لباب الشقة، والثانية في الطرقة لتكشف له الغرف والحمام والمطبخ، والثالثة داخل غرفة النوم.. ولم يجد مكانًا آخر يستحق تركيب كاميرا فيه، كان يود أن يركّبها في الشرفة لكن الأمر ليس مهمًا بالشكل الكافي، بالإضافة إلى أنه حتى لو كان أمرًا مهمًا، فلن يستطيع طلب هذا من الفني، فكر لوهلة أن يثبتها في الغرفة التي تنام فيها مروة، ولكن رغم كل شيء لا يصح أن يفعل ذلك، فهو بذلك سيقتحم خصوصيتها، وليس من الحكمة إقحام نفسه بهذه الفجاجة في حياتها، ظل يفكر بينما كان الفنيّ واقفًا أمامه ممسكًا بالكاميرا المتبقية، منتظرًا إخباره المكان الذي سيثبتها فيه، لم يحتج زياد إلى أكثر من نصف دقيقة حتى قرر في النهاية أن يثبتها في غرفتها، فهو الآن في حرب، ولا يدري من معه في هذه الحرب ومن ضده، بالإضافة إلى أن تثبيت هذه الكاميرا في غرفتها ربما تكشف له عن أشياء كثيرة مجهولة الآن بالطبع، فالأمر لا يتعلق بمروة أو خصوصيتها التي لا تعني له أي شيء الآن، طلب منه أن يثبتها في غرفتها، وتأكد أن كل الكاميرات مثبتة بحرفية، مخبأة وغير مرئية تمامًا، ثم بدأ الفني في توصيلها

بالتطبيق لديه في الهاتف وإنشاء كلمة مرور قوية، وعلّمه الفني كيف يستخدم تلك الكاميرات وكيف يغير كلمة المرور، وبعدما انتهى من عمله شكره زياد وأعطاه أكثر مما طلبه... ورحل.

ألقى بعدها بجسده على الأريكة يتنفس الصعداء، شعر حينها أنه جائع، متذكرًا أنه لم يأكل منذ أكثر من ١٨ ساعة بينما دخَّن أكثر من سبعة وثلاثين سيجارة، في نفس الوقت تذكر شيئًا مُهمًا، وهو أن مروة من المفترض أنها في الطريق الآن، نظر إلى الساعة المُعلَّقة على الحائط فوجدها تخطت الثامنة، اتصل بها ليسألها أين هي فأخبرته أنها في الطريق وستصل بعد نصف ساعة.

نصف ساعة! ليس أمامه سوى نصف ساعة يجب أن يحاول فيها إخفاء آثار كل شيء، بدءًا من آثار حذاء فني تركيب الكاميرات التي على الكرسي، وحتى آثار قطرات الدماء التي وجدها مكان الجثة، بدأ في العمل على ذلك سريعًا وانتهى في غضون عشرين دقيقة ثم رش معطر جو بغزارة، حتى فرغت العبوة، ووضع في حسبانه ألا تدخل مروة الشرفة مُطلقًا، ومن الأفضل أن تدخل غرفتها مباشرة ولا تخرج منها إلا في الصباح الباكر حين تذهب إلى عملها.

بعدما انتهى من كل ذلك ارتمى على كرسي السفرة ليشعل سيجارة وقد شعر بتعب وإجهاد اليوم كله، كان يومًا عصيبًا لكنه كاد أن ينتهي ليبدأ يوم جديد في الغد.. أحس أنه لا يستطيع تدخين السيجارة وستجعله يتقيأ فأطفأها وظل يفكر في هذه المصيبة، نهض وظل يتمشى في الشقة باحثًا عن أي شيء غير طبيعي، في هذه الأثناء لفت انتباهه جسم صغير أسود اللون مثبت خلف الدولاب الموضوع بداخله نياشين وكؤوس وأشياء أخرى متعلقة به، اقترب منه فوجده ميكروفونًا مثبتًا فيه، نزعه وفحصه بعينيه، من المؤكد أن القاتل زرعه كي يتجسس عليه، حمد الله أنه استطاع اكتشافه مبكرًا، ظل يبحث داخل الكؤوس، أسفل المنضدة، خلف الكراسي، فلم يجد شيئًا، وضع الميكروفون الذي وجده على الأرض وحطمه بقدم الكرسي ثم ألقاه في الشارع، ثم عاد مرة أخرى إلى غرفة المعيشة وجلس على الأرض، أماله الهمُّ إلى الوراء ساندًا رأسه إلى الحائط، علَّق عينيه على السقف وأخذ يفكر فيما حدث له وفيما سيفعله بعد ذلك، حتى انتزعه من تفكيره صوت إشعار الهاتف الذي أوشكت بطاريته على الانتهاء ويحتاج إلى شحن، فنهض والتقطه ليضعه في الشاحن، فكر حينها أن يفتح موقع صراحة، عله يجد رسالة أخرى تحمل مصيبة جديدة.

دخل على المتصفح في نفس الوقت الذي رن فيه جرس الباب فوقع قلبه عند أخمص قدميه، أغمض عينيه قليلاً محاولاً تهدئة نفسه وذهب ليفتح الباب،

فكانت مروة، التي ما إن دخلت حتى وضعت ما في يدها على الأرض وأقبلت عليه لهفى، تعلّقت برقبته واضعة رأسها على كتفه، أغمضت عينيها ثم تنهدت قائلة:

- كان أصعب يوم مر في حياتي يا بابا... رغم إن معظم أيام حياتي سودة حرفيًا، لكن النهاردة كان أصعب من أي يوم.

ضمها إلى صدره بقوة واضطرام: عارف... عارف يا حبيبتي.. وحاسس باللي انتي حاسة بيه، وعلى فكرة أنا كمان زيك، بمر بنفس الأيام السودة دي بس بشكل تاني.

- مش عارفة المفروض أحزن على قتل الكلب ده وللا أفرح!

- متفكريش في أي حاجة نهائي دلوقت، وأنا كمان مش عاوز أفكر وعاوز أريح دماغي عشان أبدأ بكرة بذهن رايق وأشوف هعمل إيه مع ابن الفاجرة اللي عاوز يورطني دة... كإني ناقص..!

- توريطك؟! رفعت رأسها ناظرة إليه حتى التقت عيناها بعينيه مكررة سؤالها بطريقة أخرى: توريطك ازاي يا بابا مش فاهمة؟

حاول جاهدًا الحفاظ على ثباته الانفعالي، وأجابها بهدوء: توريطي في الرجوع للشغل تاني والشغل على قضايا صعبة وجرايم قتل غريبة.. ادخلي انتي نامي. وأنا كمان هموت وأنام.

دخلت غرفتها وأغلقت الباب لتبدل ملابسها، خلعت سترتها وبينما تفك حمالة صدرها لفت انتباهها مبلغ من المال على الكومود، أخذته وارتدت سترتها مرة أخرى وخرجت له، في هذه اللحظة كان ممسكًا بهاتفه ليدخل على موقع صراحة وهو شاردًا يفكر فيما ينتظره..

- بابا انت نسيت الفلوس دي في أوضتي.

انتفض زياد الذي كان مستغرقًا في التفكير حينها، فشعرت بالحرج، واعتذرت له.

- ولا يهمك يا حبيبتي، لا دول مش ناسيهم، دي فلوس سايبهالك تشتري بيها لبس جديد عشان حسيت إنك مش عاوزة تلبسي لبس لمياء.. وبعدين ماينفعش تكوني بنت زياد ضرغام وتدخلي محلات دهب تبيعي دبلة أو خاتم عشان ماعكيش فلوس.

همت لتتحدث فشعر أنها سترفض، فلاحقها قائلا:

- أنا عارف هتقولي إيه، لكن انتي متقدريش ترفضي كلام باباكي، لازم تسمعي كلامي. ومفيش أي حاجة تمنع إني أديلك فلوس... مش كدة؟ يللا بقى أرجوكي ادخلي غيري هدومك ونامي.. أنا دماغي هتنفجر ومعنديش أي طاقة لمناقشة أي حاجة.

أومأت برأسها ودخلت غرفتها، وما إن تأكد من غلقها للباب حتى فتح هاتفه مرة أخرى فوجد رسالتين في موقع صراحة.

أنا تعبت من نزع القلب والعينين من الجثتين اللي فاتوا، وعارف إنك هتتخلص من الجثة دي بكرة.. لكن لو مش هتقل عليك تشيل بدالي القلب والعينين منه، انت هتنفذ ده طبعًا ورجلك فوق رقبتك.. معندكش خيار تاني

شعر بجبينه قد تعرق، وارتعشت يداه، ترى، لماذا هو واثق من أنني سأنفذ ما طلبه مني؟ فتح الرسالة الأخرى:

متفكرش كتير، أنا واثق إنك هتعمل اللي طلبته، وبكرة مش بعده، انجز عشان ورانا شغل كتير الأيام الجاية

استغرق في تفكيره محاولاً إيجاد سبب لثقته تلك التي يتكلم بها، حتى تذكر الأذن المبتورة، ومن المؤكد أنها الورقة الرابحة التي يستخدمها، وقف في وسط الصالة يفكر أين من الممكن أن يكون قد خبأها؟ ألهذا الحد كان القاتل لديه الوقت لفعل كل ذلك؟! سمع إشعارًا بصوتٍ خافت من الهاتف أن البطارية أصبحت ١٠٪ فأوصل الهاتف بالشاحن وضبط المنبه على الساعة ٧ صباحًا، ثم دلف إلى غرفته لينام، ولم يكد يغلق باب الغرفة حتى تراجع عن الأمر وقرر أن ينام في الخارج، بغرفة المعيشة، خوفًا من أن تستيقظ مروة وتدخل الشرفة، ما إن وضع جسده على الأريكة، حتى تذكر شيئًا مهمًا يجب أن يطمئن عليه ويملي عينيه منه قبل أن ينام، عاد مرة أخرى إلى غرفته وأغلق على نفسه من الداخل، نزع إطارًا معلقًا على الحائط المقابل لسريره، كان وراء هذا الإطار خزينة صغيرة، حوالي ٢٠سم × ٢٤ سم، مثبت على بابها الذي سمكه ١٢سم لوحة بها أرقام لكتابة كلمة السر التي أدخلها فانفتح الباب، كاشفًا وراءه تمثالين فرعونيين راقدين في سلام، طول كل منهما لا يتعدى خمسة عشر سنتيمترًا، لكن ثمنهما...كان كبيرًا...

كبيرًا جدًا...

أعطى لكل منهما قبلة عاشقٍ وَلِهٍ قبل أن يودعهما مرة أخرى في مكانهما وأغلق عليهما باب الخزينة حتى أصدرت صوتًا يدل على إحكام غلقها، علّق بعدها الإطار قبل أن يعود مرة أخرى إلى غرفة المعيشة وارتمى بجسده

على الأريكة.. ظل معلقًا بصره على صورة أولاده وفكر فيهما حتى سقطت دمعة من عينه اليسرى.. وغاب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الساعة ٧ صباحًا...

نهض من فوق الأريكة التي كان نائمًا عليها ودخل الحمام، نظر لوجهه في المرآة، سارحًا في هذا الواقع الذي يعيشه الآن، قتيلان في المشرحة والثالث في منزله داخل شرفته، كل هذا واقع وليس حلمًا.. سأل نفسه في المرآة بنبرة هادئة: «إيه المطلوب إني أعمله دلوقت؟!» فأجاب على نفسه بتعبيرات مختلفة وصوت أجش: «أطمن إن مروة راحت الشغل وأتخلص من الجثة».

قرر أن يأخذ حمامًا أولاً، وبعدما انتهى وخرج مرتديًا بشكيرًا وجدها قد استيقظت وواقفة أمام الثلاجة ممسكة بزجاجة مياه، ألقى عليها الصباح وسألها متى ستذهب إلى عملها، فأخبرته أنها إجازة اليوم، بناء على تعليمات مدير المستشفى، تذكر أنها في الأصل تعليماته هو لإدارة المستشفى، وتذكر أيضًا الجثة الراقدة في الشرفة، نظر إلى ساعة الحائط والوقت الذي يمر كالسهام، فكل دقيقة تمر ليست في صالحه، والرائحة ستبدأ في الانتشار خلال فترة وجيزة، بحث عن أي مبرر لتغادر المنزل:

- تمام.. دي فرصة كويسة عشان تروحي بيتك القديم تجيبي كل حاجاتك ومتعلقاتك من هناك، وتروحي بعدها تشتري ملابس جديدة زي ما قلتلك.

- حاضر.. طب وانت هتعمل إيه؟

- هقعد هنا اشتغل بهدوء على شوية حاجات خاصة بشغلي، وهنزل كمان ساعتين، ادخلي البسي وتعالي عشان عاوز أتكلم معاكي في موضوع مهم...

كان هذا حين رن جرس الباب عدة مرات متتالية، فارتبكت مروة في حين أغمض زياد عينيه متوقعًا مصيبة جديدة، أشار لها بهدوء أن تدخل، ففعلت، وما إن دخلت غرفتها حتى نظر عبر العين السحرية وما زال الجرس يرن، فوجد أن الذي يرن الجرس هي نيفين، جارته، وكان مرسوم على وجهها خوف وارتباك جعلاه يتوقع السبب دون أي مجهود.

- أيوة طبعًا مهو ده اللي ناقص... كدة كملت والحمد لله...

لم يكد يفتح لها حتى تحدثت متلجلجة بوجه باهت بكلمات لم يفهم منها شيئًا، لكنه أدرك أنها تقصد الجثة، كتم أنفاسها برفقٍ محاولاً تهدئتها وهو يومئ برأسه إلى أنه يفهم ما تقصده ويعي تمامًا كل شيء، اتسعت عيناها تريد أن تتحدث أو تصرخ فضمها إلى صدره لثانيتين أو ثلاث ثوانٍ محكمًا السيطرة عليها حتى هدأت نوعًا ما.. فاقترب بفمه من أذنها متحدثًا بصوتٍ منخفض:

- عارف انتي تقصدي إيه.. ادخلي شقتك دلوقت وهاجي وراكي بعد نص ساعة.. أومأت برأسها فأردف: - هسيبك دلوقت وهشيل إيدي من على بؤك، ومش هتصرخي طبعًا.. ومش هتتكلمي مع أي مخلوق لحد ما أجيلك، وإلا قسمًا بالله.. قسمًا بالله هتكوني نايمة جنبه بعدها بخمس دقايق، ومش هتسجن فيكوا انتوا الاتنين خمس دقايق على بعضها.. كلامي مفهوم وللا أعيده؟!

أومأت له برأسها مرة أخرى، نزع يده من فوق فمها فانطلقت نحو شقتها بسرعة وأغلقت على نفسها من الداخل.

أغلق باب الشقة هو الآخر واستند إليه رافعًا رأسه إلى أعلى.. محدثًا نفسه:

- يانهار اسوووود... إيه اللي بيحصلك ده يا زياد يا ضرغام؟! هي الأمور حتهرب من بين إيديك وللا إيه؟! انت خلاص قربت تفقد السيطرة على كل حاجة؟ إيه أسهل حل دلوقت يارب.. الاستسلام وللا المقاومة؟

للاستسلام طعم رائع أحيانًا...!

لكن أنا مش هستسلم، وهكمل... وهواجه.. وهحارب.

خرجت مروة من غرفتها بعد أن ارتدت ملابسها وسألته مرة أخرى عن تلك السيدة التي كانت تطرق الباب، فحاول السيطرة على نفسه وهو يجيبها بثبات انفعالي: أنا هقولك بصراحة، المفروض واحدة صاحبتي تجيلي دلوقت.

- آآآآآه عشان كدة عاوز توزعني.. تمام. أنا هروح بيتنا القديم أجيب أوراقي وكتبي ومتعلقاتي كلها. وأعدي على وسط البلد أشتري لبس.. تكون انت خلصت مع الأستاذة، وأتمنى تكون آخر مرة، انت عندك بنت. وبنت كبيرة مش صغيرة..

- أوعدك تكون دي آخر مرة.. ماتزعليش. قالها بخجلٍ مصطنع، فابتسمت له ابتسامة يشوبها بعض لوم ثم رحلت، وما إن نزل المصعد بها فتح الشرفة ليتأكد أنها غادرت تمامًا، ألقى حينها نظرة إلى الجثة التي بدأت تتفاعل مع الهواء من حولها، وتنتشر رائحتها، ورغم أنه لن يشم شيئًا إن ابتعد عنها أمتارًا قليلة، كدليل على أنها إلى الآن لا يشمها أحد من حوله، لكنه يعرف أنه ليس إلا ساعات قليلة وتبدأ في الانتشار لأمتار أبعد، ولكن السؤال الذي تبادر في ذهنه حينها، هل جارته نيفين اكتشفت هذه الجثة عن طريق الرائحة... أم رأتها من خلف الحاجز الحديدي الذي يفصل بينهما؟

سرح قليلاً متخيلاً أنه ربما دخلوا من شقتها، أو ربما كان ذلك بالاتفاق معها أصلاً وما فعلته منذ قليل هو جزء من الخطة في أن يورطوه وتتظاهر بأنها اكتشفت تلك الجثة وتبدأ في المساومة...

- يابنت الفاجرة... معقولة..!!

قالها وهو يضرب جبهته بباطن يده، حاول تهدئة نفسه بأن أخذ نفسًا عميقًا..

أغلق الشرفة والتقط المفاتيح من المنضدة ليذهب لها، لكنه توقف فجأة وتذكر أن يفتح موقع صراحة أولاً، متوقعًا أن يجد رسالة من هذا المخبول، لكنه لم يجد شيئًا، فانتزع الهاتف من الشاحن وطرق بابها ففتحت وقد بدا وجهها شاحِبًا مُتوجِسًا، لم تكد تفتح فمها حتى انهال عليها بيده فصفعها على وجهها بقوة فانطرحت أرضًا وقد سال دم غزير من جانب فمها، انحنى وأمسكها من تلابيبها ورفعها مرة أخرى وبالكاد استطاعت الوقوف لكنها لم تستطع التحدث، وخافت أن تصرخ، دفعها على كرسي خلفها فارتمت عليه جالسة، حدجها بنظرة صارمة قائلاً لها بنبرة تهديد:

- بصي بقى يا روح أمك.. انتي يمكن ماتعرفينيش، لكن هعرفك أنا مين باختصار؛ أنا زياد ضرغام، ضابط شرطة وعندي استعداد أخليكي تقضي بقية عمرك في سجن القناطر، أو أخليكي تقضيه مشوهة.. خدي نفس عميق كدة وقوليلي انتي مين؟ وازاي الأوساخ دول نطوا على شقتي من عندك؟ وبتشتغلي معاهم من إمتى؟ وإيه نشاطكم بالظبط.. وكلميني عن باقي الجثث.

قاطعته صارخة لتضع حدًا لما يحدث: إيه ده كله إيه ده كله؟! جثث إيه وأنشطة إيه ومين دول اللي أنا مشتركة معاهم.. انت ماشي بمبدأ خدوهم بالصوت؟ -صمتت لثوانٍ تزدرد فيها ريقها ثم استطردت بصوتٍ مستغربٍ لا يخلو من استنكار- والمفروض أخاف منك دلوقت واترعب؟! اقتلني لو عاوز أو اعمل اللي تحبه بس ماتتهمنيش تهم زي دي أنا مش من الشارع.. انت اتجننت وللا إيه؟ بتضربني وتشتمني؟!

- كنتي فين امبارح يابت؟

- كنت في العين السخنة مع ولادي.. قالتها وهي تمسح الدم المنثعب من فمها ومازالت مشدوهة مما فعل.

- ولادك؟ سألها بصوتٍ مندهش لا يخلو من استهزاء.

- أيوة ولادي مستغرب ليه، هم عايشين مع أبوهم دلوقت برة مصر، وكل سنة زي دلوقت بييجو مصر نسافر أنا وهما الساحل أو السخنة أو شرم... ليه الأسئلة دي كلها!!

- اتطلقتي من جوزك بقالك قد إيه؟

- خمس سنين.

- روحتي العين السخنة امتى؟

- بعد ما كنت بايتة معاك بيومين. قالتها بنبرة حزينة بها بعض لوم، أطرق رأسه وقد شعر بالحرج فانهمرت في البكاء. ظل يفكر في شيء ليتأكد من كلامها، فسألها: طب أنا عاوز حاجة تثبت كلامك دة.

- ليه كل ده مش فاهمة! ودة إيه علاقته بالجثة اللي في بلكونتك؟ وللا انت عاوز تشوشر عليها وفاكرني كدة هخاف!

- اثبتيلي الأول إنك كنتي في العين السخنة.

- معرفش أثبتلك ازاي، بس طالما أنت ظابط مباحث قد الدنيا اسم الله عليك فالمفروض تعرف لوحدك.

- ضابط مباحث؟! -سألها وقد صُر حاجبيه- أنا ماقلتلكيش إني ظابط مباحث.. أنا قلت ظابط شرطة بس..

- انت اللي قلتلي إنك مباحث في الليلة السودة اللي كنت بايتة معاك فيها، كنت سكران ساعتها وقلتلي كمان إنك واخد أجازة طويلة وكلام تاني مش فكراه...

سكت لهنيهة محاولاً استجماع أفكاره بينما التقطت منديلا بجوارها لتمسح الدم الذي سال من شفتيها، أمسك هاتفها الملقى على الكرسي، نهضت من مكانها ورمت المنديل على الأرض وحاولت شد الهاتف منه لكنها لم تستطع، فاستسلمت، فتح الهاتف ودخل على الصور فوجد بالفعل صورًا لها مع ولد وبنت في عمر المراهقة بأحد الفنادق الذي تأكد من اسمه أنه بالفعل في العين السخنة، وآخر صورة لهما كانت بتاريخ الأمس، أغلق الهاتف وألقاه على الكرسي وأدار طرفه في أنحاء الشقة، ثم عاد إلى نفس مكانه مرة أخرى ونظر يمينه فوجد حقائب سفرها ما زالت مغلقة، أمسك إحداها ليفتحها فحاولت منعه قائلة:

- عاوز إيه من الشنط يا مجنون؟ فيها حاجات خاصة بيا. دفعها بقوة ولم تستطع منعه، فتح الحقيبة فلم يجد سوى ملابسها، سألها أين تلك الملابس التي ترتديها في الصور، لماذا لم يجدها في الحقيبة، فأجابته أنها جمعت كل الملابس المتسخة ووضعتها في الغسالة بالأمس، وحينما استيقظت أخذتها لتنشرها، وما إن دخلت الشرفة حتى هاجمت أنفها تلك الرائحة، وأدركت أنها صادرة من شرفته، وتأكد لها ذلك حين ألقت بعينيها من وراء الحاجز الحديدي ووجدت الجثة متكومة.

شعر أنه قليل الحيلة لا يدري ماذا يفعل، أغمض عينيه واضعًا يديه خلف رأسه وأطلق زفيرًا ثم جلس مُطرقًا رأسه يفكر في تلك المصيبة التي تورط

بها.. رغم أنها اندهشت من رؤية َرجل مربوع قوي البنية مثله بهذا الانكسار والضعف، عكس الرجل الذي كانه منذ دقائق، إلا أنها استطاعت احتواء ذلك؛ فاقتربت منه وربتت على كتفه مواسية، مسحت العرق المتفصد على جبينه قائلة: - مالك يا حبيبي فيك إيه؟ وإيه موضوع الجثة دي؟!

رمقها بعينيه وهو يسألها بنبرة حادة: قوليلي انتي الأول.. ملاحظتيش أي كسر أو عنف أو أي تغيير في الشقة لما رجعتي؟

- لا... ملاحظتش حاجة، أنا رجعت وكنت سكرانة ومحششة، لكن الشقة قدامك أهي لو عاوز تفتشها...

نهض وعاين الشقة معاينة سريعة، لم يلاحظ أي عنف في فتح الباب، أو أي شيء يدل على أن هناك شيئًا غير طبيعي أو غير عادي، ويبدو أن الفاعل قد دخل شقته بالجثة دون أن يلاحظه أحد، ولكن كيف؟! أخذت تجوس في رأسه أفكار كثيرة، وآلاف الأسئلة لكن دون إجابة، وضع يديه في جيوبه بحثًا عن علبة سجائره لكنه لم يجدها، فتذكر أنها في شقته، شعرت نيفين بذلك فأعطته علبتها وولاعتها، أشعل سيجارة وجلس شاردًا يفكر فيما سيفعله، إلى أن بترت نيفين تفكيره وسألته سؤالاً مباشرًا:

- طب وبعدين؟ هتستنى لحد ما ريحتها تملا المكان والجيران يعرفوا؟

- وهعمل إيه بس؟ سألها يائسًا وقد شعر حينها بتقلُّص في أحشائه، رغم أنه بالطبع لديه بضعة حلول لكنها تائهة في هذه اللحظة عن باله وتفكيره، وقد بدا لها وهو مطرق برأسه حينها أنه قليل الحيلة، مسلوب الإرادة.. أحست حينها بذلك فأجابته بلسان واثق:

- مفيش حل تاني، لازم تتخلص منها طبعًا..

رفع رأسه ناظرًا إليها رافعًا حاجبيه باندهاش، كأنما يتساءل، فاستطردت: انت ماشفتش مسلسل بريكينج باد؟

صمت لثوانٍ كأنه يتأمل الأمر ثم سألها: ندوبها في محلول تقصدي؟

- أيوه.. لكن تدوبها مش ندوبها، أنا مليش دعوة بالموضوع ده ياخويا.

تذكر أن القاتل طلب منه نزع القلب والعينين بدلا منه.. فتح موقع صراحة ليجد أي رسالة منه لكنه لم يجد.

- لأ يا روح أمك انتي هتساعديني..

- أنا مش مضطرة أساعدك على فكرة، ولو عملت كدة فعشان انت غالي عندي وقلبي اتفتح لك.. القصد، عاوزني أعمل إيه؟!

- هتتصلي بالحمار اللي تحت ده بعد ساعتين من دلوقت، تبعتيه يجيبلك حاجة من السلوم، ومراته نفس الشيء، المهم عاوز أخرج بالمصيبة دي من غير ما يشوفوني. هاتي رقمك، أول ما أتصل بيكي تنفذي على طول.

- حاضر يا حبي... اتفقنا.

نهض من مكانه ليذهب إلى شقته، وحينما أمسك بمقبض الباب التفت إليها مرة أخرى: طبعًا أنا مش محتاج أقولك لو الموضوع ده طلع بيننا هيحصلك إيه، مبدئيًا محدش هيصدقك.. ده غير إني هلبسك قضية مش هتخرجي منها غير على قبرك. ودي أسهل حاجة أعملها.

- تبقى متعرفنيش... أنا ست جدعة جدًا.. وأديك هتجرب.

قالتها وهي تغمز له، ورغم أنه تلمس بعض الحنان ناحيتها والاطمئنان أيضًا، لكنه خرج بسرعة قاصدًا شقته، فلا وقت الآن لأي عواطف أو مشاعر.

ما إن دخل حتى وقعت عيناه على الكاميرا، وجاءت في عقله فكرة أن يراجع الكاميرات في الليلة السابقة، حتى يرى ماذا حدث في الليل حينما كان نائمًا، فتح الهاتف ودخل عبر كلمة السر على كاميرات الطرقة وغرفة المعيشة فلم يجد شيئًا، تردد هل يفتح الكاميرا المثبتة في غرفة ابنته أم لا، لكنه قرر في النهاية أن يفتحها، فلا مجال في هذه الأوقات العصيبة لاحترام أي خصوصية الآن، وجدها حين دخلت جلست لدقائق على حافة سريرها، بعد ذلك نهضت وخلعت كل ملابسها وأصبحت عارية تمامًا، ولَّى وجهه بعيدًا في هذه اللحظة ثم عاد يتطلع إلى الفيديو مرة أخرى حين ارتدت ملابسها ثم أمسكت كتابًا ظلت تقرأ فيه حتى أغلقت الإضاءة ونامت، لم يجد شيئًا غير طبيعي يستحق التوقف، أغلق الهاتف ورفع كل السجاجيد في غرفة المعيشة ثم وضع قطعة قماش أسفل باب الشقة كي لا تتسرب أي رائحة من خلاله، فتح الشرفة ليسحب الجثة التي أصبحت رائحتها لا تطاق، ووضعها في منتصف الصالة تمامًا. وضع يديه في جيوبه عله يجد أي شيء يقوده إلى شخصيته، فوجد بالفعل محفظته في الجيب الخلفي لسرواله، بالإضافة لمبلغ ١٤٩ جنيهًا في جيبه، فتح المحفظة وأمسك بطاقته، وقعت عيناه على الاسم فجحظت عيناه من هول المفاجأة...

أيمن محمد أحمد!..

فغر فاه حين تذكر الاسم الذي كان منقوشًا على الدبلة التي كانت في حقيبة مروة! وتذكر حين أخبرته أن اسمه أيمن محمد، تساءل في قرارة نفسه، ترى ما هذا؟ هل هذا هو الشخص الذي كانت مرتبطة به؟ لماذا كل شخص كان على صلة بها يُقتَل؟

لا وقت لديك يا زياد.. يجب أن تنجز العمل المطلوب منك.

رغم أنه سمع ذلك الصوت بداخله لكنه سمع صوتًا آخر يرد عليه قائلا: «لازم الأول تواجهها بالموضوع، وتتصل بيها عشان تيجي وتشوف الجثة بعنيها، وأكيد هي تعرف كل حاجة عنها».

سمع صوتًا ثالثًا قائلاً: لا طبعًا غلط، بلغ رئيسك بالموضوع كله، عشان تخلي مسئوليتك من كل دة.. لكنه عاد ورد عليه أحد الذين بداخله أن نسبة تصديقه له لن تتعدى الخمسين بالمائة..

شعر بصداع قويّ قد هاجم رأسه وامتد أثره إلى أن وصل لعينيه اللتين أحس أنهما ستفقآن من شدة ضخ الدم في رأسه بالكامل، فضغط على جانبيها بيديه وأغمض عينيه، محاولاً السيطرة على تدفق الأفكار التي تعيث بداخله وترتيبها وتفنيدها، أول شيء قرره هو أن يلتقط له عدة صور بالهاتف قبل أن ينزع قلبه وعينيه، ففعل ذلك قبل أن يأتي بمشمع بلاستيكي ووضعه تحته ثم أمسك بسكين مطبخ رفيع نزع به العينين بسهولة ووضعها داخل مرطبان زجاجي، ثم جاء عند الخطوة التالية، الخطوة الأصعب، ألا وهي نزع القلب، ومن المؤكد أنه لن يغرز كفه داخل صدره ويخرج بقلبه بسهولة، فالأمر يحتاج لآلة حادة قوية، ويستحسن أن يكون منشارًا كهربائيًا كي يكسر القفص الصدري بسهولة وسرعة، لكنه لا يملك منشارًا كهربائيًا، ظل يبحث في منزله عن أداة مناسبة إلى أن وجد صفيحة منشار، لكنها لن تسعفه، فتناول جاكوشًا وأجنة.. فتح صدر الجثة بسكينه التي استخدمها في نزع العينين، شعر حينها برجفة تسري في بدنه وتقلص شديد في معدته، فهو ليس معتادًا على شق جثة كل أسبوع في عطلته حينما يريد التسلية.. رفع رأسه ناظرًا إلى السقف وأخذ شهيقًا عميقًا، محاولاً تشجيع نفسه وتحفيزها على فعل ما هو مقدم عليه بسرعة حتى ينجز ما طُلِبَ منه ويرتاح، وضع طرف الأجنة فوق أحد الأضلاع وطرق عليها بالشاكوش تسع طرقات قوية فانكسر الضلع الأول، وفعل نفس الشيء في الضلعين المجاورين، نحاهم جانبًا ونزع القلب بعدها، كل ذلك تطلب منه حوالي نصف ساعة، وضع القلب في مرطبان زجاجي آخر، أحكم غلق المرطبانين ووضعهما في كيس أسود وأحكم غلقه هو الآخر ووضعهما في الثلاجة قبل أن يلف الجثة في نفس المشمع الذي تحته ولفه حولها ووضع مشمعًا آخر وأحكم غلقه عليها بقوة مستخدمًا حبالا، قبل أن يتصل بنيفين يطلب منها أن تتصل بحارس العقار لترسله مشوار في نفس الوقت الذي نزل فيه الشارع ليضع السيارة أمام باب العقار مباشرة وفتح الحقيبة الخلفية على اتساعها، اتصلت بعدها نيفين بزوجة حارس العقار لتطلب منها أن تحضر لها كمثرى وتأخذ الباقي

لها، وبهذا ضمنت أنها لن تأتي قبل ساعتين لأن في هذا الوقت لا وجود لكمثرى إطلاقًا..

كان ذلك حين تأكد زياد أن الجثة محكمة الغلق ولن تقطر أي نقطة دماء حين يحملها، ومن حسن حظه أن الوزن لا يزيد عن ٦٥ كيلوجرامًا، حمله ونزل به على السلم مباشرة إلى حقيبة السيارة وأغلقها دون أن يراه أحد..

سار بالسيارة على غير هدى يفكر أين سيتخلص من هذه المصيبة، لو أخبره أحد قبل ثلاثة أيام أنه سيجوب شوارع القاهرة بسيارته مع جثة بعد أن ينزع منها القلب والعينين ليتخلص منها فما كان ليصدقه أبدًا..

ولكن هذا هو الذي حدث..

هذا هو الواقع..

ظل يفكر حين حدث ما لم كان يتوقعه، ومن الواضح أنها مصيبة جديدة.. كمين.

ترى، ماذا لو صمم الضابط أن يفتح الحقيبة أو يفتش السيارة؟ معنى هذا أن مستقبله سيضيع، فهو لا يملك أي مبرر لفعل ذلك، ومبرره الوحيد بالتأكيد لن يفهمه أحد، ولن يصدقه أحد.

وبالفعل حدث ما لم يكن يتمنى حدوثه، استوقفه ضابط الكمين وهو يشير له بأن يظهر رخص السيارة والرخصة الشخصية، فأظهر بدلاً منهما كارنيه الشرطة فأبدى له الضابط احترامًا وأشار له بالمرور وهو يقول له:

- الله يكون في عونك يا زياد باشا، أنا سمعت إن رئيسكم اللوا عماد صعب جدًا والترقيات عندكم في الإدارة بقت حاجة بنت كلب.

رد عليه بابتسامة قائلا: ه.. نسأل الله التساهيل.. دعواتك ياباشا.

انطلق بعدها مُتنفسًا الصعداء، لم يفكر كثيرا في المكان الذي سيتخلص فيه من الجثة، وبينما مر بجوار صندوق قمامة اهتدى بتفكيره أن يلقيه في أحدها، بشرط أن يكون في منطقة مفتوحة، فقرر أن يذهب إلى التجمع الخامس، وبالفعل اتجه إلى هناك، لم تمر ساعة إلا وألقاها في أحد صناديق القمامة ببساطة وأكمل طريقه، اتصل بعدها بنيفين ليخبرها أنه انتهى وشكرها على مساعدتها له، ثم أغلق المكالمة معها واستمر في طريقه لا يعلم أين يذهب، والمفترض أن يكون في مسرح الجريمة يستكمل تحقيقاته.. كان ذلك حين اتصل به اللواء عماد:

- ألو.. انت فين يا زياد؟ الساعة اتنين ونص وماسمعتش أي أخبار جديدة وماشفتكش في المديرية.. انت فين؟!

جابه بصوت شبه ضائع: أنا جنب البيت يا سعادة الباشا.. صحيت الصبح تعبان جدًا ودرجة حرارتي ٤٢ واحتقان في الزور وشكلي كدة داخل على دور برد صعب –سعل سعلات مصطنعة متتالية وأغلظ صوته أكثر- نزلت خدت حقنة وهكون عند سعادتك كمان ساعتين أكون فوقت شوية.

- باين على صوتك إنك تعبان فعلا... طيب .. انت متأكد إنك هتقدر تكمل في القضية دي عمومًا وللا أديها لحد تاني؟

- حد تاني زي مين يا سعادة الباشا؟

- مش شرط حد معين.. المقدم علاء عاشور مثلاً، وأهو متابع الجريمتين وممكن أخليه يمسكها مكانك..

أجابه منفعلاً: لا طبعًا...-سعل عدة مرات- أنا اللي هشتغل عليها ومحدش هيمسك العيال دي غيري يا فندم.

- ده اللي كنت عاوز أسمعه، وكنت هزعل جدًا لو كنت قلت غير كدة يا زياد... -سكت لهنيهة ثم استطرد- آه صحيح قوللي، إيه حكاية البنت اللي اسمها مروة دي... كلمني عنها.

شعر بأن قلبه حينها قد سقط في أخمص قدميه: هحكيلك عنها سعادتك في أقرب فرصة، استأذنك لأني داخل الصيدلية دلوقت وهنتكلم بعدين.

أغلق الهاتف ورأى نفسه أنه بجوار أحد الكافيهات المتخصصة في صنع القهوة.. فقرر استراق ربع ساعة هادئة، بعيدًا عن كل هذا الصخب.. دخل وطلب فنجان قهوة اسبريسو دوبل، وجلس يفكر بهدوء بعد أن أشعل سيجارة وأخذ رشفة من القهوة، مُسترجِعًا كل شيء.. منذ ظهور تلك الفتاة وأصبح وجودها مقترنًا بمصيبة، أول ظهور لها كان في نفس الوقت الذي عرف فيه مقتل صديقه، والجثة التالية كان طبيبًا في نفس المستشفى التي تعمل فيها وكان يتحرش بها، والجثة الثالثة كان على علاقة بها يومًا ما.

بدأ يرى كل شيء بوضوح، وأخذ قرارًا حين انتهى من سيجارته وآخر رشفة من فنجان القهوة، اتصل بها ليسألها أين هي الآن، فأخبرته أنها في وسط البلد، طلب منها أن ترسل له على الواتساب موقعها هناك.. ففعلت، ثم سألته عن السبب، فأخبرها بصوت يملؤه الحنان أنه يريد فقط الاطمئنان عليها، اتجه بعدها مباشرة إلى وسط البلد، وكان هناك بعد عشرين دقيقة بالضبط، اتصل بها مرة أخرى يسألها عن مكانها بالتحديد فأخبرته أنها ما زالت هناك، وتحديدًا أمام مسرح راديو، كان حينها في باب اللوق فاتجه يمينًا وقال لها إنه أمام المسرح وطلب منها أن تأتي حالا.

عادت له وركبت معه السيارة وقد بدت على وجهها كل علامات الدهشة، أكمل طريقه والابتسامة تعلو وجهه وظل يتحدث معها في أمور تافهة إلى أن وصل البيت، ركن السيارة وصعد معها إلى المنزل، وما إن دخل حتى أمسكها من ذراعها بقوة فسألته مشدوهة:

- إيه ده يا بابا؟! انت ماسكني كدة ليه؟!

لم يتفوه بكلمةٍ واحدة وظل يصفعها عدة أقلام بقوة وهو يسألها عن ذلك الرجل الذي يدعى أيمن.. وطبيعة علاقتها بذلك الطبيب، والضابط؟

- ورحمة أمي ما عندي كلام غير اللي قلتهولك، انت بتعمل معايا كدة ليه مش فاهمة!! وليه من أول اليوم الصبح وانت بتعمل حاجات غريبة؟! انت فاكر إني قتلتهم.. طب ازاي؟!

- وعرفتي منين إن أيمن اتقتل؟

رغم بكائها لكنها توقفت فجأة عن البكاء وقد اتسعت عيناها مذهولة: إيه؟! أيمن مين اللي اتقتل.. أنا كنت بتكلم عن الظابط صاحبك ودكتور رأفت.. لكن ماله أيمن؟ اتقتل ازاي؟! وإمتى؟!

أخرج هاتفه من جيبه ليريها شكل الجثة لكنه صورها في منزله، تردد للحظة لكنه في النهاية ضغط الصورة وقرب الكادر على وجهه فقط بحيث لا يظهر أين المكان المصور فيه، عرضها عليها فصرخت: أيوة هو ده أيمن... –دخلت في نوبة بكاء وهي تسأله- اتقتل ازاي؟!

- انتي هتستهبلي يا روح أمك؟ هتقولي اتقتل ازاي براحة وللا أخليكي تقولي بطريقتي؟ قالها وهو يصفعها مرة أخرى على وجهها فأجابته وهي منهارة في البكاء:

- ورحمة أمي ما أعرف حاجة عن الموضوع دة، هو بس ربنا اللي بيخدلي حقي من كل حد ظلمني، سواء ده أو دة.. لكن أقسم بالله ما ليا علاقة بالموضوع.

- ربنا أخد حقك ازاي بقى قوليلي! الدكتور وعرفنا إنه كان بيضايقك، أيمن بقى عمل معاكي إيه؟ وقوليلي بالمرة علاقتك بشريف سند...

- مليش علاقة بشريف سند ده إطلاقًا، وأيمن أنا قلتلك كان بيعاملني ازاي.. ده بالإضافة إلى إنه كان ماسك عليا صور كان سارقها من تليفوني، صور متصوراها مع صحباتي بملابس داخلية وكدة، وهددني إنه هينشرها على النت لو ماروحتش معاه للدكتور، بينت له إنه مش هاممني، وقلتله اعمل اللي تحبه، لكن من جوايا كنت مرعوبة، وفكرت إني يا أروح معاه للكلب ده أو

أروح لمباحث الإنترنت، فاختارت الاختيار التاني، وبالفعل جمعوا بيانات عنه في أقل من يوم وكانوا طلعوا جواب للقبض عليه، راحوله المستشفى يخدوه من هناك وخرج بفضيحة، ودة كان سبب طرده من المستشفى ورفده بعد كدة.. وحمدت ربنا إنهم ماعرفوش إني صاحبة البلاغ وإلا كانوا طردوني.

قالتها وانهارت أكثر من البكاء حتى كادت تغيب عن الوعي، تأثر قليلاً ببكائها هذا ودموعها، لكن ذلك لم يمنعه من الاتصال بأحد أصدقائه في مباحث الإنترنت ليتأكد من ذلك المحضر، سألها عن اليوم أو رقم المحضر فأخرجت من حقيبتها رقمه، أعطاه لأحد معارفه ليتأكد منه، وبعد دقيقتين قضاهما خارج غرفتها يدخن سيجارة بينما كانت في الداخل منهارة في دموعها، اتصل به صديقه في مباحث الإنترنت وأكد له أن المحضر صحيح، وكانت صاحبته مروة شعبان ضد المدعو أيمن محمد أحمد، وأن الإجراء الذي تم اتخاذه أنه تم القبض عليه وتغريمه وتوقيعه على عدم ابتزاز المدعوة وحبس ستة أشهر، لكنه خرج بعد ثلاثة أشهر، بعدما ضمنه أحد أقاربه.

شكر صديقه على كل تلك المعلومات القيّمة، شعر بعدها أنه بدأ يمسك زمام الأمور وأصبح معه طرف خيط قوي ومهم في تلك القضايا، رغم استمرار غموض شريف سند، لكنه على الأقل أصبح يمتلك معلومات ذات قيمة، شعر بالندم تجاه مروة التي لم يعد يصدر لها صوت.. دخل ليطمئن عليها فوجدها نائمة، وما زالت تئن في صوت خفيض، رفع قدميها من الأرض وخلع حذاءها ومدد جسدها على السرير فاستيقظت مفزوعة فجأة وصرخت في وجهه: أقسم لك بالله إني... وضع يده على فمها وأسكتها برفقٍ ثم ضمها إليه وأخذ يربت على ظهرها إلى أن هدأت ارتجافة بدنها تدريجيًا وغابت في سباتٍ عميق...

بعدما اطمئن عليها خرج وأغلق الباب، ثم جلس في غرفة المعيشة ليفكر فيما سيفعله بعد ذلك، أمسك هاتفه الذي أصبح بطاريته ٣٤٪ ودخل موقع صراحة متأكدًا من أنه سيجد رسالة، لكنه لم يجد شيئًا! ألقى الموبايل أمامه على المنضدة واستلقى بجسده، لكنه سرعان ما نهض مرة أخرى وأخذ الهاتف ودخل به غرفة النوم، وضعه على الشاحن وضبط المنبه ليرن بعد ساعتين، قبل أن ينزع الصورة من الحائط وفتح الخزينة ليطمئن على وجود التمثالين، ثم أعاد كل شيء كما هو، مدد جسده على السرير ودس نفسه تحت الغطاء، أخذ يفكر في أشياء كثيرة إلى أن غاب عن واقعه وسافر.. ساعتان من النوم سيجعلانه قادرًا على مواجهة الأحداث التالية.

لم تمر سوى ساعة ونصف حتى استيقظ على اتصال، لكن ليس اتصالا عاديًا، وإنما اتصال عبر الفيسبوك ميسينجر، من حساب غامض يدعى

«المخلص»، منذ أربعة أيام فقط لو جاءته مثل تلك الاتصالات لكان سيرفض الرد عليها ويحظر ذلك المستخدم، لكن اليوم الأمر مختلف، خصوصًا أن الاسم ليس عاديًا، فاضطر أن يجيب، رد عليه الطرف الآخر بصوتٍ أجش:

- كنت عاوز أسمع صوتك من زمان... أخبارك إيه؟!

بيد أن المتصل يمتلك ذكاء ودهاء بما يكفي ليجعلاه يغيّر صوته مُستخدِمًا برنامج ما، أجابه زياد بترقب وحذر:

- ملكش دعوة أخباري إيه.. قوللي إيه الخطوة الجاية خليني أخلص؟

- زي ما اتفقنا، هاخد منك القلب والعينين.

- مش قبل ما أعرف فين مكان ودنه الشمال، مخبيها فين.

أجابه وكأنه ماكينة رد آلي: هاخد القلب والعينين الأول...

- وإيه الضمان اللي يخليني أثق فيك؟

أطلق ضحكة قبل أن يصمت لثانيتين ويقول له بنبرة واثقة: مافيش ضمانات.. وهتعمل اللي طلبته ورجلك فوق رقبتك.

يعرف جيدًا أنه يستفزه مُحاوِلاً إخراج أسوأ ما بداخله، وإظهار آخر ما لديه، تمنى في تلك اللحظة أن يعرف مكانه ويقبض على رقبته بكلتا يديه ولا يتركه إلا وهو جثة هامدة، لكنه بالكاد حافظ على ثباته الانفعالي ولم يُنِله ما أراد، أغمض عينيه وازدرد ريقه بصعوبة قبل أن يرد عليه: - ماشي، هثق فيك... تحب تاخدهم مني إمتى وفين؟!

أطلق الطرف الثاني ضحكة متهكمة بنبرة أعلى وأعاد ما قاله ولكن بشكلٍ ساخر: هثق فيك... تحب تاخدهم مني إمتى وفين؟! –أطلق ضحكة أخرى ثم استطرد– إيه آخر فيلم بوليسي شفته يا زياد باشا؟ احنا اتطورنا كتير عن زمان، انت مش هتشوفني، ومش هتعرف أنا مين.. انت هتبعتلي الأمانة مع بنتك الفرسة.

- مستحيل طبعًا.. ابعد بنتي عن حواراتنا، شوف حد تاني.. قالها وهو يرى أمام ناظريه مشهد انفجار السيارة.

- جارتك نيفين اللي صدرها قد راسي مثلاً؟ لالالا أنا عاوز بنتك، وماتخافش، مش هيحصلها حاجة، أنا عارف اللي بيدور في دماغك دلوقت، أصل أنا لامؤخذة عايش جوة دماغك، فأحب أقولك متخافش عليها، بالمناسبة أنا شايف إنك اتعلقت بيها رغم إنك ماربيتهاش، لكن يا خسارة انت اتحرمت

من إحساس إنك تشوفها وهي بتكبر قدامك. بس عمومًا طالما انت مبسوط أنا كمان مبسوط.

ساد الصمت بينهما لثوانٍ إلى أن كسر زياد ذلك الصمت: انت بتعمل كل ده ليه؟

- احتمال تعرف في يوم من الأيام، خلينا دلوقت نتكلم في المهم، انت هتبعت بنتك بالأمانة، هتركب تاكسي للتجمع الأول، وقبل ما توصل للرحاب هتنزل أدام كومباوند الياسمين ٣، هتعدي الناحية التانية هتلاقي شجرة متعلق فيها خيط متوصل بجزمة حريمي قديمة، هتسيب تحت الشجرة دي الأمانة وتمشي. والباقي عليا.

- .....

- متحاولش تروح وراها أو تراقبها أو تتبعها، في قناص مراقب المكان، فوق مبنى عالي، القناص ده يقدر يصيبب ورقة شجر على مسافة عشرة كيلو متر، لو دخلت جوة دايرة حواليها قطرها خمسين كيلو هتتفاجئ بالفرسة مقتولة برصاصة بين عنيها، بعدها بربع ساعة انت كمان هتكون ضحية زي اللي قبلها. كلامي مفهوم أنا عارف... انت مش محتاج تقوللي أيوة مفهوم.

- .....

- تمام.. أنا بحب الحركة والتحركات الإيجابية، ومعنديش وقت لسة ورايا شغل كتير. قدامك ساعة من دلوقت.

رد عليه زياد أخيرًا: شغل كتير إيه اللي وراك؟ انت ناوي تعمل جرايم تانية؟! فأجابه الطرف الآخر بنبرة حازمة حاسمة:

- ده مش شغلك، كل اللي عليك إنك تمارس مهنتك، وبضمير، زي ما أنا بعمل. متحاولش تضيع وقتك في الاتصال بمباحث الإنترنت والجريمة الإلكترونية عشان يحددولك مكاني أو هويتي، الحساب ده هيتبخر بعد ما أقفل معاك بأربع ثواني، ده غير إني شاطر أوي في تأمين نفسي وطمس أي أدلة ورايا. قدامك ساعة... سلام.

ما إن أغلق المكالمة ودخل على الملف الشخصي للحساب حتى وجده بالفعل قد أصبح غير متاح، مما يجعله غير قادر حتى على الحصول على رابط يرسله إلى أصدقائه في مباحث الإنترنت، لم يفكر كثيرًا وخرج ليفتح الثلاجة ويأخذ المرطبانين، وضعهما في علبة وأحكم غلقها ثم غلفها بعدة أكياس سوداء وأحكم غلقها أيضًا بشريط لاصق، التقط علبة سجائره وأشعل سيجارة قبل أن ينادي على ابنته عدة مرات فلم ترد عليه، طرق الباب وفتحه فوجدها نائمة وما زالت تئن، أوقظها برفق وظل يتحدثِ معها بكلمات

رقيقة حتى صالحها –أو هكذا خيل إليه- ثم طلبً منها أن تأخذ تلك العلبة وتنفذ ما سيطلبه منها، سألته لماذا؟ وماذا بداخل هذه العلبة؟ لكنه نبَّه عليها ألا تسأل عن أي شيء، وسوف يشرح لها كل شيء فيما بعد، أكد عليها ألا تحاول فتح العلبة.. لسلامتها، فأومأت رأسها بالموافقة وارتدت ملابسها ونزلت بالعلبة التي وضعها داخل حقيبة هدايا وركبت سيارة أجرة، وصلت بها إلى المكان المتفق عليه بعد أربعين دقيقة وتركت ما معها بجوار شجرة وعبرت الناحية الأخرى.، وقفت لمدة دقيقتين حتى جاءت سيارة أجرة أخرى من بعيد فأشارت لها وعادت، كان معها معظم الوقت يطمئن عليها عبر الهاتف، حتى عادت له مرة أخرى.

فتح حينها موقع صراحة فوجد رسالة منه:

شكرًا لحسن تعاونك، وعشان عملت المطلوب بالحرف، فحابب أقولك إن ودن الجثة مش في شقتك، اطمن، كلمة راجل، ولو مش عاوز تطمن براحتك

سرح في كلامه، هل من الحكمة تصديقه؟ نفسيًا وسيكولوجيًا، كان يستطيع إيذائي في أكثر من موقف، لكنه لم يفعل، فلماذا الآن أشعر بالخطر وأنه سيؤذيني؟.. انبثق منه شخص آخر قال له إنه ربما لم يحن الوقت بعد لإيذائه.. فكر في تلك النظرية ووجد أنها صحيحة، عمومًا لم يفكر في الأمر كثيرًا كي لا يرهق نفسه بعلم الغيب، واستثمر تفكيره في اللحظة الراهنة، رن جرس الباب وكانت مروة التي دخلت وارتمت على الأريكة التي في غرفة المعيشة، اعتذر لها زياد لأنه يعرف أنها مرهقة من أول اليوم، فأومأت له برأسها مبتسمة أن لا شيء يستدعي الاعتذار، لاحظ أن ابتسامتها منكسرة فأخذها في حضنه ومسد شعرها قائلاً:

- ربنا يخليكي ليا يا حبيبتي، أنا عارف إني جيت عليكي وظلمتك.. لكن ورحمة ولادي لأعوضك عن كل دة... ادخلي نامي دلوقت وأنا هروح أعمل كام مشوار..

كانت الساعة حوالي الخامسة مساءً حين دخلت غرفتها ودخل هو الحمام ليأخذ دشًا، ثم خرج ونزع الهاتف من الشاحن.. جلس على حافة السرير يتحدث إلى نفسه بصوتٍ خافت: في حاجة في الشقة تستدعي القلق؟

فوقف أمام المرآة ليرد على نفسه بنبرة أخرى ولكن بنفس درجة الخفوت:

- لأ.. معتقدش، الجثة اتبخرت والحمد لله، والودن مش موجودة، التمثالين في أمان، الكاميرات مستخبية، المداخل والمخارج متأمنين. يللا بقى نبطل كلام ونكمل شغل.

ذهب مباشرة إلى المستشفى، التي كانت مغلقة أبوابها وأمامها شريط أصفر وعسكريون، دخل المستشفى ولم يجد بها سوى بعض العاملين بإدارة المستشفى ومديرها الذي رآه ورحب به وأخذه إلى مكتبه: هنعمل إيه دلوقت يا زياد بيه؟ هنفضل قافلين المستشفى أكتر من كدة؟!

- آه.. أعتقد هتفضل كدة يومين تانيين..

- بس ده خراب بيوت، المستشفى فيها مرضى، وقللنا عدد العاملين بقدر الإمكان زي ما طلبتوا، لكن ده مش في صالح المرضى، احنا كل يوم بنعمل عشرات العمليات وفي مرضى كتير لازم يتعمل ليهم عمليات الأيام دي... هنعمل إيه؟ نسيبهم يموتوا؟!

ظل زياد صامتًا لنصف دقيقة تقريبًا حتى نهض وطلب مقابلة مدير الأمن ومدير الموارد البشرية، فضغط المدير على الزر طالبًا من سكرتيرته أن تحضرهما حالاً.. لم تمر دقائق حتى حضرا بالفعل. طلب زياد من مدير الموارد البشرية ملفات كل موظفي الاستقبال الذين عملوا بالمستشفى منذ نشأتها في ٢٠٠٤ وحتى الآن، وطلب من مدير الأمن كل شرائط الفيديو لكل الكاميرات المثبتة بكل أرجاء المستشفى، منذ بداية العام، وآخر ثلاثة أعوام!

نظرا إلى مدير المستشفى الذي شرع لهم ذراعيه على امتدادهما رافعًا حاجبيه باندهاش: مستنيين إيه؟! اعملوا اللي زياد باشا طلبه.. قدامكو عشر دقايق.. مش حداشر دقيقة.

قبل مرور عشر دقائق دخن فيها زياد سيجارتين متتاليتين، عادا ومعهما كل ما طلبه في صندوق، طلب مدير المستشفى من سكرتيرته أن ترسل له أحد العمال ليأخذ الصندوق ويذهب معه حتى سيارته الواقفة أمام المستشفى، وضع العامل الصندوق في حقيبة السيارة الخلفية وألقى له التحية بيدٍ مرتعشة فدس زياد يده في جيبه وأخرج ورقة فئة مائة جنيه وأعطاها له في يده ليراها جيدًا، فشكره العامل بحرارة، وسأله زياد حينها: بقالك قد إيه شغال هنا يا حجيج؟!

- من خمس ست سنين سعادتك.

- ملاحظتش أي حاجة غريبة في المستشفى في الفترة دي؟ أي شيء مش عادي؟

- لا يابني.. كل حاجة ماشية هنا زي الساعة.

- تعرف واحد اسمه أيمن محمد أحمد؟

- آه أعرفه، كان موظف في الاستقبال لكن انطرد بفضيحة، واترفد بعدها وباعوه في أقل من ثانية.

- مين دول اللي باعوه؟

سكت لثوانٍ لكن زياد هز له رأسه فتحدث الرجل متوترًا: معلش يا باشا أنا مش هقدر أقول أكتر من كدة.

- لأ مهو أنت هتقول هنا يا حاج بدال ما أخليك تقول في القسم، وانت رجل كبير مش حِمل ضربة يا حاج، فمتخلنيش أخليك تتكلم غصب عنك وعن أمك!

- حح .. ححـ حاضر يابني، أنا أقصد مدير المستشفى وبعض الأطباء هنا بما فيهم دكتور رأفت الله يرحمه، أيمن ده كان كلبهم المطيع، أنا معرفش إيه اللي بينهم بالظبط لكن كل اللي في المستشفى عارفين إنه خدامهم النجس، أهو ربنا بعده عننا راح في نصيبة إلهي ما يرجعه. معنديش معلومات تانية أقسم بالله.

- ماشي، هصدقك، لكن لو حسيت إن عندك حاجات تانية أنا موجود، وأكيد مفيش حد هيعرف إنك قلتلي حاجة.

- ياريت بالله عليك يابني أنا رجل عجوز وبجري على كوم لحم، ومش حمل قطع عيشي.

أجابه بابتسامة وركب سيارته وأدارها بينما ذهب الرجل، نادى عليه زياد مرة أخرى، فاقترب منه الرجل مُنحنيًا، سأله زياد:

- إيه رأيك في الممرضة اللي اسمها مروة... مروة شعبان؟

- آية.. آية من الرحمن.. ربنا يبارك لها ويرزقها، لو في بؤها اللقمة مش بتستخسرها في حد.

- ماشي يا حجو... على اتفاقنا بقى زي ما قلتلك... قالها وهو يمد له يده بورقة أخرى فئة خمسين جنيهًا، فتهلل الرجل وهو يأخذها منه، غادر بعدها زياد إلى القسم ومعه الصندوق في الحقيبة الخلفية، أخذه وصعد به إلى مكتبه.

دخل وراءه أحد العساكر ليعطيه ظرفًا كبيرًا بني اللون مكتوب عليه تقارير المعمل الجنائي، وموقع من حازم نجيب، أخذ منه الظرف ووضعه أمامه ثم طلب منه أن يحضر له كوبًا كبيرًا من القهوة، فتح الظرف وأخذ يتفحص التقارير التي لم يجد بها أي شيء جديد يلفت انتباهه، التقط ورقة وقلمًا من أمامه ورسم فيها دائرتين، الأولى كتب بداخلها د. رأفت الميهي.. والثانية

كتب بداخلها أيمن موظف الاستقبال.. ظل يفكر.. ماذا من الممكن أن يربطهما ببعضهما؟! وما علاقة شريف بهما؟ سرح قليلاً وشرد بعيدًا محاولاً الوصول إلى طرف خيط، وقعت عيناه على الصندوق ففتحه ملتقطًا الإسطوانات المحمل عليها كاميرات المستشفى، فتح جهاز الكمبيوتر ووضع فيها الإسطوانات وأخذ يتفقد الكاميرات في هذا اليوم الذي حدثت فيه الجريمة، والأيام السابقة له، خصوصًا في الدور الذي حدث فيه ذلك، وأيضًا تلك الكاميرا المثبتة فوق بوابة المستشفى للاستقبال، تجمد فجأة حين رأى شيرين القاضي تدخل من البوابة الرئيسية في أحد الأيام، سرَّع الفيديو وبعد نصف ساعة وجدها تخرج برفقة الدكتور رأفت الميهي الذي وقف معها يتحدثا لخمس دقائق ثم قبلها على وجنتيها ورحلت.

شرد حينها مُحاولاً ربط كل تلك الخيوط ببعضها البعض.. التقط ورقة وقلمًا من المنضدة وأخذ يرسم دوائر كثيرة متداخلة وهو يفكر بصوت عال، من المؤكد أن هناك علاقة بين شريف وشيرين القاضي.. من المؤكد أيضًا أن هناك علاقة بين أيمن والطبيب.. والآن اكتشفت أن هناك علاقة بين شيرين والطبيب، استنتج حينها أن العامل المشترك بين كل هؤلاء هو شيرين، أشعل سيجارة وهو يفكر في آلاف الأشياء، أولها هو الاتصال بشيرين القاضي، عله يجد عندها الإجابة حول الأسئلة المتعلقة بذلك الطبيب وعلاقتها به.. أمسك هاتفه ليتصل بها لكن حال دون ذلك المقدم علاء عاشور الذي دخل عليه وصافحه، فوضع الهاتف على المنضدة بجواره وأشار له بالجلوس ثم استخرج ملفًا من الصندوق وأعطاه له:

- ده ملف واحد اسمه أيمن محمد أحمد، كان شغال في المستشفى موظف استقبال.. عاوزك تعمل لي تحريات عنه، وعمل إيه بعد ما طردوه من المستشفى، وإيه علاقته بالدكتور، قالها وهو يضع سيجارة في فمه ويبحث عن الولاعة، في حين رد عليه علاء بنبرة واثقة:

- وعلاقته الدكتور ببنتك؟!

نزع السيجارة من فمه وألقاها أمامه على المكتب ونهض مُنفعِلاً: ومين اللي قالك موضوع بنتي دة؟ وإيه علاقتها أصلاً بالموضوع؟ عاوز تقول إيه اتكلم من غير لف ودوران؟!

نهض هو الآخر وأجابه بنفس النبرة: عاوز أقول إن في حاجة مش مظبوطة ومحتاج أعرفها.

أطرق زياد رأسه لثوانٍ وأغمض عينيه محاولاً السيطرة على رد فعله، باحثًا عن كلام مناسب لا يدينه: شوف، البنت دي بنتي ومتسألش ازاي لأنه مش

شغلك.. لكن لو أثناء تحرياتك لقيت حاجة تدينها، عرفني، وأنا أول واحد هيحبسها.. تمام؟!

أومأ له برأسه ثم سادت لحظات من الصمت بينهما قبل أن يرد عليه المقدم علاء: - تمام يا زياد باشا... تمام.

- وعاوزك تشوفلي القضايا اللي كان شغال عليها شريف سند الله يرحمه في السنتين اللي فاتوا... قالها ثم أشار له بجفاء أن يرحل، وما إن خرج علاء من مكتبه حتى أمسك هاتفه ليتصل بشيرين طالبًا مقابلتها..

- ألو.. مدام شيرين ازيك؟

- مين معايا؟

- أنا زياد ضرغام ضابط المباحث؟

- مش اتأكدت إنه مش أنا اللي قتلت صاحبك؟ عاوز مني إيه تاني بعد كل اللي عملته؟

- عملت إيه من غير مؤاخذة؟

- عملت إيه؟ دمرت حياتي وسمعتي وجوزي هيطلقني بسببك... عاوز إيه تاني..

- عاوز أقابلك ندردش شوية.

سكتت لهنيهة ثم أجابته: أوكي... هنتقابل في مكتبي كمان ساعة من دلوقت... يارب نخلص.

- ماشي...

استدركت قائلة: لالالا، معلش مش حابة حد يشوفك في الشركة، أنا عندي صحفيين كتير وناس بتعشق الفضايح... هنتقابل في مكان عام.. أو بص تعالالي بيتي... أنا موجودة النهاردة طول اليوم، ميدان لبنان شارع الإسراء فوق كافيه تربيانكو هتلاقيه مقفول لكن اليافطة ما زالت موجودة. أنا في الدور الخامس الشقة اللي في النص.

أغلق المكالمة وذهب لها مباشرة، وكان هناك بعد نصف ساعة، فتحت له الخادمة واستقبلته وأجلسته في غرفة الصالون ثم نادت على سيدتها التي علمت بقدومه من خلال سماع صوته، خرجت من غرفتها مرتدية فستانًا قصيرًا رائعًا أبيض اللون يكشف عن نهدين أبيضين، وقف زياد وهو يتفحصها بعينيه من أخمص قدميها وحتى عينيها العسليتين، صافحته وجلسا، نظرت

إلى الخادمة التي فهمت أنها تريد علبة السجائر فأحضرتها وذهبت لتحضر لهما كوبين من العصير، ثم أشارت لها أن ترحل.

- أولاً أنا بعتذرلك عن أي مشاكل سببتها لك.

- ولا يهمك، أنا متعودة دايمًا إن حظي زفت دايمًا، هعرف أتعايش وأتعود، المهم أبعدوا عني عصمت الدندراوي لأني خلاص فاض بيا أقسم بالله، كل شوية يضايقني.

- متقلقيش... أنا هعمله محضر بعدم التعرض ليكي... المهم دلوقت عاوز أعرف منك شوية حاجات عن شريف، وأتمنى متخبيش عني أي حاجة.. ملاحظتيش عليه أي حاجة مش طبيعية في الفترة الأخيرة؟

- مش هو المفروض صاحبك؟ يبقى أكيد تعرفه أكتر مني.

- صاحبي آه لكن مش بينام معايا يا روح أمك.. متلعبيش معايا بالكلام عشان ممكن ألاعب أهلك كلهم. ردي على السؤال يا مرة. متكلمش معاكي عن أي حاجة.. أي تهديدات.. اتفاقيات آثار أو سلاح أو مخدرات... إلخ.

- شريف كان كتوم جدًا، وعلاقتنا مش زي ما أنت فاكر بقى إني عشيقته وبروح ألبس له القميص اللي بيحبه وأرقص له وكدة... علاقتنا سطحية بشكل لا تتخيله.

- وإيه علاقتك بالدكتور رأفت الميهي؟!

أجابته بنبرة متوترة: دكتور رأفت غير إنه أخويا الكبير فهو كمان الطبيب المعالج ليا، وهو اللي عمل لي عملية في القلب. ومتابع حالتي الصحية بعد ما جالي قصور في وظائف الكبد. بس ليه بتسألني عنه؟

- لا عادي دي مجرد أسئلة هتفيدني في القضية.. على العموم شكرًا يا مدام شيرين، وبكرر اعتذاري لو سببت لك أي مشاكل، وبالنسبة لعصمت ده أنا هبعده عنك ماتقلقيش.. لو لقيتي نفسك افتكرتي حاجة أو عاوزة تزودي أي كلام اتصلي بيا...

قالها وهو يصافحها، نزل من شقتها وركب سيارته سارحًا في الحوار الذي دار بينهما، كان ذلك حين رن هاتفه، فنظر له مُندهِشًا لأن الرقم كان private number ... أجاب: ألو.

- ألو... عاش من سمع صوتك يا زياد بيه!! وحشتني ووحشِتْني أيامك..

لأول وهلة لم يكن يعرف من المتحدث، لكن حينما سمع الجملة الثانية أدرك من الصوت هوية المتصل، تجمد الدم في عروقه وشعر بضربات قلبه الذي

يدق بقوة داخل صدره حتى كاد ينخلع من مكانه: منصور النمر! بتتكلم منين؟!

- مالكش دعوة بتكلم منين.. خلينا نتكلم في المهم، أعتقد أنا سيبتك فترة كبيرة أهو، وكدة عداني العيب، هات الأمانة اللي عندك، يا إما هتحصل عيالك... بس قبل ما تحصلهم هعمل فيك اللي مالحقتش أعمله مع مراتك.. مع إن كان نفسي.

حبس أنفاسه وهو يرى مشهد انفجار السيارة أمام عينيه، لكنه انتزع نفسه من تخيل هذا المشهد ورد عليه محاولاً إخفاء انفعاله: - ما تيجي نتقابل أنا وانت ونتكلم طيب، بس نكون لوحدنا، رجل لرجل... ونشوف مين هيعمل إيه في مين.

- لسة برضه راكب دماغك؟ مفيش فايدة فيك!! مش كفاية اللي خدته قبل كدة؟ عاوز كمان تاخد التمثالين؟!

- وهاخد عمرك... أوعدك.

- اسمع بس كلامي وبلاش كلام التهديد اللي لا هيودي ولا هيجيب دة.. انت بتتكلم مع منصور النمر يا زياد بيه... وعلى قد ما أنا مفتري ومعنديش رحمة... على قد ما أنا جدع.. اعتبرني تاجر وهشتريهم منك.

- انت عارف إن دولة مدغشقر فيها أربعين مليون نسمة...

- أربعين إيه؟ أربعين مليون؟! ليه إن شاء الله هشتري تمثال رمسيس؟ لأ هو الواضح إن الكلام معاك مش جايب همه.. خلي بالك من نفسك بقى، وأوعدك إنك في خلال اليومين الجايين هتكون جنب صاحبك في المشرحة، والمساخيط أنا عارف هاخدهم ازاي.

- مشرحة؟!! انت عرفت منين إن...

لم يمهله منصور النمر فرصة ليكمل كلامه وأغلق المكالمة، وضع زياد الهاتف على الكرسي المجاور له ببطء، لكنه سرعان ما التقطه مرة أخرى ليتصل بأحد معارفه في مباحث الجريمة الإلكترونية وأعطاه رقمه طالبًا منه تتبع آخر مكالمة وردته، رغم أن الرقم خاص وغير مرئي لكن ربما يستطيع الوصول إلى أي شيء، وفي مثل هذه الظروف أقل معلومة قد تؤدي إلى أي هدف مهما كان حجمه، بعدما أغلق المكالمة شرد فيما قاله له منصور النمر، مسترجعًا كل حرف دار بينهما، بدأ يرى خيوط القضية تظهر أمامه وتتضح كل الأمور.. سأل نفسه بصوتٍ خافت: - يا ترى مين أقوى؟ أقدر أتخلص منه إزاي؟ وفين ألاقيه؟!! إيه اللي ممكن يعمله أنا مش عامل حسابي عليه؟ تذكر فجأة مروة.. أدار محرك السيارة ومشى على غير هدى

لا يعرف أين سيذهب.. سأل نفسه بصوت منخفض وهو مستغرق في التفكير: ياترى أنا الضحية الرابعة؟ طب إيه اللي يخلي واحد زي منصور النمر يتصل بيا دلوقت بهويته الحقيقية.. وللا ممكن مايكونش هو اللي عمل الجرايم دي أصلاً.. طب لو مش هو، عرف منين إن شريف سند مات؟ مين ابن الجزمة اللي بيبوظ الدنيا من ورايا؟!

تبادرت مروة في ذهنه مرة أخرى.. أمسك هاتفه ليتصل بها ويطمئن عليها.. لكنها لم تجبه، جز على أسنانه وحاول الاتصال مرة أخرى ولم تجبه أيضًا.. فتح موقع صراحة فوجد رسالة، تم إرسالها منذ ساعتين ونصف:

مستعد للضحية الرابعة؟...

تجمدت كل حواسه...

مروة...!

استدار بسيارته من أول دوران متجهًا إلى بيته، كان يقود بسرعة كبيرة ووصل إلى هناك بعد نصف ساعة، عند باب الشقة اتصل به الرائد علاء شكري لكنه رفض تلقي المكالمة وفتح الباب، دخل الشقة مُتلهفًا قاصدًا مباشرةً غرفة مروة، التي وجدها تغط في نومٍ عميق، أيقظها برفق متخيلاً أنها قد تكون ميتة بعد أن حقنت بعقار مميتٍ، لكنه تنفس الصعداء حين وجدها تتحرك وتستيقظ رويدًا رويدًا حتى فتحت عينيها فوجدته أمامها، انتفضت مفزوعة وصرخت فحاول تهدئتها بأن ضمها إليه وأخذ يمشي بأصابعه على شعرها يمسده برفق حتى هدأت قليلاً ثم سألها معاتبًا بلهجة حادة:

- انتي عاوزة تجنيني؟ بتصل بيكي مليون مرة مبترديش ليه؟ هو انتي من اللي بيناموا زي أهل الكهف؟!

- مش دايمًا يا بابا... بس الضرب اللي انت ضربتهولي خلاني جسمي كله واجعني وأخدت بعدها مُسكِن ونمت... وأنا عادة بكون كدة لما بنام بمسكن..

قال لها بنبرة حزينة: أنا آسف يا مروة... اعذريني.. لكن هييجي اليوم اللي هعتذرلك عملي عن كل دة... أوعدك لو ربنا مد في عمري وليا عمر هعوضك عن كل حاجة وحشة في حياتك يا حبيبتي.

ابتعدت عن حضنه قليلاً بعد أن شعرت بنبرته: إيه ده يا بابا، وشك مليان حزن الدنيا كله. أرجوك متخلنيش أشوفك كدة. ربنا يديلك طولة العمر ويخليك ليا يا حبيبي ويجعل يومي قبل يومك.

- بعد الشر عليـ...

قطع كلامه حين رن هاتفه، وكان المتصل صديقه في مباحث الجريمة الإلكترونية، والذي أخبره أن آخر مكالمة وردته كانت من داخل مصر، وسيحاول إخباره بأي جديد سيعرفه عن هوية المتصل، ما إن أغلق الهاتف حتى شعر بألم شديد في رأسه، أغمض عينيه واستند بظهره إلى الحائط وأمال رأسه إلى الخلف كي يوقف قليلاً ضخ الدم في رأسه، اقتربت مروة منه وأخذت تدلك جانبي رأسه بإصبعيها السبابة والوسطى، مقترحة عليه أن يدخل لينام قليلاً، شعر أنها على حق، فيجب عليه أن ينام بعد كل ما حدث كي يستطيع استكمال عمله بذهن صافٍ، لكن اللواء عماد الذي اتصل به للتو كان له رأي آخر، ما إن رن هاتفه حتى زفر متأففًا قائلاً لها:

- مفيش نوم الليلادي... ادخلي اعمليلي جيركن قهوة سادة وشوفيلي معاكي أي مسكن... دماغي هتنفجر... قالها ثم أشار لها بسبابة متصلبة ألا تتفوه بكلمة ليرد على اللواء عماد:

- سعادة الباشا... مساء الفل معاليك.

- انت فين يا زياد.. عاوزك دلوقت حالاً.

- أنا جنب المديرية سعادتك... نص ساعة هكون عندك.

كان ذلك في نفس الوقت الذي بلغ أحد عمال النظافة في منطقة التجمع الأول عن العثور على جثة مجهولة قد تجمعت عليها الكلاب الضالة، وهذه الجثة لرجل في العقد الثالث من عمره، منزوع القلب والعينين. وقد انتقل على الفور ضابط مباحث قسم التجمع الأول ونقل الجثة إلى المشرحة، نفس المكان الذي فيه جثة شريف، الطبيب الجراح..

دخلت عليه مروة ممسكة بصينية عليها كوب من القهوة بجواره قرص مسكن للآلام، فوجدته قد استغرق في النوم مكانه، أطفأت النور كي لا تزعج نومه لكنه استيقظ حينها مفزوعًا متلفتًا يمينًا ويسارًا باحثًا عن الهاتف الذي أمسكه ليعرف كم الساعة، فأخبرته مروة أنه لم ينم سوى عشر دقائق، فنهض ودخل الحمام واضعًا رأسه تحت صنبور المياه كي يستفيق، بدا متهدلاً، ناولته مروة كوب المياه وقرص المسكن وهي تنظر إليه مشفقة على حاله، فأخذ المسكن وتجرع كوب القهوة دفعة واحدة ثم أخبرها أنه سيتأخر اليوم، نزل وركب سيارته قاصدًا المديرية، رن هاتفه فاندهش حين رأى اسم شيرين على شاشة الهاتف، تساءل في قرارة نفسه عن سبب الاتصال، وما إن أجابها حتى سمع صراخها: «الحقوووووووووني... هيقتلنيييي الحقوووووني الحقوووووني»

ثم أغلِقت المكالمة، نهض من مكانه وارتدى حذاءه في عجالة، سألته مروة ما الذي جعله ينتفض هكذا، لكنه لم يرد عليها ونزل راكبًا سيارته قاصدًا بيتها.. ظل يفكر طوال الطريق في آلاف السيناريوهات، كان يقود بأقصى سرعة وحاول الهروب من أي زحام يقابله كي يصل لها بسرعة متمنيًا أن يحاول إنقاذها والإمساك بالقاتل، إنها الفرصة الوحيدة، لم يعد بينه وبين القاتل شيء، وسيجتاز تلك الخطوة التي يسبقه بها.

لم تمر أكثر من أربعين دقيقة وكان أمام العمارة التي تسكن فيها، ركن سيارته عشوائيًا وأغلق الأربع نوافذ سنترلوك ونزل منها.. راقب مدخل العمارة فلم يجد بها أي حارس، صعد بعد ذلك إلى الشقة مستخدمًا السلم، وجد الباب مواربًا، لم يسمع أي صراخ صادر من داخل الشقة، دفع الباب بحذرٍ شديد بطرف إبهامه، بينما انتزع بيده الأخرى طبنجته من جنبه، أول شيءٍ رآه كان الخادمة المسجاة على وجهها، وضع إصبعيه السبابة والوسطى عند عرق رقبتها الواصل بين قلبها ومخها فوجده ينبض، تركها ودخل غرفة المعيشة فلم يجد أحدًا، توقع أن تكون في غرفة نومها، وبالفعل وجدها على سريرها..

مقتولة برصاصة في بطنها..

ومنزوعة القلب والعينين...!

كالمجنون، ظل يبحث عن أي شخص آخر في الشقة لكنه لم يجد أحدًا بالطبع، شعر أنه غارق في عرقه لا يدري ماذا يفعل، أحس أنه وقع في فخٍّ لا مفر منه، وقف مُنتصِبًا في وسط الصالة يتلفت حوله باحثًا عن أي شيء يلفت انتباهه، عن أي كاميرات أو أي سلاح، جحظت عيناه حين تذكر أن هناك كاميرا مثبتة فوق شقتها، حاول أن يتذكر هل هناك كاميرا عند مدخل العمارة أم لا لكنه لم يستطع التذكر، فكر في أن ينزل ليتأكد لكنه قرر في النهاية أن يبدأ بتلك الكاميرا اللعينة المثبتة فوق الباب، وجد شمعدان فوق منضدة فأخذه ومد يده عاليًا ملتقطًا الكاميرا وفصلها ثم تتبع السلك الواصل منها ليعرف أين الجهاز المخزن فيه ما يتم تصويره، فعرف أنه في غرفة النوم، عاد مرة أخرى إلى غرفة النوم وفصل الجهاز وبالشمعدان الذي في يده كسر الشاشة التي اكتشف أنها داخل الكومود الأيمن بجوار السرير، نظر إليها نظرة أخيرة قبل أن يسرع خارج الشقة فاصطدمت قدمه في الخادمة الملقاة على الأرض وكاد أن ينكفئ على وجهه لكنه وازن نفسه، أمسك منديلاً موضوعًا فوق أحد الكراسي ومسح بها بصماته التي على الشمعدان، وقف بعدها لأربع ثوانٍ فقط يراجع فيها نفسه إن كان لمس أي شيء آخر أم لا.. فأدرك أنه قد نسي شيئًا مهمًا، هاتفها، المسجل عليه رقمه في سجل المكالمات، وربما كانت المكالمة مسجلة، وضع الكاميرا والجهاز

الملحق بها والمنديل على الأرض، والآن.. أين الهاتف؟! سأل نفسه بصوتٍ خافت.. وفي غضون ثوانٍ تذكر أنه رآه منذ قليل ووقعت عيناه عليه ولكن أين؟! حاول اعتصار رأسه واستجماع تركيزه ليتذكر أين رآه.. احتاج لنصف دقيقة تقريبًا ليدرك أنه رآه بجوار قدمها، زم شفتيه متأففًا لأنه سيضطر للعودة إلى جثتها مرة أخرى، كان الهاتف تحت القدم اليسرى، ومهما حدث فلن يلمسها على الإطلاق -كإجراء احتياطي- لكنه أمسك طرف الهاتف وسحبه من تحتها وحاول فتحه لكنه بالتأكيد محمي بكلمة سر، وهذا ما كان ينقصه، حاول أن يفتحه بأي كلمة سر عشوائية لكن لم يفلح، ولكي يفتحه بنجاح فهو يحتاج إلى ١٠ مليون محاولة على الأقل، على أن يقبض على كلمة السر الصحيحة أول ثلاث محاولات، ما هذا الهراء الذي أفكر فيه؟ الهاتف أصبح الآن مليئًا ببصماتي بطبيعة الحال...

لماذا أبذل عناء فتحه طالما أستطيع وضعه في جيبي وأرحل؟!

وضعه في جيبه بالفعل ووقف في منتصف الصالة مرة أخرى محاولًا مراجعة نفسه قبل أن يرحل وكأنه في امتحان، هل نسي أي شيء؟!... سمع صوتًا بداخله يقول له لا لم تنس شيئًا... هز رأسه والتقط الكاميرا مرة أخرى من الأرض ولفها بالجهاز الملحق بها داخل المنديل ووضعهما داخل كيس بلاستيكي أسود اللون وترك الباب مواربًا كما هو، كان حريصًا ألا يلمس المصعد أو ترابزون السلم وهو يستخدمه في النزول إلى الشارع، علاوة على ألا يراه أحد من الجيران، إلى أن وصل إلى الطابق الأرضي وحمد الله على أنه لا يوجد أي كاميرا مراقبة في مدخل العمارة، انطلق كرصاصة خارج العمارة.

كان ذلك في نفس الوقت الذي كان هناك شخص ما، داخل سيارة على مقربة من باب العمارة، ممسكًا بهاتف ذي كاميرا عالية الجودة، يصوره فيديو وهو يخرج من العمارة..

دخل زياد سيارته وفي نفس الوقت ظل يبحث بعينيه عن أي كاميرا مثبتة فوق أي محل يمكنها كشفه، لكن لا شيء، وضع الكيس البلاستيكي بجواره وضغط بكل قوته على دواسة البنزين بعد أن ألقى الكاميرا ومشتملاتها في الكرسي بجانبه، بعدما ابتعد حوالي خمسة كيلو مترات ومضت في رأسه فكرة استخراج شريحة هاتف شيرين، توقف بجانب الطريق وأخرجه من الكيس البلاستيكي، خلع شريحة الخط منه كي يفصل عنه الإنترنت ولا يستطيع أحد تتبعه سواء عن طريق شبكة الإنترنت أو عن طريق شريحة الخط، خلع أيضًا كارت الذاكرة ووضعه داخل علبة السجائر وأصبح الهاتف الآن ليس ذا قيمة، على الأقل في الوقت الحالي لأنه لا يستطيع فتحه، والحل الوحيد لفتحه هو أن يغير «السوفت وير» الخاص به، وإن فعل ذلك

فسيضطر إلى استعادة ضبط المصنع، وأيضًا لن يكون ذا قيمة حينها.. وكإجراء احتياطي لن يستطيع أخذه معه في المنزل، لكنه يستطيع تركه في السيارة، وبالفعل قرر ذلك ووضعه تحت الكرسي المجاور له في نفس الوقت الذي ضغط فيه على دواسة البنزين ليستأنف طريقه إلى المديرية، وصعد مباشرة إلى اللواء عماد:

- مساء الفل سعادتك؟

- اتأخرت كدة ليه يا زياد انت قلت لي نص ساعة..!

- كنت في المستشفى سعادتك بستجوب مديرها وكام موظف هناك... وأنا راجع كان الطريق واقف.

- البنت اللي عندك في البيت دي اللي قلتلي إنها بنتك، لسة بتشتغل في المستشفى... مش كدة؟

- أيوة سعادتك... كدة

- هي فعلاً بنتك يا زياد؟ اتأكدت؟

- أيوة معاليك اتأكدت، وعملت DNA في معملنا مش في معمل خارجي كمان، الموضوع نزوة قديمة عملتها وأنا صغير، هو موضوع شائك معاليك ويطول شرحه.

- تمام، معنديش مشكلة، بس السؤال المهم يا زياد وجاوبني بصدق، أنا أبوك قبل ما أكون رئيسك.. وبحبك... لو قلتلي دلوقت هعرف أساعدك وأغطيك، وياما غطيتك، لكن لو عرفت حاجة انت مقلتهاش ليا الأمر هيكون مختلف.. وانت عارف غلاوتك عندي، انت ليك علاقة بأي جريمة قتل حصلت من دول؟

- .....

استطرد اللواء عماد بنبرة منفعلة بها بعض رفق: لا.. جاوبني، في ناس بتتربص لك، وعاوزين يوقعوك، وانت عارف كويس كلامي ده وعارف مين هما.

- ورحمة ولادي ما ليا علاقة بأي جريمة قتل ذكرتها، وبحلف لك تاني برحمة ولادي إني همسك ابن الكلاب اللي عمل كل دة، كل الموضوع إنه مسألة وقت... مسألة وقت ليس إلا. أرجو سعادتك تديني وقت كافي لأني بحارب في كذا جبهة، ولوحدي.. وبيني وبين القاتل خطوة واحدة، أنا عارف إنه سابقني بيها، لكن هجيبه مفيش كلام.

- أنا مستنيك تجيبلي القاتل يا زياد. وعلى فكرة النهاردة عثروا على جثة لواحد اسمه أيمن محمد أحمد، مقتول بنفس الطريقة في التجمع.

- أيوة سعادتك عرفت.. هنتقل للمشرحة أتناقش في الموضوع ده مع حازم نجيب. وهعمل تحرياتي... استأذن معاليك.

دخل مكتبه منفعلاً لا يدري ماذا يفعل؛ فالقاتل عادة ما يترك شيئًا وراءه، ولا توجد جريمة كاملة أبدًا، ولكن تلك الجرائم تعتبر كاملة، كان ذلك حين رن هاتفه، فوجد أن المتصل حازم نجيب الذي قال له بنبرة متهكمة مستنكرة:

- أصعب قضية شفتها في حياتي، وقاتل متسلسل مُحترف بيعرف ازاي ينزع عين كاملة، وازاي يكسر قفص صدري وياخد من وراه القلب، قاتل مجنون، مهووس بالأعضاء.

- ده اللي قلته لنفسي بالظبط يا دكتور.. قال له وقد بدا واجمًا، وعلى وجهه هموم لا حصر لها.

- لكن في حاجة غريبة يا زياد، وحاسس إن في اتنين مشتركين مع بعض مش واحد بس. أو قاتل تاني بيحاول ينتهج نفس أسلوب الأولاني... سكت الطبيب منتظرًا أن يطلب منه زياد مزيدًا من التوضيح.. ساد الصمت لثوانٍ ثم تنهد زياد: بمعنى..!

استكمل حازم تفسيره: الجثة اللي جاتلي من شوية، بتاعت الشاب اللي اسمه أيمن وجدوها في التجمع في صندوق زبالة، طريقة نزع الأعضاء فيها مختلفة عن الباقي.. العينين مش منزوعة بالكامل، في جزء منها في القاع، كمان القلب منزوع بإيد خايفة، جبانة، مترددة، عكس اللي حصل في باقي الجثث.

كل ما قاله د. حازم يعرفه زياد جيدًا، وأنه هو المقصود من كلامه، وأنه هو صاحب تلك اليد الخائفة، أغمض عينيه مبتسمًا ابتسامة ساخرة يشوبها أسى كسا ملامح وجهه، سأله: في حاجة تانية لفتت انتباهك؟

- لا... وأتمنى مطلبش بكرة سرير أو سريرين تانيين عشان جثث القضية دي قربت تملا المكان.. قالها متندرًا فضحك زياد مجاملة له وهو يعرف أنه بالفعل سيستقبل جثة شيرين القاضي خلال سويعات.. أغلق المكالمة وجلس ساندًا ظهره للوراء ورفع قدميه فوق المكتب شابكًا يديه خلف رأسه، منتظرًا بلاغ عن اكتشاف جثة المنتجة..

شيرين القاضي.

كانت الساعة الثانية عشرة والنصف صباحًا.

أمسك هاتفه وحذف رقم شيرين القاضي من سجل الأسماء وسجل المكالمات أيضًا.. والآن يستطيع أن يعتبر أنه أزال أي دليل قد يدينه بنسبة ٩٩٪.. نزل وأخذ الكيس البلاستيكي من سيارته وصعد مرة أخرى إلى مكتبه وفتح الحاسوب، وصله بكارت الذاكرة الذي حفظه في علبة السجائر، شعر بالضيق لأنه لم يستطع الولوج إلى هاتفها وفحص حساباتها في مواقع التواصل الاجتماعي، متمنيًا أن يجد أي شيء مهم في كارت الذاكرة الذي قرأه الحاسوب سريعًا، نقل كل شيء عليه ووضعه داخل ملف، لفت انتباهه أن كارت الذاكرة لا يحتوي على أي ملفات واتساب أو فيسبوك أو أي شيء من هذا القبيل، ربما كانت لا تحب السوشيال ميديا.

فتح صور الكاميرا فوجد صورًا عارية لها، تساءل في قرارة نفسه من صورها هكذا؟! هل شريف أم زوجها أم رجل آخر كانت على علاقة به؟ لاحظ أن مكان التصوير في غرفتها، والمرآة التي خلفها تعكس رجلاً يصورها بالفعل لكنه بعد أن كبَّر الصورة وقربها عليه لم ير منه سوى كتفه فقط، كاد أن يبصق على الشاشة غيظًا لكن صبَّر نفسه بأنه ربما يكتشف تفاصيل أكثر في صورٍ أخرى، كانت مجموعة الصور التي تظهر فيها عارية حوالي ثلاث أو أربع صور ليس فيها شيء جديد عن أول صورة، لكن لفت انتباهه جرح أسفل صدرها، ظل يفكر، محاولا توقع سبب هذا الجرح لكنه أخفق، فكر في أن يرسل صورة للجرح فقط لحازم نجيب كي يفيده لكن ليس من الحكمة فعل هذا، على الأقل الآن.. لأنه من المفترض ألا تكون تلك الصور معه، بالإضافة إلى...

رن هاتفه فالتفت إليه منتفضًا مفزوعًا، فوجد أن المتصل المقدم علاء.. فأدرك أن سبب هذا الاتصال إما التبليغ عن جريمة القتل.. أو انتهى من تحرياته عن أيمن وملفات قضايا شريف سند.. أو مصيبة جديدة من حيث لا يدري.. وما إن أجاب على المقدم علاء حتى وقف منذهلاً: - يا نهار أسود.. شيرين القاضي.. اتقتلت؟ بنفس الطريقة؟!

سأله مشدوهًا بنبرة الذي لا يعلم شيئًا، لدرجة أنه هو نفسه اقتنع أنه بالفعل لا يعلم شيئًا.

بعد اثنين وخمسين دقيقة..

وصل زياد إلى الشقة، فوجد زوجها واقفًا عند الباب مُطرِقًا رأسه في حزنٍ واغتمام، دخل الشقة فوجد حارس العقار جالسًا القرفصاء، واضعًا يديه فوق

رأسه كالنائحة، وعلى أحد الكراسي تجلس الخادمة وقد استفاقت من غيبوبتها والتقت عيناه الزائغتان بعينيها، شعر بالرعب من أن تقول إنها رأته هنا صباح اليوم، لكنها لم يبد عليها أي شيء، ولم يصدر منها أي رد فعل حين رأته، استكمل طريقه إلى غرفة النوم برفقة بعض رجال الطب الشرعي الذين شرحوا له ماذا وجدوا حين دخلوا، لم يأبه كثيرًا لما قالوه بقدر ما كان يفكر في رد فعل تلك الخادمة.

تذكر في نفس الوقت أن يتأكد من الجرح الذي وجده في الصورة، وتظاهر أنه وجده بالصدفة لكن القطع الذي أجراه القاتل وهو ينزع القلب قد شوَّه مكان الجرح وأخفى معظمه.. نادى على أحد رجال الطب الشرعي ليسأله عن طبيعة هذا الجرح، فاقترب الطبيب محاولاً فحصه بالعين المجردة لكنه لم يستطع استنتاج أي شيء، فاستعان بالنظارة المكبرة وفحص جزء الخياطة المتبقي من جراء القطع الذي أحدثه القاتل:

- دي خياطة مش جرح.. أعتقد أنه عملية قديمة، لكن مش قديمة أوي، ممكن من تلات لخمس سنين تقريبًا، وممكن تكون قلب أو أوردة أو ورم حميد في الثدي..

استكمل زياد متذكرًا الخبر الذي قرأه عنها حين كان يستجمع حولها معلومات بأنها أجرت عملية الزائدة: أو الزايدة؟

- احتمال... لكن الأرجح عملية قلب، بس القلب هنا منزوع فمش هعرف أقولك هل اتعمل فيه عملية قبل كدة بالفعل وللا لأ –قالها بصوتٍ خافت لكنه مسموع لزياد، ثم استكمل– عمومًا هنعرف أكتر بعد التشريح..

في هذه اللحظة تذكر أنها أخبرته أن دكتور رأفت الميهي قد أجرى لها عملية في القلب من قبل... كان هذا حين دخل عليه المقدم علاء عاشور، وقف بجواره مُدققًا النظر إلى جثة شيرين، سأله زياد من الذي أبلغ عن الواقعة فأخبره وهو ما زال ينظر إلى الجثة أن حارس العقار هو من بلَّغ حين صعد إليها ليعطيها إيصالات الكهرباء، فاكتشف الواقعة ثم أبلغنا وأبلغ زوجها بعد ذلك.

خرج من الغرفة ونادى زوجها الذي ما زال واقفًا عند الباب يئن في صمت.. اقترب منه زياد معزيًا:

- البقاء لله يا كريم... شد حيلك.

لم يرد عليه كريم مكتفيًا بهز رأسه، أخرج زياد سيجارة من علبته أعطاها له فأخذها منه كريم ووضع سيجارة أخرى في فمه ثم أشعل له سيجارته وهو يسأله: قوللي يا كريم انتوا اطلقتوا وللا مجرد انفصال عادي؟

- انفصال... لكن كنت هطلقها آجلاً أم عاجلاً.

أشار له بيده أن يكمل كلامه موضحًا السبب، فسحب نفسًا من سيجارته ومسح دموعه ثم أجابه:

- يوم ما قابلتك في القسم ونصحتني أخلي بالي، دب الشك جوة قلبي، ورجعت تاني يوم بليل لقيتها نايمة، مسكت صباعها براحة وفتحت موبايلها بالبصمة وخدته وخرجت أقلّب فيه، ولقيت مكالمات مسجلة وصور وحاجات تانية مش تمام، واكتشفت إنها على علاقة بكذا حد من ضمنهم عصمت الدندراوي، دخلت صحيتها وواجهتها بكل اللي شفته.. ماقدرتش ترد عليا، سيبتها ومشيت.. حاولت تمسك فيا وتتحايل عليا لكن شتمتها ونزلت.

- كنت فين وقت ارتكاب الجريمة يا كريم.

- كنت في السينما، مع الممثلة ياسمين الكومي... سينما رينيسانس. العرض الخاص لفيلم مهمات خاصة لممثل صديق عزيز. أحمد جبر مؤكد أنك تعرفه.

هز رأسه موافقًا ثم ربت على كتفه واستدار مشيرًا إلى حارس العقار أن يأتي، فهرول الرجل إليه، سأله زياد أين كان وقت ارتكاب الجريمة؟ فابتلع الرجل ريقه بصعوبة ثم أجابه: كنت في السوبرماركو سعاتك، بشتري طلبات لسكان العمارة وسجاير لأستاذ عصمت الدندراوي..

تناهت آخر جملة إلى مسامع كريم عفت الذي اقترب من حارس العقار مستفهمًا لكن زياد أشار له أن يبتعد ويقف مكانه، ثم بسبابته لحارس العقار أن يستأنف كلامه:

- كنت قاعد قدام العمارة سعاتك ولقيته وقف بعربيته، سلم عليا وقالي إنه جه يزور صاحبه في العمارة اللي جنبنا اسمه محمد جمال، واداني ١٠٠ جنيه وقالي أشتريله علبة مارلبورو أحمر وآخد الباقي عشاني (تذكر حين أعطى له سيجارة في التحقيقات وقال له إنه أقلع عن التدخين! عاد بذهنه بعد ذلك إلى ما يقوله الحارس) ولما رجعت سألت عوضين بواب العمارة اللي جنبي عن شقة أستاذ محمد جمال ده لكن قالي مافيش حد في العمارة بالاسم دة.. فأخدت علبة السجاير وحطيت باقي الفلوس في جيبي.

دس يده في سيالة جلبابه مستخرجًا علبة السجائر وباقي المائة جنيه: أهي الفلوس والسجاير يا سعادة الباشا، مخدتش منها غير سيجارتين بس.

- وهو أي حد يقولك روح هاتلي حاجة تقوم تسيب العمارة وتسمع كلامه تجري تجيبها؟

- ده مش أي حد سعادتك.. ده أستاذ عصمت وكان ساكن في العمارة، وبعدين إداني ستين جنيه بقشيش، إيه اللي يخليني مروحش؟ وكدة كدة كان معايا طلبات تانية لسكان في العمارة فقلت أجيبله سجاير بالمرة.

كان المقدم علاء واقفًا على مقربة منه، فنظر له زياد طالبًا منه البحث عن عنوان وهاتف عصمت الدندراوي، وإحضاره، سأل كريم هل يعرف أين يمكنهم أن يجدوه، فأخبرهم أن رقم هاتفه في الشركة، ولديه مركز تخسيس وكمال أجسام في المهندسين، أخرج هاتفه من جيبه واتصل بسكرتيرة شيرين ليأخذ منها رقم عصمت الدندراوي، وأملاه لزياد الذي اتصل بالرقم فوجده مغلقًا، كاد يلقي بالهاتف على الأرض ويهشمه لكن بالكاد استطاع السيطرة على انفعاله وطلب من كريم استكمال الاستجواب وأن يستجوب أيضًا سكان العمارة، وذهب إلى عنوان مركز التخسيس الذي يمتلكه.

لم تمر أكثر من نصف ساعة وكان هناك، سأل عليه أحد العاملين فأخبره أنه لم يأت اليوم، حاول الاتصال به مرة أخرى فوجد أن الهاتف ما زال مغلقًا، طلب منه عنوان منزله فأخبره الرجل كذبًا أنه لا يعرف، لمح زياد الكذب في عينيه، لوح له بكارنيه الشرطة وأخبره أنه ضابط مباحث، فارتبك الرجل وأعطاه عنوانه الذي يبعد عن مركز التخسيس حوالي عشر دقائق، توجه زياد إلى العنوان متوقعًا ألا يجد أحدًا لكنه بعدما رن جرس الباب فتحت له امرأة في منتصف الثلاثينات، مرتدية بادي حمالات أحمر وهوت شورت أبيض، سألها أين عصمت في نفس الوقت الذي سمع صوته من داخل الشقة:

- مين السخيف ابن الكلب اللي بيرن الجرس يا بيبي؟

لم يمهلها زياد أن تتحدث ودخل مباشرة، سمع عصمت مكررًا سؤاله فأدرك أن الصوت صادر من داخل الحمام، دخل عليه ليجده ممددًا جسده داخل البانيو الممتلئ برغوة سائل الاستحمام، بدا على عصمت الدندراوي الذي نظر إليه بعينين مرتخيتين أنه كان ينتظره، أو معتاد على دخول ضباط مباحث عليه كلما قرر أن يستحم في منتصف الليل، كان ممسكًا بسيجار كوبي وكأس به كونياك، قائلاً له بنبرة ساخرة: - خير يا زياد بيه؟ ينفع حد يخض حد كدة؟! طب حتى كنت...

لم يمهله زياد ليكمل كلامه وركله بقدمه في وجهه فانتفض عصمت ووقف عاريًا، لحقه زياد بركله بقدمه اليسرى فأمسكها عصمت بيد ثم غمر يده الأخرى في ماء البانيو ورشها في وجهه فدخلت عينيه، وضع زياد يديه على عينيه يدلكها، في نفس الوقت الذي التقط فيه عصمت مسدسًا موضوعًا

فوق الغسالة الأوتوماتيك المجاورة للبانيو، ووجهه نحوه، تفاجأ به زياد حين استعاد الرؤية مرة أخرى، ثبت عصمت قدميه على البانيو كي لا ينزلق قائلاً له: حد غيرك كان عمل الحركة دي كان هيبقى مقتول دلوقت.. لكن هعديهالك.

لم يهبه زياد ولم يخف من المسدس الموجه نحوه، وظل معلقًا عينيه عليه حتى ابتدر بالكلام:

- إيه اللي خلاك تقتل كل دول؟ إيه دوافعك؟!

- طب هفضل واقف قدامك عريان كدة كتير؟! قالها ثم أنزل يده الممسكة بالمسدس الموجه نحوه ثم استطرد – ممكن تناولني البرنص ده علشان ماستهواش.

لم يزل زياد معلقًا عينيه عليه لثوانٍ ثم التقط البرنص المعلق وناوله له قبل أن يخرج لينتظره في الصالون، فخرج وراءه عصمت وجلس أمامه وهو يشير إلى المرأة التي معه أن تناوله كأس كونياك آخر.. فناولته الكأس ورحلت في نفس الوقت الذي قال له عصمت:

- أنا ماقتلتش حد... وأنا إيه اللي هيخليني أقتل ظابط شرطة؟ هغير منه مثلاً عشان على علاقة بشيرين!!

- شيرين اللي اتقتلت...؟

فغر عصمت فاه وقال له بسخرية، مندهشًا اندهاشًا مُصطنعًا: واااو.. شيرين اتقتلت!!

- كنت بتعمل إيه النهاردة هناك الساعة حوالي ٠٩:٤٥ مساء، وليه سربت البواب؟

- كنت عند دكتور السنان اللي جنب عمارة شيرين.. شفت البواب سلمت عليه وبعته يجيبلي سجاير وطلعت عند دكتور السنان.. إيه مشكلتك في كدة!!

أخرج هاتفه من جيبه واتصل بعلاء عاشور الذي ما زال في شقة شيرين، أخبره أنه يحقق مع عصمت الدندراوي الآن وطلب منه أن يذهب إلى العمارة المجاورة بأقصى سرعة والتأكد من أنه كان بالفعل عند طبيب الأسنان.. أغلق هاتفه ووضعه مرة أخرى في جيبه، بينما ظل عصمت جالسًا بهدوء دون أن يتفوه بكلمة حوالي عشر دقائق مد يده بعدها ليتجرع باقي كأس الكونياك ويشعل سيجارة، وجد زياد أنه يدخن نوع ميريت أصفر، بينما طلب من حارس العقار مارلبورو أحمر، وفي التحقيقات رفض أن يأخذ منه

سيجارة مُدعيًا أنه أقلع عن التدخين، سأله عن كل ذلك مستفسرًا، فأجابه عصمت بلا مبالاة: عادي يعني، كنت مبطل من يومين، وبشرب ميريت أو مارلبورو..

- كنت بتكشف إيه عند دكتور السنان؟

- كنت بعمل تنضيف وتبييض أسنان، بعمل كدة كل ست شهور وكان ميعادي معاه امبارح.. طلب منه أن يريه أسنانه، ففعل، فتح فمه فوجد أسنانه بالفعل بيضاء، ويبدو على تنظيفها أنه حديث العهد.

كان ذلك حين اتصل به المقدم علاء ليخبره أن عصمت بالفعل كان عند الطبيب وقت ارتكاب الجريمة، ليكشف على أسنانه ويجري جلسة تنظيف وتبييض ومعالجة جيوب اللثة، وتأكد أكثر حين أعاد تسجيل الكاميرا التي سجلت دخوله وخروجه، شكره زياد ثم أغلق الهاتف وعلق نظره على عصمت بعينين متفحصتين، بينما نظر له عصمت نفس النظرة بعينين متبجحتين، وبدا عليه الثقة في كل كلمة يقولها أو كل فعل يقوم به.. إلى أن سأله زياد:

- هسألك سؤال واحد يا عصمت.. وبعدها احتمال كبير أسيبك وأمشي.. انت عملت كل ده ليه؟ إيه الدافع ورا كل دة؟!

- جاوبني انت الأول يا زياد باشا.. اقترب برأسه منه وسأله بصوتٍ خافت:

- إيه اللي وداك هناك يا حبيبي؟! أعتقد إن في ساعة تقريبًا بين ارتكاب الجريمة اللي حصلت في تمام الساعة ٠٩:٤٥ م زي ما أنت قلت بعضمة لسانك.. وبين نزولك من شقتها، الساعة ١٠:٣٣م، نفس الوقت اللي أنا نزلت فيه من عند الدكتور.. مش كدة وللا إيه؟! وأوعى تكدب.. ده أنا مصورك.. فيديو بسم الله ماشاء الله طالع فيه جان.. تامر هجرس.. بص كدة.

فتح عصمت الفيديو ومد له يده به قائلاً: شوف الفيديو بدون ما تنفعل وترميه وتكسره، ده آيفون بأربعة وعشرين ألف جنيه يا زياد بيه!

أخذ زياد منه الهاتف ورأى الفيديو الذي يعرض خروجه من العمارة، أطفأه وقال له مُتعجِبًا: والله!! طب ليه ماقلتليش من الأول إنك شفتني وصورتني وأنا خارج من هناك. بدال ما أضربك وأنت في البانيو وكنت هتقتلني وكانت هتبقى ليلة.

- كل حاجة في وقتها بتكون ألطف.

بدا زياد هادئًا رغم البركان الثائر بداخله، لم يرمش، لم يصدر منه أي رد فعل، ظل معلقًا عينيه عليه حوالي عشر ثواني ثم أغمض قليلاً محاولاً استجماع شتات نفسه التي تتبعثر أمامه: ليه قتلتها يا عصمت، وليه قتلت كل اللي قبلها؟!

- المقابلة انتهت يا زياد باشا.. قدامك دقيقة وتكون اختفيت من قدامي.

- هشنقك يا عصمت.. هشنقك.. وعلى إيه!! نهض وأخرج طبنجته الميري من جرابه المعلق بجانبه ووجهها نحوه قائلاً بنبرة قوية، ثابتة، واثقة:

- قتال قتلة جيت أقبض عليه، قاومني بمسدسه اللي عليه بصماته جوة، فقتلته.

لم يصدر عصمت أي رد فعل، ظل معلقًا عليه عينيه المرتخيتين لثوان ثم أطلق ضحكة ساخرة هزت ثقة زياد في نفسه.. ظل عصمت يضحك حتى اكتست ملامحه بجدية قائلاً: اعمل اللي تحبه، لكن بعد نص ساعة من قتلي، نص ساعة بس.. الفيديو ده مش هيروح المديرية وبس، لالالا ده هيلف مصر كلها، ده غير ودن أيمن طبعًا، أيمن الشرير اللي ماكانش بيسمع الكلام.. وحاجات تانية كتير.. منا قلتلك كل حاجة في وقتها بتكون ألطف.

ظل زياد يتطلَّع إليه مُنصِتًا لما يقوله، بعينين متجمدتين، وهو يتخيل كل الجرائم التي حدثت، ويتخيله وهو ينفذ كل جريمة.. أخيرًا رأى القاتل، لكنه لا يستطيع أن يفعل له أي شيء.. شعر حينها بالعجز والحيرة.. لا يدري ماذا يفعل له! ما هو رد الفعل المناسب؟ قطع تفكيره عصمت قائلاً وهو ينظر إلى ساعته:

- يللا بقى امشي عاوز أدخل للبنيّة مكسورة الجناح اللي جوة مستنياني دي...

قال له ساهمًا بدون تردد بعينين ثابتتين دون أن يرمش: - حاضر... همشي.

قالها زياد وذهب نحو باب الشقة، لكنه حينما أمسك المقبض استدار له يسأله:

- في جرايم قتل تانية هتحصل؟

- لأ... تقدر تقيد كل الجرايم دي ضد مجهول وتقفلها نهائي.

- مش عاوز تقوللي عملت ليه كدة واحنا مع بعض دلوقت مش معانا حد؟!

- كل حاجة هتعرفها في وقتها.

- تمام.. أي كلمة مش مناسبة هتخرج منك مش هتكون في مصلحتك، ولا في صالح حد.. ودة في حد ذاته كفيل يخليني أعرفك إمكانيات زياد ضرغام، وأعتقد إنك مش هتحب تشوفه؛ لأنك هتكون الجريمة الخامسة. وأنا اللي هنفذها بإيدي.

- يا زياد بيه... أنا ماشفتكش.. وماتكلمتش معاك أصلاً.. قالها مبتسمًا..

أغمض زياد عينيه وهز رأسه متأسيًا من قلة حيلته، خرج وركب سيارته لا يدري أين يذهب، كل ما حدث في اليومين السابقين مر أمام ناظريه كفيلمٍ سينمائيّ، توقف فجأة وظل ساهمًا حوالي ربع ساعة بعدما ذهب، يفكر في الأمر بشكل أعمق.. تساءل في قرارة نفسه:

- يا ترى إيه الدافع اللي خلاك تعمل كدة يا عصمت؟ وليه بالذات القلب والعينين؟! ياترى إيه اللي وراك؟ وياترى إيه أقصى حاجة ممكن تأذيني بيها؟ وهل كان صح إني أسيبك وأمشي؟! هل حياتك دلوقت بتهدد حياتي، شغلي، ومستقبلي، وحتى الماضي بتاعي؟! يا ترى انت مين؟!!

الجريمة الكاملة...

هي الجريمة التي يفعلها شخص ما دون أن يترك وراءه أي دليل..

- ازاي كل ده حصل وتم؟ والأهم من ده كله... ليه حصل؟

تساءل في قراراة نفسه وشعر أن بؤبؤ عينيه سينفجر فأغمض عينيه قليلاً وأمسك برأسه ضاغطًا عليه، أحس أنه يريد أن يرتاح، أن يمدد جسده على السرير، تذكر حينها مروة وارتسمت ابتسامة على صفحة وجهه، رنَّ هاتفه وكان المتصل علاء شكري فرفض المكالمة.. اتصل به بعد ذلك اللواء عماد فرفض المكالمة أيضًا، أدار محرك سيارته مرة أخرى واتجه إلى بيته واتصل بمروة في الطريق:

- أيوة يا مروة.. حضري شنطة هدومك هنسافر العين السخنة..

- إيه ده فجأة كدة؟!! طب إزاي وأنا عندي شغل مهم بكرة وتلات عمليات و..

قاطعها بنبرة هادئة: لأ.. مهو انتي هتقدمي استقالتك ومش هتروحي تاني.. هكون عندك بعد نص ساعة تكوني حضرتي نفسك، شنطتي مش هتاخد أكتر من خمس دقايق.. عاوز أوصل الشاليه بتاعي قبل الفجر..

- الشاليه بتاعك؟! سألته مندهشة، فأطلق ضحكة ساخرة وقال لها بنبرة متهكمة، متحديًا الاغتمام الذي يسكن روحه:

- آه... هو أنا ماقلتلكيش إن باباكي عنده شاليه ومعاه فلوس كتير جدًا.. يللا ماتضيعيش وقت..

بدا وكأنه لامبالٍ بأي شيء، أو بمعنى أدق، شعر أنه بحاجة إلى الاستمتاع باللامبالاة، أو بحاجة إلى إجازة كما أخبر مروة، اتصل به اللواء عماد مرة أخرى، فأجابه زياد ليخبره أنه يريد راحة لفترة، فرد عليه اللواء منفعلاً:

- إيه ده يا زياد؟ يعني إيه راحة؟ كدة فجأة؟!

- صدقني سعادتك، أنا خلاص مبقتش قادر، ومش عاوز أخذلك أكتر من كدة أنا أول مرة أحس مش قادر أكمل في قضية.. وأتحدى أي حد غيري إنه يعرف يفك طلاسمها ولوغاريتماتها..! القضية هتقيد ضد مجهول وأنا هسافر يومين العين السخنة أغير جو، ويمكن.. يمكن لما أرجع أبقى أشوف هعمل فيها إيه.

- متغيبش عن يومين زياد.

- هرجع بعد أسبوع..

- متغيبش عن يومين قلت، ماتضطرنيش أعاملك ميري، ماينفعش تسيب القضية كدة.. ماينفعش.

- صدقني سيادتك القضية في الآخر هتتقيد ضد مجهول زي ما قلتلك، القاتل محترف، ابن لعيبة، وماهر في ارتكاب جريمة كاملة.

- مفيش جريمة كاملة يا زياد... انت نسيت اللي ادتهولك في الكلية؟

- هنشوف الموضوع ده لما أرجع سعادتك.. لكن دلوقت أنا فعلا محتاج أرتاح، وقلت أطلبها منك أفضل من إني أقدم استقالتي بشكل نهائي، وأساوي معاش مبكر.. أو أتنقل إدارة تانية.

أغلق المكالمة وظل طوال الطريق إلى بيته شاردًا في التفكير في كل شيء مر عليه خلال هذا الأسبوع.. ثم تذكر والديه شاعرًا بالحنين إليهما ولأيامهما، ولفترة طفولته وصباه، تلك الفترة التي كان أقصى شيء يشغل باله أن يشتري كرة قدم جديدة، أو مسدسًا لعبة.. تذكر بعد ذلك أولاده.. زوجته التي حتمًا ستتزوج من رجل آخر قريبًا، وسيستمتع بها، وبجسدها، سيسكن قلبها، سيرى عينيها كل يوم حين يتحدث إليها، سيجلسان معًا داخل البانيو ساعة ونصف. وأشياء أخرى كثيرة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد أسبوع...

العين السخنة... شاطيء بالميرا بيتش السخنة..

الساعة ٠٧:١٩ صباحًا..

حيث صفاء مياه البحر الأحمر بأمواجه الهادئة حين تداعب رمال الشاطيء الصفراء الناعمة، وسحر الجبل الشامخ على يمينه.. يجلس زياد ممددًا جسده على كرسي شاطئ، مرتديًا نظارة شمسية وشورتًا كاريبي يعلوه تيشيرت حمالات تظهر من تحته عضلاته المفتولة وبشرته المائلة للاحمرار وشعر صدره الكث الذي يخفي سلسلة فضية ثقيلة معلقة في رقبته، جالسًا يتأمل درجات الأزرق الخلابة التي يكتسي بها بحر العين السخنة، والتي يتميز بها عن أي شاطئ آخر في مصر.. كان أسبوعًا رائعًا وكان بحاجة ماسة له، وخططت مروة له كل يوم برنامجًا رائعًا حتى يتجدد نشاطه أكثر وأكثر. فبدا في هذا الأسبوع أنه قد صغر عن سنه حوالي عشرة أعوام.

ورغم أنه كان حريصًا طوال هذا الأسبوع ألا يفكر في أي شيء قد يعكر مزاجه، إلا أنه أحيانًا يجد نفسه يفكر في كل هذه الجرائم رغمًا عنه، محاولاً الربط بينها، وحينما يجد نفسه لا يصل إلى أي شيء ينفض عن رأسه كل تلك الأفكار ويلتفت لابنته التي حاولت بشتى الطرق أن تبعده عن أي شيء قد يخرجه من أجواء الراحة.

أحيانًا كان يجد نفسه جالسًا وحيدًا أمام البحر مثل الآن، فيدخل على موقع صراحة بحثًا عن أي رسالة غامضة تأتي له، لكن طوال هذا الأسبوع لم يستقبل أي شيء، حتى أنه اتصل مرتين برئيسه -الذي كان متذمرًا منه بسبب سفره هذا– متظاهرًا أنه يطمئن عليه، لكن السبب الرئيسي هو معرفة إن كان قد تلقى أي بلاغات أخرى أم لا، لكن منذ جريمة قتل شيرين القاضي لم يحدث أي شيء، ويبدو أنها كانت الجريمة الأخيرة، أول جريمة وآخر جريمة قتل كانا مع بعضهما البعض في البداية.. انتزع نفسه من تلك الأفكار مرة أخرى وأمسك هاتفه يتفحص الفيسبوك بحثًا عن أي حفلات تقام في العين السخنة، فهو أيضًا كان حريصًا على فعل أي شيء مختلف كل يوم مع مروة التي اكتشف معها أشياء جديدة فعلها لأول مرة ووجد أنها ممتعة، ولم تجد هي أي صعوبة في إقناعه بالقيام بأي شيء، كانت صديقته أكثر منها ابنته، أول أمس ذهبا إلى حفل لمحمد منير قد أقيم في بورتو السخنة، أما أمس فقد ذهبا إلى أحد أكبر المطاعم هناك ودعته إلى وجبة سمك وجمبري قبل الذهاب إلى محمية الأشجار المتحجرة، تنزها بعد ذلك في أحد المولات المشهورة، اشترى لنفسه ملابس ونظارة شمسية وساعة، أما هي فاشترت فستانًا رائعًا، وكتبًا جديدة، وعطورًا، وإكسسوارات ومكياج.

من بين الأحداث المهمة التي وجدها على الفيسبوك، افتتاح المتحف الكبير بعد أسبوع، وعرض أكثر من مائة قطعة لمقتنيات توت عنخ آمون، تعرض للعالم لأول مرة، تذكر حينها الثماني قطع التي سرقها منصور النمر وأخوه، وكيفية قبضه على عصابتهما وإعادة التماثيل المسروقة مرة أخرى، ولكن تنقص التمثالين الراقدين في حوزته، لفت انتباهه أن اليوم سيقام حفل كبير لعمر خيرت، في قرية ستيلا دي ماري، فرح جدًا لأنه يحبه، ويحب موسيقاه منذ أن كان صغيرًا، أرسل لها رابط الدعوة على المسينجر قائلاً لها «إيه رأيك في الحفلة دي، لما تصحي قوليلي».

كان ذلك حين رأى سيدة مرتدية البكيني قطعتين، لم يستطع غض بصره عن محاسن جسدها الحار، حين مرت بجانبه ممسكة بكوبٍ كبير به سائل لونه مائل للاصفرار ومن المرجح أن تكون بيرة، شعر أنه يريد بعض البيرة، رغم أن الوقت ما زال مبكرًا جدًا، لكنه شعر أنه يريد شرب البعض منها، والبار كان يبعد عنه بأمتار فذهب له وطلب كوب بيرة وعلبتي سجائر ثم عاد مرة أخرى وجلس مكانه يتصفح النت والفيسبوك وتويتر، ووجد أن رسالته لمروة قد وصلت لها واستقبلتها وأصبحت seen دون رد منها، فأرسل لها: «مابترديش ليه يا بنتي؟ أنا حاسس إنك مش بتحبي عمر خيرت.. مش كدة؟».

مرت خمس دقائق دون أن ترى الرسالة، ابتسم وآثر أن يتحدث معها مباشرة فارتشف باقي كوب البيرة ودخل الشاليه مُناديًا عليها:

- مروة... حبيبتي... عمر خيرت رائع جدًا، أنتي بس اللي شكلك مش بتحبي تسمعيه.. لم يجدها على سريرها الذي يعمّه الفوضى وملابسها التي كانت ترتديها بالأمس، بشكير، علبة فوط صحية، بعض الكتب والروايات التي اشترتها بالأمس، وعلبة مكياج مفتوحة ويخرج منها أدوات تجميل مبعثرة، وسمع صوت الدش داخل الحمام فأدرك أنها بالداخل تأخذ دشًا. فقال لها بصوتٍ عالٍ:

- انتي النهاردة صحيتي متأخر عن الأيام اللي فاتت، ودة هيخليني أحطك في سجن انفرادي ٢٤ ساعة.. انجزي عشان الساعة داخلة على ٨ الصبح.. ورانا حاجات كتير..

لم ترد عليه، فجلس على سريرها يرتبه، فوضع مساحيق التجميل داخل العلبة ووضعها على الكومود بجانب السرير، وجمع كل ملابسها على طرف السرير، أمسك علبة الفوط الصحية فوضعها بجوار علبة المكياج وهو يبتسم قائلاً: - كبرت يا زياد.. فعلاً البنت بتكبر أبوها بسرعة البرق...

أمسك الكتب ووضعها فوق بعضها البعض لكن لفت انتباهه غلاف رواية مرسوم عليه منشار كهربائي ومكتوب فوقه «دفتر أحوال»، وتحت العنوان مكتوب بخط أصغر «أربع جرائم قتل بدون ثغرة» وفي الأسفل كان اسم المؤلف «باهر حجاج».

قَلَّب الرواية في يديه ليرى ظهرها وكان أول من لفت انتباهه هو صورة زوج شيرين القاضي، علت على وجهه كل علامات الاندهاش والتعجب... فقال بصوتٍ عالٍ لمروة:

- مين المؤلف ده يا حبيبتي اللي اشتريتي روايته امبارح؟ مش ده الواد جوز المنتجة شيرين القاضي؟! هو اسمه باهر وللا كريم؟!

تجمد الدم في عروقه حين قرأ أول سطر في الملخص المكتوب على ظهر غلاف الرواية من الخلف..

«أربع جرائم قتل، بدون ثغرة، جميعها تمت بنفس الأسلوب، نزع القلب والعينين... ترى، ما هي العلاقة بينهم؟»

شعر أنه لا يسمع أي شيء إلا صفيرًا في أذنيه، استكمل القراءة:

ضابط مباحث منعزل في حياة فوضوية، عاش أسود أيام حياته حين انتزعته من تلك العزلة أربع جرائم قتل، جميع تلك الجرائم تمت في أسبوع واحد، بنفس الأسلوب، ضابط مباحث، طبيب جراح، موظف استقبال.. ومنتجة سينمائية، فهل سيستطيع فك طلاسم ولوغاريتمات تلك الجرائم؟ ترى، ماذا سيفعل؟!

- مروة... مروووووة... انتي تعرفي المؤلف اللي اسمه باهر حجاج دة؟! اقترب من باب الحمام وطرقه قائلاً: مش ده جوز المنتجة؟ هو بقى كاتب إمتى؟! وغيَّر اسمه إمتى؟!

لم يلق أي رد، نادى عليها عدة مرات فلم يسمع سوى صوت الدش، انتابه القلق عليها، ولوهلة تخيلها ملقاة في البانيو منزوعة القلب والعينين هي الأخرى، دفع الباب بقوة فوجد الحمام فارغًا وهي ليست موجودة بالداخل، هرع كالمجنون وأمسك الرواية وأخذ يقلب صفحاتها، فقرأ الإهداء:

إلى حبيبتي الغالية، لم ولن أنساكِ ما حييت.. أتمنى بعدما تقرأ روحك هذه الرواية، أن تفتخري بي وترضي عني..

حبيبك للأبد.

باهر حجاج

أمسك هاتفه ليتصل بمروة فوجد هاتفها مغلقًا، شعر بالقلق عليها يزداد داخل قلبه، التقط سيجارة من علبته وأشعلها ثم عاود الاتصال بها فوجده ما زال مغلقًا.. لم يمهل وقتًا لفضوله وفتح الرواية ليبدأ في قراءتها:

منذ خمس سنوات...

كأي شاب، في حياته فتاة تحبه ويحبها، كنت أعيش لها، وبها، وفيها، كنت أحبو خطواتي الأولى في الكتابة، وأتلمس مكانًا وسط زحام الكتاب في هذا الوسط، وكانت هي كذلك، كان لديها نفس موهبة الكتابة، اتكأنا على بعضنا البعض، وكتبت روايتي الأولى، حينها كانت هي جمهوري الوحيد، قرأتها وأشادت بها، نفس الشيء فعلته مع روايتها التي أعجبتني جدًا، كانت نسمة تمتلك جمالاً وجاذبية من نوع خاص، وضاءة الوجه، أتذكر جيدًا عينيها المليئتين بالحياة، المتقدتين بالذكاء، وعشقها للكتب والمكتبات، وسيرنا في وسط البلد، يدي تحضن يدها، كانت النظرة في عينيها تساوي الكثير، تساوي الدنيا.

إنها الكاتبة، نسمة مصباح... رحمها الله.

حتى جاء اليوم الذي حلمنا به، فاستطعت نشر روايتي في إحدى دور النشر التي وافقت عليها أخيرًا، ونفس الشيء حدث معها ولكن في دار نشر أخرى، كان كل منا يرشح رواية الآخر لجمهوره في حفلات التوقيع، ولمتابعيه في السوشيال ميديا. حتى استطعنا تكوين قاعدة من القراء، لم تكن كبيرة، لكنها كانت ترضي غرورنا الأدبي نوعًا ما.

ومرت الأيام والشهور حتى استطعنا كتابة الرواية الثانية، والثالثة، وكانت قاعدة قراءنا تزداد أكثر وأكثر.. معجبين بنا وبكتاباتنا، وبعلاقتنا التي كانت أشبه بعلاقة جان بول سارتر وسيمون دي بوفوار.

لم أكن أعلم أن تلك الرواية الثالثة ستكون آخر رواية لها، والرابعة سأكتبها بمفردي، وستكون هي بطلتها، وستكون المنصة التي سأرثيها فيها.

وكما يقول رحمة الله عليه دكتور أحمد خالد توفيق، في حياة المرء لحظة سيتغير بعدها في حياته كل شيء..

في إحدى الليالي حالكة السواد كنت أسير معها في منطقة الزمالك، بالتحديد عند منزل كوبري أكتوبر المؤدي إلى الزمالك. وقفنا سويًا أمام قصر عائشة فهمي، نتفق على ما سنفعله في الفترة القادمة، وكيف سنزف لقرائنا خبر خطوبتنا وزواجنا، وكيف سنعد منزلي ليكون مناسبًا لنا بعد الزواج، لم يكن لي أهل سوى أبي المريض بالسكر وأمي الكفيفة، أما هي فقد مات والدها منذ عشر سنوات، ووالدتها توفيت بعده بعامين، وكانت

تعيش في بيت طالبات، أما أنا فأعيش في منزل قديم يملكه أبي بشبرا مصر، مكون من طابقين، بمنطقة الخلفاوي، شقة ستون مترًا مكونة من غرفة وصالة، فوق شقة والديَّ، وهذه الشقة هي كل ما استطاعا تقديمه لي، لكن لا شيء في هذا العالم أغلى من أظافرهما، المهم أن هذه الشقة كانت هي المكان الذي سيؤوينا، ويؤوي أحلامنا وحبنا.

وقفنا في تلك الليلة أمام قصر عائشة فهمي نتفق على أن نصمم ديكور منزلنا على النظام الفاطمي، وجلسة عربية بسيطة، ومكتبة وسرير، ليس أكثر من ذلك، لم أنس حينها ابتسامتها، نظرتها، جنونها، قفزها عاليًا ولمعان عينيها حين أخبرتها أنني سأشتري من مكتبة ديوان التي تبعد عنا أمتار رواية غيوم ميسو الجديدة.

سرنا قاصدين المكتبة، فجاءت سيارة هوجاء وصدمتها، وليتني أنا الذي كنت مكانها.

يا ليتني مت قبل حدوث كل هذا.. وكنت نسيًا منسيًا.

وقف الرجل الذي صدمها ونزل من سيارته متوترًا، تجمهر الناس حولنا وحاولوا أن يتشاجروا معه لكن أحدهم أجبره أن يأخذنا وينقلها إلى أقرب مستشفى ويتكفل بكامل علاجها، فهز الرجل رأسه موافقًا، حملت نسمة ووضعتها على الأريكة الخلفية وجلست بجوارها، حتى ذهبنا إلى مستشفى بالمهندسين، فاستقبلتنا الطوارئ وكانت بعد عشر دقائق على أجهزة التنفس الصناعي بالدور الخامس، كنت واقفًا خارج الغرفة التي منعوني من الدخول فيها. بحجة أنها تحتاج إلى راحة ولا يجب أن أكون بالداخل معها، انتظرت كثيرًا، كثيرًا.. حتى خرج لي طبيب جراح يدعى رأفت الميهي وأخبرني أنها أصيبت بنزيف في المخ جراء الاصطدام وارتطام رأسها بالأرض حين وقعت, ويجب إجراء عملية فورًا.

كان ذلك حين جاء طبيبان آخران وأربع ممرضات، دخلوا غرفتها وخرجوا بها ليدخلوها إلى غرفة العمليات التي أغلقت عليهم ولم تفتح سوى بعد ثلاث ساعات، ثلاث ساعات كنت فيها شبه ميت، ممتقع الوجه، شاحبًا تمامًا، لم أفعل شيئًا سوى أنني تحدثت مع أحد الضباط الذين جاؤوا ليأخذوا أقوالي في تلك الحادثة، وأقوال الرجل الذي صدمها، وأخذوه وذهبوا إلى القسم – هكذا أخبروني– لكنني في ذلك الوقت كاد قلبي يقف من الانتظار حتى فتحت غرفة العمليات أخيرًا وخرج الطبيب الجراح الذي أخبرني بوجه عبوس:

- البقاء لله، ماتت، حاولنا نعمل أي حاجة لكن قضاء ربنا كان أقوى... البقاء لله.. شد حيلك..!

كدت أن أنهار، نزلت كلماته فوق رأسي كأنها أسهم نيران تصوب نحوي من كل صوب، صرخت بأعلى صوتي باسمها، نسمة..

كنت كالمجنون حينها لا أدري ماذا سأفعل، لو كان معي حينها أي آلة حادة كنت سأنتحر لألحق بها، لكن للأسف لم أكن أمتلك شيئًا سوى ضرب رأسي في الحائط بقوة كي يغشى عليَّ، كي أموت، فلا قيمة للحياة بعدها.. نسمة.

بعد ربع ساعة عاد إليَّ الضابط مرة أخرى ليطلب مني التوقيع على تشريح الجثة، فصرخت رافضًا أن تشرح أو أن ينتهك جسدها أكثر من ذلك، لكنهم أصروا على ذلك وأمسكني اثنان من التمرجيين وقيدوا حركتي، وأخبروني أن هذا إجراء روتيني ويجب القيام به كي يستكملوا العمل على المحضر، رفضت رفضًا قاطعًا. وكلما أصرخ كلما أتأكد أن لا أحد سوف يستجيب لي، ولا أحد سوف يسمعني، كنت في غرفة منعزلة تمامًا عن باقي المستشفى، حتى جاءني موظف استقبال يدعى أيمن محمد وأخبرني أنه سيساعدني أن أهرب بجثتها كي لا يتم تشريحها، فقبلت يده وانحنيت أيضًا لأقبل قدميه لكنه ابتعد عني قائلاً: أستغفر الله، اديني خمس دقايق لحد ما يبعد الدكتور والظابط والعسكري من الدور كله، وهدخل أسحب السرير.. هدخله الأسانسير بتاع حالات الطوارئ والعمليات، وتحت في الدور اللي تحت الأرض هتلاقي عربية الإسعاف واقفة قدام باب الأسانسير، أنا أديت للمسعف والسواق كل واحد فيهم ١٠٠ جنيه، هيودوك أي مكان تحبه، تمشي ماترجعش هنا تاني أبدًا...

وكان هذا ما حدث بالفعل، كنت أريد أن أزيح الملاءة التي تغطي وجهها وجسدها بالكامل لأراها، لكن ضيق الوقت وخوفي من أن يكشفنا أحد كانا أقوى مني، وأخذتها إلى السيارة.. أو بالأحرى.. سرقتها.

وما إن أدخلها المسعف داخل سيارة الإسعاف طلب مني أن أجلس بجوار السائق لأصف له طريق منزلي، الذي وصلنا له بعد ربع ساعة، فنزل السائق مع المسعف رافعين السرير المتنقل إلى شقتي حيث الدور الأرضي، وغادرا.

كنت أريد أن أصرخ لكنني تماسكت، وأزحت الملاءة التي تغطي وجهها.. فكانت هذه هي اللحظة التي قال عنها د. أحمد خالد توفيق –رحمه الله– اللحظة التي تقسم حياتي قسمين. قبل وبعد.

وجدت وجهها وقد نزُعت منه عيناها.. وثمة خياطة عند صدرها الأيسر. عرفت فيما بعد، أنه قد تم نزع قلبها، وستعلمون كيف عرفت.

عدت إلى المستشفى وطلبت أن أقابل الطبيب الذي أجرى لها العملية أو مدير المستشفى، فاعترضني موظفو الأمن هناك، صرخت فيهم طالبًا

مقابلة أحدهم ففوجئت بموظف الاستقبال يصفعني على وجهي ولم أستطع رد تلك الصفعات لأن موظفي الأمن كانوا يحكمون تقييدي، اندهشت من رد فعله هذا، وهو الشخص الذي ساعدني في الهروب بها كي لا يتم تشريحها، لكن أدركت لماذا فعل ذلك حين قال: عاوز إيه يا مجنون؟ طب قسمًا بالله لاتصل بالشرطة يقبضوا عليك بتهمة التعدي علينا..

سألته وما زالت الدهشة تكسو وجهي: إنت نسيتني؟! أنا اللي كنت هنا من ساعتين وساعدتني آخد جثة خطيبتي.

- إنت بتقول إيه يا مجنون إنت؟! أنا أول مرة أشوفك النهاردة.. أنا عمري ما شفتك قبل كدة!

عرفت بعد ذلك أن مساعدته لي في الهروب بجثمانها، ليست سوى جزء من الخطة، بالاتفاق معهم، حتى أرحل بها من باب خلفي دون أي مشكلات، دون أن أرى ماذا فعلوا بها.

لم تمر نصف ساعة حتى جاء ضابط المباحث الذي أجرى لي المحضر، وتظاهر هو الآخر أنه أول مرة يراني، أمر العساكر أن يقيدوني وهناك في القسم أجرى لي محضرًا بتهمة التعدي على موظفين وإصابة أحدهم بطلقة طائشة، وفي غضون ساعة كان المحضر جاهزًا، وتم حبسي أربعة أيام على ذمة التحقيق، تاركًا جثمان نسمة في المنزل، وبأعجوبة استطعت الاتصال بأبي الذي تولى دفنها في مقابر عائلتنا، تحت مراقبة ذلك الضابط الذي أرسل له تصريحًا بالدفن بهدوء، بدون إثارة أي مشكلات.

وتم إيداعي في السجن ستة أشهر..

كانت أحلك وأسود فترة عشتها في حياتي، قضيت تلك الفترة وأنا أغلي بداخلي، لا يشعر بي أي شخص، كنت بالأمس في مثل تلك الساعة مع حبيبتي، أتفق أنا وهي كيف سنبني بيتنا الذي سنقضي فيه بقية عمرنا، ونكتب فيه أحلى رواياتنا، ونبني فيه مجدنا لبنة فوق لبنة، بين يوم وليلة تبدلت حياتي، فقدتها، وفقدت نفسي..

وفقدت كل شيء...

وما زاد الحزن عليَّ هو أنني لم يسأل عني أي شخص، لم أندهش لذلك، لم يكن لدي عائلة، وكانت نسمة هي كل عائلتي، وبعدها أصبح العالم لا شيء، في البداية بدأ القراء وأصدقائي على مواقع التواصل الاجتماعي يسألون عني، وعرفوا أنني سُجِنتْ بتهمة التعدي على موظفين أثناء عملهم، ومن ناحية أخرى عرفوا أن نسمة قد توفيت بعد أن كانت مريضة بالسرطان، أخذ

الناس يترحمون عليها ويشفقون عليّ أول شهر، ثم بدأ كل شيء يعود لمجراه مرة أخرى، وأصبحت ليس إلا صفحة تم طيها.

لم يزرني أحد في الشهر الأول، لكن في الشهر الثاني زارني مدير دار النشر يقترح عليَّ أن أستغل تلك الفترة التي أقضيها في السجن في كتابة رواية في أدب السجون، وأخبرني أنه من ناحيته سيستغل سجني هذا في الترويج لرواياتي؛ لأنه لاحظ أن الإقبال عليها يزيد نوعًا ما بعدما عرفوا أنني مسجون، توسلت إليه ألا يروج أي إشاعات.

- لازم تتأكد إني استحالة أضرك.. بالعكس أنا هعمل كل شيء لمصلحتك، وهعمل على زيادة شعبيتك في الفترة دي، لكن بشرط.. توعدني تخرج من السجن برواية.. ومش أي رواية.. رواية ماحصلتش.

- هحاول.

- لأ.. اوعدني.

- هحاول...

بالطبع لم أستطع أن أعده بشيء غير قادر على فعله، فالنار التي تسكن قلبي كانت أكبر بكثير من أن أمسك قلمًا وأكتب، ماذا أكتب وكل حواسي معلقة فيما حدث لي ولنسمة، ومهما حكيت الحقيقة فلن يصدقني أحد، فكل شيء تم بهدوء وبترتيب وتنظيم مسبق، ومؤكد أن ما حدث لنا قد حدث لغيرنا..

حتى جاء الشهر الثاني، وفوجئت بأنهم يخبروني أن لديَّ زيارة، فتاة تريد مقابلتي، اندهشت في البداية، ترى من هي تلك الفتاة؟! وماذا تريد مني؟! خرجت لمقابلتها في ساحة الزيارات فقابلتني بترحابٍ بالغ ودموع وهي تعانقني: - بااهر، حبيبي.. قلت لك مليون مرة ألا تتشاجر مع أحد، لو كنت سمعت كلام بنت خالتك لما كنت هنا الآن.

تعجبت من طريقتها في التحدث معي، ومما تقوله، لكني شعرت أن هذه الزيارة ليست عادية، وأن لديها أشياء مهمة تريد إخباري بها، وبالفعل هذا ما حدث، نظرت بطرف عينيها يمنة ويسرة حتى تأكدت أن لا أحد يسمعنا، وأقرب عسكري كان بيننا وبينه حوالي خمسة أمتار، اكتسى وجهها فجأة بملامح الجدية:

- أنا مروة شعبان.. ممرضة في المستشفى اللي جيت فيها مع خطيبتك.. الله يرحمها.

نهض زياد ووقف شاخصًا ببصره إلى لا شيء، لقد كانت تعرفه، ومؤكد أن لها دورًا في كل تلك الجرائم التي حدثت.. معقول؟! أمسك هاتفه واتصل بها مرة أخرى لكن ما زال هاتفها مغلقًا، ولفت انتباهه أن دولابها المفتوح خالٍ من أي ملابس، معنى ذلك أنها غادرت بكامل إرادتها، وتركته وحده... أشعل سيجارة أخرى وأكمل قراءة الرواية:

دبت الفرحة بداخلي، فهي الشخص الوحيد الذي اعترف بذلك، وتوقعت أنها أتت لتخبرني أنها ستعترف بذلك، لكن ما قالته كان غير ذلك:

- لأ الله يكرمك أقعد وماتحاولش تلفت انتباه ولاد الكلب دول لينا.. وعشان أكون صريحة وواضحة معاك، مهما قلت كلامي ده حتى لو على الملأ محدش هيسمعني أو يصدقني. دول عصابة كبيرة، مافيا، أقويا جدًا وفي ناس كبيرة أكبر منهم كمان بتسندهم.. والغلابة اللي زيي وزيك مش أكتر من كلاب شوارع، ويمكن أقل كمان بالنسبة لهم. كلاب شوارع يصطادوا منها اللي ييجي على هواهم..!

أطرقت رأسي حزنًا فأكملت: اللي باين للناس إنها مستشفى استثماري كبير، لكن كل ده مش أكتر من ستارة لعالم تاني، عالم خفي.. تجارة أعضاء وبورصة لآخر الأسعار وخلية شغالة ليل نهار في الموضوع دة.. والرجل اللي خبطك ده جزء من المنظومة دي.. ومش هو لوحده، لأ ده في غيره كتير، يخرجوا الصبح مايرجعوش غير بحد غلبان، أو حد مقطوع من شجرة ملوش حد يسألوا عليه، ولو حالة زي حالة خطيبتك، ليها رجل مجدع بألف رجل، يلفقوله تهمة ومحضر لو اتكلم وهلل. ويسجنوه.

بكيت... بكيت بحرقة وأنا أسمع كلامها، وفي نفس الوقت أتذكر حبيبتي. أردفت:

- مفيش وقت للعياط دلوقت، ابقى عيط براحتك لما ترجع زنزانتك... دلوقت أنت أدام ناس سرقوا عيون وقلب خطيبتك.. وجاية النهاردة أفرحك، قلبها وعينيها موجودين.. فيهم الحياة، عايشين جوة جسم ست تانية، منتجة، اسمها شيرين القاضي، جت المستشفى قبل خطيبتك بيومين، كانت راجعة من الساحل بعد ما عملت حادثة نتج عنها تهتك في القرنية... وقبل كدة كان عندها مشاكل في القلب، وكان متابعها الدكتور رأفت الميهي، وهو اللي اقترح عليها يعمل لها عملية نقل قرنية، وكمان عملية نقل قلب من جثة حديثة الوفاة.. وقالها إنها هتعيش بعد كدة بدون أي مشاكل، وتقدر تستخدم القلب الجديد ده لحد خمسة وعشرييييين سنة... وافقت على طول طبعًا.

لكن قالها إن المقابل هيكون كبير، قالتله كام.. قالها اتنين مليون و٤٠٠ ألف، مامانعتش، وافقت على طول. رغم إنها عارفة إن الدكتور ده شمال،

وعملياته غير شرعية، وإنه عضو كبير في مافيا. واللي سمعته بيحذرها منه جوزها وقتها، عصمت الدندراوي. لكن كل ده مهمهاش، وكان كل همها نقل القلب الجديد والقرنية.

أخبرتني تلك الممرضة أن في ذلك الوقت كانت المستشفى ليس بها سوى امرأتين فقط، لكن لم تصلحا لنقل قرنية أي منهما أو قلبهما، حتى جاءت خطيبتي، أجروا التحاليل بسرعة وفحصوا أنسجتها وقارنوها بشيرين القاضي ووجدوا أنها تصلح. وببساطة شديدة تركوها تموت دون إسعافات وتم نقل عينيها وقلبها إلى جسد شيرين، وبعد نقل القلب لم يرفضه جسدها، بل أخذت مثبطات المناعة لمدة أسبوعين فقط، وتعايش القلب الجديد بداخلها بشكلٍ طبيعي.

- قلب خطيبتك ما زال بينبض لحد دلوقت يا باهر... قالتها مبتسمة، بوجه حبور وعينين تريدان بث أي فرحة بداخلي. ثم استطردت:

- الدكتور اللي عمل كدة هو اللي انت قابلته، اسمه رأفت الميهي، وعاوزة أقولك كمان إن أيمن ده معاهم، مسح اسمك واسم خطيبتك من سجلات المرضى. يعني كدة مفيش أي دليل إنك دخلت أو خرجت. والظابط شريف سند، ظابط المباحث، يعرف الكلام دة. الظابط ده صاحب شيرين المنتجة. وبينام معاها.

- عرفتي كل ده منين؟!

- من الشغالة بتاعتها، في يوم العملية كانت سهرانة معايا في نوباتشيتي، ارتاحت لي وقالتلي كل الكلام دة، وما خفي كان أعظم...

- طب إنتي ليه محاولتيش تبلغي عنهم؟!

- أبلغ عن مين لامؤخذة؟! بقولك مسنودين من مستويات كبيرة، انت متعرفش مين اللي بيتعالجوا في المستشفى عندنا... ومتحاولش تسأل.. المهم إني حكيت لك اللي ينفع يتحكي حاليًا.. قوللي انت أدامك قد إيه وتخرج؟

- تلات شهور..

- وماله... خير إن شاء الله... هنكمل كلامنا بعد تلات شهور... أنا همشي دلوقت..

وبالفعل مرت ثلاثة أشهر، وهيأت نفسي للخروج والنظر في شتى أمور حياتي، لكن لم يأت أحد إلى الزنزانة لينادي على اسمي لأنهي إجراءات الخروج، انتظرت يومًا آخر، يومين، أسبوعًا، ولم يأت إليَّ أحد، وعرفت بعد

ذلك أن شريف لفق لي تهمة أخرى لم أفعلها، اكتشفت أن هناك محضر شجار بيني وبين أحد السجناء وأحدثت له عاهة مستديمة وتم مد سجني سنة إضافية.

صرخت بعلو صوتي حتى وصل صوتي عنان السماء.

- يااااااارب... انت العالم المطلع على كل حاجة حصلت لي، وريني في الظالم ده عجائب قدرتك... يارب... يارب.. يارب... انت موجود وللا لأ؟! إنت شايف اللي بيحصل ده وللا لأ؟! إنت فين رد عليا؟ إنت ليه مش بتعمل حاجة... ليه شايفك سعيد ومبسوط باللي بيحصل أدامك... انت موجود وللا لأ؟!

لا أنكر أنني كفرت في ذلك اليوم، وقلت كلامًا لا يصح أن أقوله، لكني لو كنت إلهًا، لسامحتني. وأعتقد أن الله سامحني على ما بدر مني. فهو الغفور الرحيم.

وقفت في منتصف الزنزانة لا أدري ماذا أفعل؟ لقد قضيت ستة أشهر بصعوبة بالغة، فكيف سأقضي ضعف هذه المدة، ليكون الإجمالي عامًا ونصف؟! بعدما عرفوا ما حدث، ساءت حالة أبي، وأمي أصبحت طريحة الفراش لا تستطيع التحرك، في هذه الأثناء زارتني مروة للمرة الثانية، سألتني لماذا لم أخرج فأخبرتها بما حدث. بدا على وجهها التأثر ثم قالت لي:

- بقولك إيه.. إحنا هنعمل محاولة ويارب تنجح، أنا ليا أب في الداخلية، ومتسألنيش عن تفاصيل. أي نعم متكلمتش معاه في حياتي ولو مرة واحدة، لكن أعرفه ومتابعاه. هو صاحب شريف سند. سمعت إنه محترم. اتصل بأبوك وأمك خلوه يروحوله، بس قبل ما يروحوله يجربوا مرة مع شريف، لو طردهم خليهم يروحوا للي بقولك عليه ده.. هو اسمه زياد.. زياد ضرغام.

أغلق زياد الرواية وأخذ الأدرينالين يضخ في عروقه حين وجد اسمه في الرواية، حاول تذكر ما حدث يومها.. وبالفعل تذكر كل شيء، كأنه كان بالأمس، تذكر هذين العجوزين اللذين أتيا له في مكتبه يتوسلانه أن يتوسط لهما عند صديقه شريف ليخرج ابنهما من دماغه وألا يستقصده، ويكفي ما حدث له داخل السجن، وأنه تم سجنه ظلمًا.. لم يظهر لهما أي اهتمام، ولم يأبه لهما كثيرًا إلا بعد ساعة تقريبًا، وكل ما فعله هو أن اتصل أمامهم بشريف الذي طلب منه أن يطردهما من مكتبه؛ لأنهما متشردين وابنهما يستحق ما ناله، وفعلاً هذا ما حدث، حاول طردهما فركع والده على ركبتيه وقّبَل قدمه لكنه ركله في وجهه فانكفأ على وجهه ونادى على العسكري ليخرجهما.

فتح الرواية مرة أخرى:

لكن ما حدث هو أنهما ذهبا إلى شريف فطردهما، وذهبا بعدها إلى زياد ضرغام الذي لم يعطهما فرصة التحدث إليه، حاول أبي أن يُقَبِل يده وقدمه لأنه الأمل الأخير.. لكنه أهانهما وطردهما، ظل أبي في ذلكَ اليوم صامتًا تمامًا بعدما تم إهدار كرامته بعد كل هذا العمر أمام زوجته التي لم تفعل شيئًا في هذا اليوم سوى البكاء، حتى نام أبي في منتصف الليل، أيقظته أمي ليصلي الفجر لكنه لم يستيقظ، ولم يحرك ساكنًا...

لقد مات.

مات مقهورًا على كرامته، وعلى ابنه.

وماتت أمي من البكاء... بعده بيومين.

طوى زياد الرواية وأطبق كفه على السيجارة المشتعلة ولم يشعر بأنها حرقت باطن كفه، ظل يبكي بمرارة، نهض كالمجنون وأخذ يضرب رأسه في الحائط قائلاً:

- إيه اللي أنا عملته دة؟ إيه اللي أنا عملته دة؟ إيه اللي أنا عملته دة؟!! أنا ظالم... ومفتري.. وابن ستين كلب. أنا .. أنا مستحقش أعيش.. أنا كلب ابن كلب ابن ستين كلب.. أنا السبب في موتهم.. أنا ماستحقش أعيش.

ظل هكذا حوالي عشر دقائق حتى هدأ نسبيًا.. نوعًا ما.. مسح دموعه ثم أمسك الرواية مرة أخرى..

فتح الرواية واستكمل:

استقبلت خبر وفاتهما بحزن، لو وزع على كل أهل الأرض لكفى وفاض، بكيت.. بكيت بحرقة حتى كادت زنزانتي تغرق من الدموع، أصبحت لا أملك أي شيء في الدنيا، فقدت حبيبتي، وأمي، وأبي.. لم يعد لي أي شيء بعد الآن...

فقدت كل شيء.

ما عدا مروة.

انتحيت ركنًا في الزنزانة وجلست فيه منكمشًا، ساندًا رأسي على ركبتيَّ المضمومتين، صامتًا أغلب الوقت، قضيت هذه السنة هكذا، صامتًا تمامًا..كانت سنة كحلاء، سوداء، سنة مسنونة الحواف كخنجرٍ مدفون نصله في جمرٍ يدخل في كبدي كل يوم.. قضيتها شاردًا، لا أفعل شيئًا سوى التدبير

للانتقام، وكيفية التخطيط له، حتى جاء اليوم الذي خرجت فيه، خرجت ضعيف الجسد، واهنًا.. ومُهانًا.

أول شيء أرعبني هو حينما نظرت في المرآة فوجدت رجلاً آخر غير الذي كنته منذ عام ونصف، لقد نسيني القراء أيضًا، بالإضافة لدار النشر، حتى أنا.. نسيت نفسي. نسيتها تمامًا، قضيت أول أسبوع في بيتي لم أر أحدًا، لم أسأل عن أحد ولم يسأل أحد عني، سوى مروة. التي أخذتني في حضنها في ذلك اليوم:

- عمري ما شفت شخص مخلص ونقي في حياتي كلها زيك يا باهر... انت شخص نادر الوجود في زمن مسخ.. أنا بحبك جدًا.. ادخل في حضني يا حبيبي... عيط.. عيط براحتك.. ابكي بحرقة مش هسألك بتبكي ليه لأني عارفة كويس.. ابكي يا باهر وطلع كل اللي جواك وفرغ الشحنة اللي في صدرك.

لن أنسى ذلك اليوم، لقد بكيت في حضنها حوالي ساعتين، لم أر منها سوى كل حنان، ولم أسمع منها سوى الترحم على خطيبتي ووالديَّ حتى هدأت تمامًا وأخذت نفسًا عميقًا مختلطًا بأنين بكائي ثم نمت. نمت لحوالي ساعتين واستيقظت فوجدت نفسي ما زلت في حضنها، وهي سارحة.. شاردة...

ساهمة..

دخلت الحمام لأغسل وجهي، ثم سألتني بجدية صارمة: هنعمل إيه دلوقت؟!

فأجبتها بكلمةٍ واحدة، بوجه واجم يحمل كل علامات الغل والانتقام: هانتقم.

- لو كنت قلت أي كلمة تانية كنت همشي ومش هعرفك تاني.

- لا هو انتي هتمشي من هنا فعلا.. وأنا كمان همشي معاكي.. ومش هنرجع هنا تاني. هزت لي رأسها كأنما تسألني كيف، فأردفت لها: هبيع البيت دة..

اتفقت مع أحد المقاولين الذين رأوا في البيت ثروة كبيرة، لكنه لم يظهر لي هذا، لكنني كنت أعرف قيمته، فكل البيوت القديمة المجاورة قد اشتراها المقاولون وهدموها وبنوا مكانها أبراجًا عالية، عرض عليَّ أن يأخذه بثلاثمائة ألف، لكنني صممت على مليون و١٠٠ ألف، اتفقنا في النهاية على بيعه بمليون جنيه. تمت عملية البيع وأنا أعتذر لأمي وأبي عما فعلته، فأنا أعرف جيدًا قيمة هذا البيت بالنسبة لهما.

جلست أنا ومروة نخطط للانتقام، واستخدمت مهارتي في رسم حبكات رواياتي، وبدأنا التخطيط:

- أمسكت ورقة وقلمًا ورسمت أربع دوائر، كل دائرة مكتوب بداخلها اسم.

شريف، د. رأفت الميهي، أيمن محمد...

جئت عند الدائرة الرابعة وبكيت، فأطرقت مروة رأسها مدركة لماذا أبكي، الهدف الرابع هو من ينبض بداخله قلب حبيبتي، هي من تنعم برؤية هذا العالم بعيني حبيبتي... شيرين القاضي.

سألت مروة حينها، هل نضع اسم مدير المستشفى أم لا.. فلم أجدها متحمسة للانتقام منه لأن معظم ما يدور في المستشفى ليس بعلمه لأنه يكون خارج البلاد معظم أوقات السنة ويأتي أسبوعًا أو اثنين فقط. فحذفنا اسمه.

وفوجئت بها تطلب مني طلبًا غريبًا.. ظننتها في البداية تتندر لكن لاحظت على وجهها جدية لم أعهدها من قبل وهي تقول:

زياد ضرغام...

وقع القلم من يدي حينها...

وقعت الرواية من يده حينها.. حين عرف أن ابنته هي من اقترحت الانتقام منه.. لم يشعر بأي حزن؛ لأنه يدرك جيدًا أنه يستأهل ذلك، التقط الرواية من الأرض وفتحها عند آخر كلمة وصل إليها:

- أبوكي؟! انتي متأكدة من اللي بتقوليه؟!

- أيوة متأكدة.. لأن هو السبب في موت أبوك وأمك.. ماتوا بسببه بالحسرة.

- أيوة مانكرش.. لكن.. ده في النهاية أبوكي حتى لو ماشوفتيهوش ولا اتكلمتي معاه ولا مرة.

- من بعد اللي عمله مع أبوك وأمك وأنا مش شايفاه غير رجل جبار وظالم ومتكبر ومتجبر وابن ستين كلب.. هنورطه في كل الجرايم دي وفي النهاية سيبه ليا أنا.

- تمام.. أهم حاجة دلوقت هو إني أتقرب من شيرين القاضي، الموضوع صعب جدًا عارف... تفتكري أعمل إيه؟!

- هقولك، لكن استنى بالظبط –نظرت في ساعتها، ثم قالت– استنى عشر دقايق بالظبط.. لم تمر بالكامل حتى تفاجئت بالباب يطرق، وكان الطارق هو طليقها عصمت الدندراوي، والذي عرفت مروة منه أنه طلقها...

بعدما صافحني وعزاني في والديَّ وحبيبتي جلس، سألته عن سبب طلاقهما، فأخبرني قائلاً:

- اكتشفت علاقتها بشريف سند، ورجالة تانية غيره. أنكرت في الأول لكن لما واجهتها بكل حاجة مقدرتش تتكلم ساعتها، عيطت بس. ووعدتني مش هتتكرر. حاولت أصدقها لكن معرفتش. المشكلة إن الموضوع موقفش عند الخيانة. أنا كمان أكتشفت أنشطة مشبوهة ليها. على سبيل المثال غسيل أموال لرجال أعمال عن طريق أفلام هابطة. وسرقة تبرعات من مستشفيات بتحط إعلاناتها بين أعمالها. لحد موضوع عملية نقل قرنية خطيبتك وقلبها. وإنها كانت على علم إنها هتاخدهم من شخص حي. هتاخد منه حياته. قلتلها إن ده مش صح، قالتلي إنها لو معملتش كدة في غيري هيعملوا كدة. بالإضافة إنها مش هتلاقي السعر ده تاني. ولو عملتها برة مصر بطرق شرعية هتدفع أضعاف المبلغ دة. ده أنا حتى سألتها يومها انتي مش ندمانة؟! جاوبتني بمنتهى التبجح إنها مش ندمانة، وإنها أحق بالحياة طالما معاها الفلوس اللي تقدر تشتري بيها أي حاجة –أطرق رأسه خجلاً لثوانٍ ثم أردف– حتى أنت، أنا أشتريتك بفلوسي عشان تكون واجهة ليا. تفيت في وشها وهددتها إني أفضحها لكن هي مكانش همها لأنها عارفة إن محدش هيصدقني. وطلعت خبر يومها إنها عملت عملية الزايدة.

سألته كيف سأستطيع دخول حياتها وإقامة علاقة معها، كنت أريد ذلك بدافع الغيرة، فأنا أستطيع بمنتهى السهولة أن أقتلها وأتخلص منها، لكن غيرتي كانت أقوى، لا أريد أن يدق القلب النابض بداخلها لأي شخص غيري، ولا تنظر بعينيها إلى أي رجل آخر، حتى أتخلص من كل من ساعدوها.. وأجعلها هي آخر شخص أنتقم منه وأنتزع منها الحياة التي سرقتها من حبيبتي، أخبرني عصمت الدندراوي حينها، أنها الآن تعاني من الوحدة، وعدم الأمان، وأنه سيحاول تهديدها بشتى الطرق ليجعلها تتوتر أكثر فأكثر وتعيش في قلقٍ دائم، اتفق معي أنني سأقف أمام شركتها، بينما هو يحاول اعتراض طريقها وهي خارجة من بوابة العمارة، ويحاول تهديدها وإيذاءها، وأدخل في تلك اللحظة محاولاً تخليصها منه، ويصيبني بجرح سطحي بمطواة أو بأي آلة حادة، يبتعد بعدها وتظل معي، محاولة أن تسعفني لترد لي شهامتي معها، ضحك عصمت بعدها مستطردًا:

- أنا متأكد إنها هتعرض عليك بعدها تروح معاها البيت، وهناك هنسيب الباقي لعنيك الخضرة وطولك وعرضك وجاذبيتك يا عم روميو. اسألني أنا.. آه بالمناسبة هي بتحب أوي اللي بيلعب جيم، فأنت أعمل حسابك في أسبوع تلعب شوية جيم تعمل فورمة وتاخد شوية مكملات هبقى أقولك عليها. هتخليك تعمل فورمة حلوة لأن جسمك هيتجاوب بسرعة.

كنت حائرًا، لماذا يساعدني في الانتقام منها وممن ظلموني هكذا، فأجابني مبتسمًا ابتسامة هادئة:

- بص يا باهر، مفيش أغلى من الحبيب. أنا إنسان ورسام وفنان... وعارف كويس إحساسك، قادر أحط نفسي مكانك، وأحس باللي أنت حاسس بيه. ومدرك كويس النار اللي جواك. بالإضافة للظلم اللي أنت أتعرضت له في السجن. الله يكون في عونك يعني. عشان كدة أنا مستعد أعمل أي حاجة عشان تاخد تارك من ولاد الكلب دول. وأولهم بنت الأوساخ شيرين.

- قصدك آخرهم.. أنا هخليها آخر شخص يتقتل. محتاج وقت أستمتع فيه بسماع قلب نسمة وهو بينبض. محتاج وقت أستمتع فيه بإني أبص كتير لعنيها. وترمشلي. وأسرح فيها.

أصبحنا ثلاثة..

لكن للأسف.. تعطلت الخطة.. بسبب سفرها عدة مهرجانات خارج مصر، والطبيب أيضًا سافر إجازة طويلة إلى اليونان.. وكانت الخطة التي رسمناها أن يتم قتلهم جميعًا وراء بعضهم البعض، لا يفصل بينهم سوى ساعات، والأهم من كل ذلك أن يتهيأ المناخ لما بعد القتل، كان يجب أن يتم القتل في مكانٍ هادئ، يمكنني فيه نزع العينين والقلب، وهذا يحتاج حوالي من ٢٠ إلى ٣٠ دقيقة، مستخدمًا منشارًا كهربائيًا بصوتٍ مكتوم.

قررت استغلال فترة انتظار عودة شيرين والطبيب في ترميم نفسي من جديد وجمع شتاتها، واشتركت في أحد نوادي كمال الأجسام كي أبني جسدي، وأجمّد قلبي ليكون صلبًا لا مباليًا، وأغير من شكلي وهيئتي، صبغت شعري جعلته أصفر، وأصبح طويلاً لائقًا أكثر على عينيَّ الخضراوين، تغير شكلي بالكامل، علاوة على أنني اشتريت سيارة، وأجرت شقة بجوار شقة شيرين كي أحبك الدور أكثر، وتدرك أنني غني أحيا حياة مرفهة، فتكون مهمة الإيقاع بها أكثر سهولة.

والأهم من ذلك كله، قررت تغيير اسمي، فساعدني عصمت الدندراوي على ذلك:

- بص بقى يا عم باهر، أنا شايف إنك لازم تغير اسمك، محدش ضامن لو حد فيهم سمع كلمة «باهر حجاج» ممكن يعمل إيه؟ يومين بالظبط وهيكون معاك بطاقة وباسبور عليهم صورتك بشكلك الجديد دة، وعليه اسم تاني.. ولنفترض مثلاً... –ظل يفكر لثوان ثم قال له مقترحًا– كريم... كريم عفت... إيه رأيك؟

- تمام... فكرة حلوة برضه.

حاولت بشتى الطرق أن أعطي لمروة جزءًا من المال الذي أخذته من بيع البيت، لكنها رفضت تمامًا، قائلة لي إنها سوف تأخذ كامل حقها حين تراني قد أخذت بثأري.

بعدما عادوا جميعًا حدث مالا نتوقعه، والذي كان السبب في تعديل خطتنا من قتل زياد ضرغام، إلى فقط توريطه في كل تلك الأحداث، مقتل أولاده واغتصاب زوجته.

لم يكن لدي وقت للانتظار أكثر من ذلك، وبدأنا خطتنا في الإيقاع بشيرين القاضي، ونفذنا ما اتفقنا عليه أنا وطليقها، وبعدما تظاهرت بأنني اعترضه وتشاجرت معه وأصابني في ذراعي، أخذتني إلى بيتها وأتصلت بطبيب طمأننا بأن الجرح سطحي وأجرى لي إسعافات أولية ومضى...

ما حدث بعد ذلك لم يكن قد ورد ببالي قط، لم أعمل له أي حساب، ولو أخبرني مليون شخص أنه سيحدث ما كنت سأصدقه.

تلاقت عيني بعيني شيرين القاضي.. آسف.. آسف ما هذا الهراء الذي أقوله.. آسف يا نسمة يا حبيبتي لقد أخطأت خطأً جسيمًا.. تلاقت عيني بعيني نسمة، فدق قلبها وأحبتني، نظرت إلى عيني نسمة التي فقدتها وافتقدتها، تلك العينين اللتين طالما نظرتا لي بإعجاب وفخر، تلك العينان اللتان طالما لمعتا حين أخبرها بشيء رائع.

يا مرار الأيام من بعدك يا نسمتي، أخيرًا رأيت عينيكِ يا حبيبتي..

- أنا بحبك..

ما هذا...! بكل هذه السهولة؟! أحبتني بكل هذه السهولة؟! أخبرتني مروة حين حكيت لها أن قلب نسمة الذي ينبض داخل صدرها قد شعر بقربي، وعينيها قد تعرفتا عليَّ بسهولة، رغم عدم منطقية كلامها لم أصدقها بشكلٍ كامل، لكنه وارد لا أنكر، وصدقته أكثر حين سمعت عن عدة مواقف مشابهة.

- وأنا كمان بحبك يا شيرين، بحبك من كل قلبي، سمعت عنك كتير في الصحف والميديا، ومش عارف لو قلتلك إني كنت معجب بيكي من قبل ما أشوفك هتصدقيني وللا لأ!

- هصدقك يا كريم.. لأني بفهم كويس في لغة العيون، وعينيك دلوقت بتقول لي إنك صادق أوي – شردت مني لهنيهة بينما كانت عينانا تتلاقيان ثم استطردت – شفت بقى كنت هنسى أشكرك على إنقاذك ليا من الحيوان دة.

- مين ده صحيح؟ وعاوز منك إيه؟!

- ده طليقي.. كان في بيننا مشاكل ودلوقت عاوز يرجع لي، طلبت منه الطلاق رفض، ولما أصريت راح شرط عليا أديله اتنين مليون جنيه.. رفضت.. راح هددني إنه يشوه وشي.. بلطجي بقى ومعتمد إن محدش هيقدر عليه. ميعرفش إن ربنا هيبعتلي رجل زيك. يعرفه إنه مش بالجسم.

- مش هيقدر ييجي جنبك تاني طول منا عايش في الدنيا دي. أوعدك إنه مش هيقدر يعمل لك حاجة. لا هو ولا غيره.

بعد ثلاثة أشهر..

تزوجنا..

بعد أربعة أشهر..

بدأت تأمن لي وتشعر بالراحة تجاهي، وأصبحت الحارس الشخصي لها ولأموالها وأعمالها وكل شيء، دخلت مجتمع الإنتاج الفني.. اندمجت معهم وانصهرت.. كان حبها لي يزيد يومًا بعد يوم.. وكل ليلة تقضيها في حضني، أو بالأحرى.. أنام بعدما أضع رأسي على صدرها، مستمعًا لدقات قلب نسمة.. نسمتي.. فأشعر بالهناء.. وأنام.

وحتى حين أكون معها على الفراش، كنت أغمض عيني مُتخيلاً نفسي مع نسمة.. ولم تكن شيرين في عيني سوى إنسانة قذرة، سارقة، تستخدم بدون وجه حق أغلى شيء في حياتي.. قلب حبيبتي وعينيها.. وسأنتزعهم منها قريبًا.. سأستردهم منها قريبًا.. قريبًا جدًا!

في أحد الأيام اجتمعنا أنا ومروة وعصمت..

سألت مروة عن والدها، فأخبرتني أنه ما زال منعزلاً في شقته بعدما حدث له، فأخبرتها أننا سنبدأ خطة الانتقام غدًا.. وأن شريف سند اتصل بها في ذلك اليوم وستذهب له..

- عظيم.. اقتلهما هما الاثنين وتكون ضربة واحدة ونخلص..

- أنا فعلا بفكر أعمل كدة.. هنشوف إيه اللي هيتم. ربنا يستر.. لو أول مهمة نجحت الباقي هيكون سهل.

- ربنا هيسترها معاك أنا متأكدة. وبالنسبة لي في خطة رتبت لها وأتمنى إنها تنجح.

- خطة إيه؟

- هتعرف كل حاجة في الوقت المناسب، مش حابة أشتت انتباهك وتركيزك في اللي هتعمله.

- تمام... خلي بالك من نفسك ومتخلنيش أقلق عليكي يا مروة..

اليوم الأول: يوم مقتل شريف...

تتبعت شيرين منذ أن خرجت من المنزل وحتى ذهبت إلى فيللا شريف، والتي كانت داخل كومباوند بالشيخ زايد، كان هذا الكومباوند مؤمّنًا بخمس بوابات، كل بوابة بها ثلاثة موظفي أمن، يأخذون بيانات أي شخص يدخل

الكومباوند، فكرت في أن أنتحل صفة عامل دليفري لكني رأيت أن تلك الفكرة ليست آمنة مائة بالمائة، حتى لو كان معي بطاقة مزورة أو مسروقة.

سرت بمحاذاة السور إلى أن وجدت جزءًا منخفضًا قليلاً، كل ما فعلته هو أنني عبرت إلى داخل الكومباوند من خلال هذا الجزء، وكنت حريصًا جدًا ألا يراني أي من عمال الكومباوند، رأيت أحدهم يشذب شجرة فجلست ساكنًا حوالي نصف ساعة تصببت فيها عرقًا ولم أستطع التحرك حتى لأجفف عرقي هذا، تمنيت ألا يراني فيصرخ حينها فيضطرني لأقتله، لكن حمدت الله أنه لم يرني، انتظرت إلى أن انتهى وابتعد عني في سلام، ارتديت آيس كاب أسود اللون وأنزلته على وجهي، كنت قد أعددته بحيث أن يخفي كامل وجهي عدا عيني، خرجت بعدها إلى الطريق المرصوف حوالي خمسين مترًا كان الضوء فيه خافتًا، حتى وصلت إلى حديقة فيللا شريف، دخلتها ورأيت حمام السباحة بجواره باب ألوميتال مفتوح، يؤدي إلى الطابق الأرضي للفيللا، دخلت واختبأت حتى صعدا إلى الأعلى، حتى جاءت اللحظة التي رأيتها مناسبة للدخول عليهما فجأة وأنهال عليهما بالسكين عدة مرات حتى يفارقا الحياة. لكن شيئًا ما منعني من فعل ذلك، شعرت أنني أريد أن تعيش شيرين فترة أطول، كي أنعم بها، أو بالأحرى أنعم بسماع دقات قلب حبيبتي، ورؤية عينيها، فأنعم، وأهدأ. وأستطيع الاستمرار.

انتظرت مختبئًا تحت السلم، حوالي ساعة ونصف حتى خرجت، وصعد هو إلى الأعلى ودخل غرفة الجيمانزيوم، فتح صنبور المياه ليملأ البانيو بالماء ونزل ثم أغمض عينيه. وفتحها فوجدني أمامه شاخصًا، ممسكًا بمسدس كاتم للصوت موجه ناحيته. استمعت جدًا بالرعب الذي رأيته في عينيه وهو يسألني من أنا، لم أرد عليه، مكتفيًا بإزالة الآيس كاب، لوهلة شعرت أنه سينقض عليَّ بجسده وبنيانه القوي، لكنه بدا ضعيفًا جدًا، خائفًا، تعرَّف عليَّ بعد خمس ثوانٍ تقريبًا، مدَّ يده إليّ متوسلاً أن أتركه وسيعوضني بأي شيء أريده، حاول النهوض لكنني قلت له إنه إذا تحرك مرة أخرى فسأقتله، فسكن، وبكى، بكى بصوت عالٍ، لأنه أدرك أنه يعيش دقيقته الأخيرة:

- بص يا شريف بيه، أنا مش هطول عليك، كل اللي عاوز أقولهولك هو إنك ظلمت، ودلوقت العالم ده كله هيرتاح منك. وبعد نص ساعة من دلوقت انت هتكون مقتول في مكانك.. من غير عنيك.. من غير قلبك. حاول تستمتع بآخر ثواني.. خد نفس وخرجه.. خد نفس... وخرجه...

فعل ما قلته له، لن أنسى ما فعله وقتها، فقد أخذ نفسًا عميقًا وهو مغمض العينين، لكنه استشعر الخطر فجأة، لأنه أدرك أنه شخص ميت، محكوم عليه بالإعدام. وأن هذا النفس الذي دخل صدره سيكون الأخير، وبدلاً من أن

يدخل صدره نفسًا آخر، أخرج هذا النفس الذي داخل صدره صارخًا بصوت عال: لاااا.. لكنها لم تكتمل تلك الصرخة، فأسكته برصاصة مباشرة في رأسه وسكت حينها.. للأبد.

أخرجت من حقيبتي الصغيرة مشرطًا ونزعت بواسطته عينيه، ثم استخدمته في فتح صدره فظهر أمامي قفصه، أخرجت من الحقيبة المنشار الكهربائي المحمول الذي يعمل ببطارية قد شحنتها مسبقًا، وكنت قد جربت صوته لأطمئن أنه سيكون منخفضًا، بترت به ضلعين ومددت يدي لأنزع قلبه الدافئ الذي شعرت به ما زال ينبض نبضات ضعيفة، أو هكذا بدا لي، انتزعته انتزاعًا في نفس الوقت الذي رأيت فيه نسمة واقفة أمامي، مستندة إلى الجدار خلفه وعاقدة يديها على صدرها، واقفة وقد بدت هادئة، تنظر إليَّ مبتسمة، نظرت لها بعينين دامعتين، بادلتها الابتسام وأكملت ما أفعله، حتى انتهيت بعد حوالي خمس وعشرين دقيقة، وضعت العينين في مرطبان، والقلب في مرطبان آخر ثم وضعتهما الاثنين في حقيبتي بعد أن غلفتهما بفقاعات بلاستيكية كي لا ينكسرا، لمحت حقنتين على طرف الحوض، أعتقد أنها مكملات غذائية يستخدمها هذا الكلب قبل التمرين، أخذتهما ووضعتهما في كيس بلاستيكي، نزعت بعد ذلك حفنة من شعره ووضعتها في كيس بلاستيكي آخر، سأستخدم كل هذه الأدوات في تشتيت ذهن الذي سيعمل في تلك القضية، تركت مسرح الجريمة بعد ذلك وراقبت الطريق للخارج فوجدته ممهدًا ليس به أي كاميرات مراقبة أو أي مشاكل من أي نوع، ارتديت الآيس كاب مُخفيًا وجهي، وعدت من حيث جئت.. لكن حين وصلت إلى السور لأقفز من عليه اعترضني نفس البستاني الذي رأيته من قبل..

- انت مين يا جدع انت؟

لم أرد عليه وأكملت ناحية السور فوجدته يكرر سؤاله بصوتٍ أعلى، فكرت في أن أسكته برصاصة من المسدس الكاتم للصوت، لكنني ترددت، فليس له ذنب أن يُقتل ويعود إلى بيته وأولاده جثة هامدة بدلاً من أن يعود إليهم بمبلغ هزيل لا يكفيهم، جرى ناحيتي يريد الإمساك بي لكني لكمته على وجهه فسقط في الأرض يتألم، قفزت من السور وتمشيت بجواره بخطوات مسرعة، في نفس الوقت الذي أزلت فيه الآيس كاب، وعبرت الناحية الأخرى مستوقفًا تاكسي بكل بساطة وذهبت إلى مكان استأجرته مسبقًا لأضع فيه كل ما سأجنيه.. في التجمع الأول..

وضعت فيه المرطبانين، بعد أن كتبت عليهما «شريف».

اتصلت بعدها بمروة لأطمئن عليها، وأطمئنها، لم ترد عليَّ... فأغلقت الشقة وذهبت إلى بيتي، فوجدت زوجتي الشريفة العفيفة المخلصة شيرين،

تنتظرني لنتناول العشاء سويًا...

تناولنا العشاء ونمت في حضنها، مستمتعًا بدقات أكثر قلب أحببته في حياتي.. لينتهي يوم مرهق، ويبدأ غدًا يوم جديد، وضحية جديدة.

اتصلت بي مروة صباح اليوم التالي وأخبرتني أنها لم ترد عليَّ بالأمس لأنها بدأت في تنفيذ خطتها، نهضت من مكاني مشدوهًا وسألتها كيف.. فأخبرتني أنها تعاونت مع إحدى صديقاتها التي تربصت له لفترة وأدركت أنه كل يوم يسهر في بار بشارع جامعة الدول العربية، استدرجته وذهبت معه إلى البيت، كان سكران وقتها وقال كلامًا كثيرًا من ضمنه أنه يخبئ تمثالين فرعونيين في شقته، وبعدما أقام معها علاقة ونام، نهضت هي وزرعت عدة ميكروفونات تصنت في عدة أماكن في شقته وأخفتها جيدًا، وتم توصيل تلك الميكروفونات بهاتفها، وكانت هذه خطتها للحصول على التمثالين.

- يخرب بيييييييييييتك... إيه دة!! لا ده أنا كدة أخاف منك.. قلتها بسخرية، رغم أنني فعلاً اندهشت من قدرتها على التفكير ونسج حبكة، حكيت لها أنا الآخر ما فعلته، وأخبرتها أنني نفذت الخطة، فسألتني:

- قتلتهم الاتنين وللا عملت إيه؟!

- لأ... قتلت شريف سند لوحده.. أنا محتاج أخلي شيرين للآخر خالص زي ما قلت.. قوليلي.. هتعملي إيه بعد كدة؟

- هروحله أعترف له زي الأفلام الهندي إني بنته، وإنه لو عاوز يتأكد بأي طريقة يتفضل بروح أمه مش همانع. هروحله كمان شوية بحيث إني أكون عنده قبل ما يوصله خبر قتل الوسخ صاحبه. وأراهنك إنه هو اللي هيمسك التحقيق في الجريمة دي. يللا هسيبك دلوقت.. يادوب أروحله أكمل الخطة. سلام.

بعد عدة ساعات تم استدعاء شيرين، كما توقعت، وكانت هي المتهمة الأولى بطبيعة الحال.

في نهاية اليوم اتصلت بي مروة لتخبرني بما حدث بينها وبين زياد ضرغام، شعرت بالاطمئنان نوعًا ما لأن كل شيء يسير على ما يرام، وأنهما أجريا تحليل DNA . سألتها عن دكتور رأفت الميهي، فأخبرتني أنه سيكون في المستشفى منذ الصباح، فاتفقت معها أنها ستتحدث معه بغنج ودلال، وتطلب منه أن ينتظرها في غرفة مكتبه في تمام الساعة الثانية عشرة، وطلبت منها أيضًا أن ترسل لي صورة واضحة للزي الخاص بالممرضات، ففعلت.

ولأنني أعرف جيدًا الأماكن غير المغطاة بكاميرات مراقبة، استخدمت نفس الأماكن التي دخلت وخرجت منها في اليوم المشئوم، وقفت أراقب الموقف وراء باب الردهة الزجاجي مرتديًا زي التمريض، واضعًا قناعًا أزرق على وجهي. حتى لمحته واقفًا مع ممرضة يتحدث معها، فدخلت دون أن يراني أحد لأختبئ وراء الدولاب، وما إن دخل وجلس على مكتبه حتى تفاجأ بي أغلق الباب من الداخل ووجهت مسدسي الكاتم للصوت نحو رأسه.. لم أعطه فرصة ليتفوه بكلمة:

- لالالا متتكلمش أرجوك. لأن أي كلمة هتخرج من بين شفايفك هتكون بعدها بثانية مقتول برصاصة في دماغك. إهدا كدة وخليك ريلاكس. انت كدة كدة مقتول. لكن انت أكيد عاوز تعرف هتتقتل ليه... مش كدة؟! لو آه هز دماغك بدون كلمة، فهز رأسه لي وقد بدا مرتعشًا مرتعدًا، لدرجة أنه بال على نفسه حينها، نزعت القناع الطبي من على وجهي ثم أخرجت صورة نسمة من جيبي، تعرف عليَّ حينها وهم أن يصرخ فعاجلته: لالالا أنا قلتلك إيه؟ تحب تموت حالاً وللا تستنى عشر ثواني زيادة؟

قال لي متوسلاً وهو يبكي: أنا على أستعداد إني أديلك أي حاجة تعوزها.. أؤمرني. أرجوك ماتقتلنيش..

- طيب قوللي الأول.. ألاقي فين أيمن موظف الاستقبال اللي كان بيشتغل هنا؟

- ففف... في شركة... في شركة أمريكانو بالدقي.

- جزاك الله خير يا رجل يا كبارة.. المهم دلوقت –مددت له يدي بصورة نسمة التي رآها وبكى ثم أكملت كلامي– إنت قلتلي من شوية أحب أطلب إيه؟

- آه.. آه.. اطلب واتمنى أي حاجة هعملهالك حالا.. بس أرجوك ماتقتلنيش.. أرجوووك

- ماشي... عاوز قلب وعينين نسمة، رجعهم لي.. ورجع لي نسمة.

بكى.. بكى بحرقة.. ركع على ركبتيه وهو يمد يده لي باكيًا. وهو يتوسلني بصوتٍ خافت أن أتركه، لم أرد عليه وظللت أنظر إليه بعينين شاخصتين تحملان الانتقام.. أدرك حينها أنه ميت لا محالة. وبينمًا كان يبكي وهو معلق نظره على صورة نسمة. رغم استمتاعي بمنظره وهو يبكي، ورؤيتي له في آخر ثوانٍ في حياته، لكني وجدت أنني لا أملك رفاهية الوقت هنا، في تلك المستشفى. فأطلقت على رأسه رصاصة من مسدسي الكاتم للصوت أردته قتيلاً في الحال، وفعلت نفس ما فعلته في شريف، لكن الوقت كان أقل

بثماني دقائق، ووضعت ما انتزعته منه في مرطبانين، ووضعتهما في علبة مثلجة صغيرة، أخذت حفنة الشعر التي أخذتها من رأس شريف ووضعتها بين أصابع رأفت الميهي ثم وضعت الحقنتين اللتين أخذتهما من فيللا شريف سند، وضعت الأولى في سلة المهملات، والثانية فوق الدولاب، لأوهم زياد أن عليها بصماته.. نزعت القفازات بعدها من يدي ووضعتها في جيبي ثم وضعت القناع على وجهي مرة أخرى ومضيت متجهًا إلى مصعد الحالات الحرجة المؤدي إلى الجراج، وخرجت بالعلبة كأي ممرض محترم، وذهبت إلى المنزل بالتجمع الأول واضعًا قطع غيار الضحية الثانية؛ د. رأفت الميهي.

عدت إلى المنزل لأجد زياد ضرغام يتصل بي لاستجوابي..

أنا.. الزوج الذي لا يعرف أي شيء عن زوجته الخائنة، وذهب إلى القسم ليعرف ماذا حدث بالضبط؟!

في مساء نفس اليوم..

اتصلت بي مروة تخبرني بما حدث في المستشفى، كنت في ذلك الحين أرتب لقتل أيمن، طلبت من مروة أن تتودد إليه وتتصل به في شركة أمريكانو، متظاهرة أنها تطمئن عليه، وأنها تفتقده كثيرًا، طلب مقابلتها فقالت له كذبًا إنها بمفردها لمدة أسبوع عند خالها، قالت له ذلك وهي تعرف جيدًا أنه سيطلب أن يذهب لها، وبالفعل هذا ما تم.

وصفت له المكان بالضبط، واتفقت معه أن يحضر إلى هناك في تمام الساعة الخامسة، وأن يكون حريصًا جدًا وهو يصعد العمارة كي لا يراه حارس العقار أو أي شخص آخر أحد، فيخبر خالها.. ذهبت أولاً بعدما أخذت نسخة من المفتاح من مروة، دخلت الشقة لأحضر كل شيء سأحتاجه، منتظرًا أيمن، الذي من المفترض أن يأتي بعد ١٥ دقيقة فقط.

حين وصل بالقرب من الشقة اتصل بمروة فأخبرته أنها تنتظره بالأعلى، وحين يصعد إلى الدور الثالث ستفتح له ويدخل بسرعة، وهذا ما حدث بالضبط، لكنه حين دخل وجد الشقة دامسة الظلام حين أغلق الباب، نظر حوله بعينين ضيقتين محاولاً الرؤية فتفاجأ بضوء أباجورة يضاء أمامه، وكنت جالسًا بجوارها، هادئًا تمامًا. شاهرًا المسدس في وجهه، قلت له بثبات انفعالي لا أعرف كيف جلبته حينها:

- لو اتحركت أي حركة سواء ورا أو أدام هتتفاجئ بالرصاصة طالعة ناحية جمجمتك هتفرقعها.

رفع يديه المرتعشتين وتغير لون وجهه فجأة، اقترب نصف خطوة محاولاً تذكر وجهي، ولم يحتج أكثر من ثواني معدودة ليتعرف عليَّ، فبكى حينها

قائلاً:

- ورحمة أمي أنا عبد المأمور.. ماكانش بإيدي حاجة أعملها.. ماكانش ينفع أقول لهم لأ.. أنا كلبهم، أنا حرفيًا كنت كلبهم. أبوس إيدك إرحمني.

- كنت ممكن تعمل كتير أوي.. أرحمك؟ أرحمك إزاي؟!.. كان بإيدك حاجات كتير أوي تعملها.

حاول التحدث فوقفت مشيرًا له بيدي أن يسكت، فسكت..

- سيبني أكمل عشان منساش الكلام اللي محضره.. كان بإيدك تعملي حاجات كتير أوي. بس أنت معملتش. اهدا يا أيمن.. اهدا يا حبيبي.. غمض عينيك وخد نفس عميق وخرجه براااااااااااحة وأنا بفرتك دماغ أمك دي.

أدرك أنه لا مفر، امتثل للأمر واستسلم، أغمض عينيه باكيًا. فأطلقت عليه رصاصة في جبهته، هكذا، بمنتهى البساطة، الكاتب الذي كان يحلم يومًا ما أن يكون مشهورًا بكتاباته العظيمة، ومرادفاته الرائعة، وجماليات أسلوبه، أصبح الآن قاتلاً محترفًا، يأخذ الأرواح كما لو أنه يفتح باب الثلاجة ليشرب، أطلقت رصاصة على جبهته فسقط قتيلاً، في نفس الوقت الذي رن فيه هاتفي لتخبرني مروة أن زياد وصل بسيارته تحت البيت، ارتبكت حينها وتوترت. لا أدري ماذا أفعل.. وليس لديَّ وقت لأنزع قلبه وعينيه، فاكتفيت بقطع أذنه، وخبأتها في أحد الأماكن في شقته التي يصعب على زياد أن يجدها فيها، ثم أخذت هاتفه من جيبه وخرجت بسرعة من باب الشقة ونزلت مستخدمًا السلم، رأيت حينها زياد وقد دخل العمارة مع رجل يحمل حقيبة مكتوبًا عليها «شركة الإيمان لأنظمة كاميرات المراقبة»، انتظرت إلى أن دخل المصعد وخرجت بعدما تأكدت أن المدخل ليس به أي شخص.

جلست بعدها مع مروة في كافيه بجوار المنزل وأرسلت له عدة رسائل على موقع صراحة، لأخبره ماذا سيفعل بعد ذلك.. قالت لي مروة: - أطلب منه يبعتلك القلب والعينين معايا..

- معاكي؟ سألتها مندهشًا... ليه يعني معاكي ازاي؟!

- لأني هخاف عليك منه لو هو اللي جابهالك... مانضمنش ممكن يعمل إيه أو يحضر إيه! أرجوك.. أنا خايفة عليك.

نظرت لها مبتسمًا ونفذت اقتراحها.

أخذت من مروة المرطبانين اللذين حضّرهما زياد، وذهبت بهما إلى الشقة بالتجمع الأول.. وعدت بعدها بسرعة إلى المنزل، منتظرًا أكبر وأغلى مهمة، أسهل وأصعب مهمة في نفس الوقت.

شيرين القاضي.. والتي حاولت الاتصال بي عدة مرات كي تصالحني بعدما واجهتها بعلاقتها بشريف سند، لكني أخبرتها أنني مجروح جدًا ولن أستطيع الرجوع معها مثلما كنت من قبل، ولن أعود إليها مطلقًا.. وطلقتها؛ لأنني لا أريد أن تخرج روحها من جسدها وهي زوجتي.

انتهزت فرصة دعوتي على العرض الخاص لأحد الأفلام، ونويت أن أنفذ حكم الإعدام على شيرين في ذلك اليوم، بعد أن علمت أنها ستكون طوال النهار في البيت وستذهب إلى دعوة أحد أصدقائها على العشاء في بيته... الفاجرة التي ترى بعين حبيبتي رجلاً غيري، وتستخدم قلب حبيبتي في حب غيري..

بمجرد أن بدأ الفيلم خرجت من الباب ومنه إلى الحمام لأخرج منه على منطقة الخدمات بالمول، ومنه إلى خارج المول، لم يعترضني أحد سوى عامل نظافة أخبرته أنني بقسم الرقابة والجودة وأريد معرفة أماكن الأبواب.. فهابني وساعدني في الخروج. طالبًا مني أن آخذه معي في إدارتي وأن أنتشله من قسم النظافة، فهززت له رأسي مبتسمًا وخرجت، تركت سيارتي وأخذت سيارة أجرة متجهًا إلى شيرين. وفي الطريق اتصلت بطليقها كي يبعد الحارس عن العمارة بأي حجة، ففعل ما طلبت منه، وصعد بعدها إلى طبيب الأسنان المجاور لشقتها.. اتصل بي عصمت الدندراوي حينها:

- أعمل إيه معاك دلوقت ياعم؟! أنا مش بشتكي خالص من سناني والحمد لله، مين هينفعني بقى لما أخلع سنة وللا ضرس؟ هتدفعلي تمنه؟

أجبته ضاحكًا: هاهاها وهو كل اللي بيروحوا لدكتور سنان لازم يخلعوا؟ مينفعش تعمل تنضيف وتبييض مثلاً.. الموضوع أسهل مما تتخيل أهو.. يللا بقى اقفل عشان أطلع آخد السر الإلهي من بنت الكلب الفاجرة. وأستعيد الأمانة بتاعتي.

صعدت إليها دون أن يراني أحد، فتحت باب الشقة فوجدت الخادمة تصلي، رششت فوقها مخدرًا جعلها تنام على جنبها في سلام غائبة عن الوعي دون أن تراني، ثم دخلت إلى شيرين، وجدتها نائمة.. حين أضأت النجفة استيقظت على ضوئها، تملكني الضعف والحنين حين رأيت عيني نسمة، كنت أريد أن أقتلها بسرعة، لكني اشتقت لسماع دقات قلبها، اقتربت منها وارتميت في حضنها، فلم تبد أي رفض، بل بالعكس حضنتني، وضمتني إلى صدرها فأصغيت بأذني إلى دقات ذلك القلب الذي لم يحب ولم يعشق أحدًا غيري، سمعت حينها صوت نسمة، حين أخبرتني لأول مرة أنها تحبني، وحين كانت تناقشني في روايتي التي أكتبها، وحين تقترح عليَّ اسم رواية بعينها كي نقرأها سويًا.. وحين وحين وحين...

لم أستطع كبح جماح دمعتي الأولى، والتي سحبت وراءها سيلاً من الدموع، لكني سرعان ما استطعت جمع شتات روحي المبعثرة، ونهضت مبتعدًا عنها.

- مالك يا حبيبي، بعدت ليه عن حضني؟ أنا لسة مشبعتش منك.. قالتها الفاجرة التي من المفترض أنها ستسهر مع رجل هذه الليلة.

- حبيبك؟! قلتها بوجه يحمل غلا وكرهًا.. انتي بجد بتسأليني بعدت عن حضنك ليه؟

هززت رأسي مبتسمًا ابتسامة ساخرة.. أنتي فعلاً فاجرة.

- والله والله يا كريم كان غصب عني، حلفت لك إني كنت عند شريف سند آه ما نكرتش، لكن ماعملناش حاجة، والله ما نمت معاه.. ارجع لي تاني يا كريم أرجوك.. أنا بحبك ومحتجالك.

- سيبك من موضوع شريف ده وخلينا في المهم، تعالي نتكلم في موضوع تاني.

- ....؟

- خليني أسألك سؤال مباشر من غير لف ودوران.. لو كنتي محتاجة حاجة معينة من شخص معين، وحياة الشخص ده هتكون مهددة لو خدتيها منه، هتنتهي... هيموت... هتعملي إيه؟!

- آآآآه.. انت شكلك كدة قابلت عصمت، وقالك على موضوع العملية، عمومًا هجاوبك، طالما الموضوع ده متوقف عليه حياتي.. فأكيد يعني يا روح ما بعدك روح.. ده غير إن معايا التمن..

- كدة؟! بالسهولة دي؟! والتانية اللي خدتي منها حياتها.. تموت كدة؟ عادي؟!!!

- قدرها يا كريم.. ده عمرها.. انت هتكفر بالله؟ أومال أموت أنا؟!

- صح.. عندك حق.. عندك حق. قدرها، مش مشكلة إيه يعني هتموت.. طب ماسألتيش نفسك يمكن البنت حياتها غالية عندها وعند حبايبها برضه؟ وليها خطط، طموحات، أحلام..

سكتّ لثوانٍ بكيت فيها واستطردت كلامي باكيًا بحرقة وأنا أضرب بيدي على صدري: وليها راجل بيحبها، وبتحبه.. وكانوا متفقين على الجواز.. عشان يكملوا حياتهم مع بعض..

تسمرت مكانها حينئذٍ وجحظت عيناها من هول ما سمعت: أنت كنت تعرفها؟! انت عاوز تقوللي إنك كنت تعرفها؟

- أعرفها؟! نسمة مصباح كانت حبيبتي، عشيقتي، معشوقتي وحلمي. انتي خدتيها مني..

قاطعتني صارخة: مش أنا اللي اختارتها يا كريم، ماكنتش أقصدها هي بالذات، أنا حتى ماشوفتهاش.. والله يا كريـ..

- لالالا.. ماتحلفيش... بتحلفي بمين؟ بالله؟ انتي تعرفيه؟ لو كنتي تعرفيه مكنتيش هتعملي كدة. سواء انتي أو ولاد الكلب اللي سيقوكي على فوق.. وانتي هتروحي وراهم كمان شوية.. مهو أنا أصلي قررت أبعتكم له وهو بقى يتصرف معاكم.

- إيه دة؟!! هو انت اللي عملت كل دة؟! ارتمت جالسة على السرير وهي تحت تأثير الدهشة، لكن ذلك لم يمنعها من سحب هاتفها من تحت الوسادة في نفس الوقت الذي أدرت فيه ظهري لأغلق الباب علينا من الداخل، لكني رأيتها عبر المرآة، أطرقت رأسها متظاهرة أنها تبكي، لكنها ضغطت على رقم زياد ضرغام الذي أجابها سريعًا فصرخت «الحقوووووووني... هيقتلنيييي الحقوووني الحقوووووني» لكنني اقتربت منها وخطفته من يدها وأغلقت الخط.

- انتي فاكرة إن زياد ضرغام هيغير مسار قدرك يا شيرين؟ ده انتي لسة قايلاها من شوية... ده قدر... قدر... ويا روح ما بعدك روح.

- أتوسل إليك يا كريم، أتوسل إليك سيبني أعيش.. هتنازل لك عن كل حاجة، هكتب لك شركة الإنتاج باسمك، والشقة الشقة دي كمان والعربية وشاليه هاسيندا وكل حاجة كل حاجة..

قلت لها بصوتٍ منخفض وكل هدوء: كل اللي معاكي ده يا فاجرة يابنت الكلب، ميساويش دقة واحدة من قلب مش بتاعك، من قلب بنت أطهر وأشرف منك مليون مرة. قلب بنت كل ذنبها إنها اتسرقت، وياريت اللي اتسرق منها دي حاجة عادية. إنما الحياة..

أخرجت صورتي مع نسمة التقطناها قديمًا في إحدى المكتبات، ومددت يدي بها لتلك الفاجرة:

مبدئيًا أحب أعرفك على كريم عفت بتاع زمان، أيام ما كان اسمه باهر حجاج، واللي هيرجع تاني باهر حجاج.. واللي جنبه دي نسمة.. نسمة مصباح.. اللي سرقتي منها الحياة انتي وشوية كلاب. ودلوقت إنتي بمنتهى البساطة عايشة بقلبها، وشايفة بعنيها... ازاي؟ هل ده عدل؟!

- ططط.. طب.. طب هتعمل إيه دلوقت؟ قالتها وهي منهارة من البكاء، وقد أدركت ما أنتوي فعله، فأجبتها مباشرة:

- هاخدهم طبعًا... وأرجعهم لها.. هدفنهم معاها. أما انتي فجثتك هتتبعت للمشرحة عشان تتحط جنب باقي جثث الأوساخ الأندال.

كريم.. أرجوك.. أرجوك ارحمني و...

- اسمي باهر حجاج يا فاجرة..

- أرحمني أرجوو...

لم تكمل كلامها، وأطلقت ثلاث رصاصات استقرت في بطنها، خشيت أن أصيبها في رأسها فأصيب عينيها بالخطأ.. فتلك العينان لا تستحقان أن تصابا، حتى لو كانتا داخل جسد امرأة مثل تلك العاهرة.

كانت تلك آخر نظرة لعيني نسمة، وآخرة دقة لقلبها، سقطت الفاجرة ميتة في الحال، خرجت لأغلق باب الشقة من الداخل، ربما يأتي زياد ضرغام في أي لحظة، وقررت أنه لو جاء قبل أن أنتهي فسأقتله، ولو جاء بعدما انتهيت فلن أهرب، سأسلم نفسي له.. لأنني انتهيت من مهمتي، لكن شيئًا ما بداخلي قال لي إن هذا قرار خاطئ، فهناك مهمة أخرى أخيرة. هي دفن قلبها وعينيها معها.

دخلت الغرفة بسرعة وبدأت في العمل، في هذه المرة لن أغرس كفي بعدما أكسر الضلعين وأنتشل القلب بغلٍ وكره. بالعكس تمامًا. سأستأصله بدقة، بدقة متناهية، لن أدع في جسدها أيً وريد أشك أنه خاص بنسمة..

بدأت بنزع العينين برفق ووضعتهما في المرطبان الصغير، قبل أن أشق صدرها وأكسر الضلعين بالمنشار لأستأصل برفق قلب حبيبتي الدافئ والذي ما زال ينبض على استحياء، وضعته في المرطبان الأكبر، وضعتهما في حقيبتي مع باقي المعدات ومسحت بقطعة قماش كل شيء لمسته، قبلت رأس الخادمة التي ما زالت تحت تأثير المخدر واعتذرت لها في سري... واعتزمت الهرب، لكنني سمعت صوت أقدام على السلم، اشرأبيت من خلال الترابزون فوجدت زياد ضرغام، خرجت وصعدت إلى الطابق العلوي، وراقبته حتى دخل، وبالتأكيد سيدخل إلى غرفة النوم مباشرة، انتظرت ثانية، اثنتين، ثلاث.. وفي الثانية الرابعة نزلت كالبرق، وفي الدور الأول وقفت لثانيتين أراقب الوضع فوجدت المدخل خاليًا تمامًا، نزلت أول درجتين ففوجئت بأحد السكان مع زوجته قد دخلا العمارة ووقفا أمام المصعد ينتظرانه، وقفت ثابتًا في مكاني كاتمًا أنفاسي حتى دخلا المصعد وتحرك بهما فانطلقت بعدها مسرعًا خارج العمارة، ولمحت بطرف عيني عصمت الدندراوي جالسًا داخل سيارته على مقربة من العمارة، تلاقت عيني بعينيه فغمزت له مبتسمًا ثم رحلت مبتعدًا عن العمارة في سلام.

نظرت في الساعة، أمامي أربعون دقيقة لينتهي الفيلم، أخذت سيارة أجرة بسرعة إلى السينما، ودخلت مثلما خرجت، قبل انتهاء الفيلم بخمس دقائق، فانتهى الفيلم وأخذ الناس يصفقون بشدة، فأخذت أصفق أنا الآخر، هم لديهم أسبابهم وأنا لديَّ أسبابي.

غادرت متجهًا إلى مقابر العائلة.. وقفت أمام القبر الذي ترقد فيها نسمة قائلاً وأنا أبكي:

اخرجي يا حبيبتي، فالعالم بعدك أسود...

فتحت القبر ووضعت المرطبانين بالداخل، ثم أغلقته مرة أخرى وما زلت أبكي وأتحدث معها بصوت خافت، حكيت لها كل شيء، ولكن هذا لن يكفي، سأحكي للعالم كله أنني أخذت بثأرك يا حبيبتي يا منية النفس.. سأكتب كل ما حدث.

ذهبت إلى البيت، لم تحتج هذه الرواية سوى ست وثلاثين ساعة حتى انتهيت منها، لم أعدّل فيها حرفًا، وأخذها مني الناشر وفاجأني بعد يومين أنهم انتهوا من تصميم الغلاف ودخلت المطبعة، وستكون في المكتبات بعد يومين آخرين.

أتمنى أن تنال إعجابكم

تمت

باهر حجاج

أغلق زياد الرواية وظل يبكي متذكرًا كل ما حدث، وكيف أنه كان سببًا في موت والديه بالحسرة، وكيف كان متكبرًا متجبرًا.. رغم أنه كان باستطاعته مساعدتهما، لكنه لم يدخر أي جهد لذلك، وقف شاخصًا أمام المرآة فوجد الشخص الواقف أمامه يتحدث معه:

- بس انت ماكنتش سبب موت أبوه وأمه بس يا زياد بيك ضرغام.. أنت كنت السبب في موت ناس تانية.. أنت تعرف كدة وللا لأ؟!

لم يرد عليه وأدار ظهره عنه متهربًا من الإجابة، فخرج هذا الشخص الآخر من المرآة وأمسكه من تلابيبه وصرخ فيه مكررًا نفس السؤال: انت عارف إنك كنت سبب في قتل ناس تانيين وللا لأ؟!

- مش هجاوبك... ومش هريحك.

رد عليه ضاحكًا ضحكة استهزاء: هاهاها هو أنت فاكر إني محتاج لأي راحة؟ أنا عارف كويس جدًا إنت عملت إيه.. وإنك كنت سبب قتل أولادك...

وعارف إن طمعك وجشعك ملهومش حدود... وعارف كمان إنـ...

صرخ زياد فيه فاختفى فجأة.. أمسك الرواية وظل ينظر إلى غلافها ساهمًا، مشى بإصبعه على اسمه، ترى ما هو المفروض فعله الآن؟ رغم كل شيء فهو قاتل، ويجب القبض عليه.

ظهر الرجل مرة أخرى قائلاً: قاتل؟ مين ده اللي بتقول عليه قاتل؟... ده مجرد كاتب.. كاتب وكتب رواية!

- بس أحداثها حقيقية..

- إيه اللي يثبت إن أحداثها حقيقية؟! كل الجرايم حجبتوها عن الصحافة.. وكل اللي حصل حصل في الخفاء.. فين الإثبات بقى؟

- دليل الجريمة. هروح دلوقت لعنوان الشقة اللي في التجمع المذكورة في الرواية... وهتأكد بنفسي..

- طب ولو ملقيتهاش على أرض الواقع أصلاً..؟ هتعمل إيه؟ مهو برضه مش كل حاجة مكتوبة في الرواية لازم تكون مطابقة للواقع بالمللي..!

- لو ملقيتهاش هقابله وهضرب أمه لحد ما يظهرله صاحب أو يعترف.

نظر إلى ساعته.. فوجدها الواحدة والنصف ظهرًا. ومن المفترض أنه يكون في القاهرة عند الساعة الرابعة تقريبًا. وحفل التوقيع الساعة السادسة. هذه أفضل فرصة للقبض عليه.

ارتدى ملابسه في عجالة وركب سيارته وانطلق إلى القاهرة، أو بالأحرى التجمع الأول، العقار المقابل لمحطة البنزين المذكورة في الرواية، فعلا، نفس الرقم كما قال في الرواية، والعمارة بالفعل قيد الإنشاء، صعد بحذر إلى الطابق الأول، فوجد الباب مواربًا، دخل فوجد منضدة عليها ستة مرطبانات، كل مرطبانين عليهما نفس الاسم. (شريف سند رأفت الميهي أيمن محمد).

أخرج هاتفه والتقط عدة صور ثم ترك المكان كما هو وذهب إلى حفل التوقيع.

مكتبة وسط البلد..

كانت المكتبة مليئة عن آخرها، والقراء سواء جالسين أو واقفين، سواء داخل القاعة أو خارجها، ممسكون بنسخة من الرواية، منتظرين مدير دار النشر الذي أوشك على الانتهاء من كلمته، ليتحدث الكاتب باهر حجاج، بعد غياب دام حوالي أربع سنوات.

وصل زياد إلى المكتبة، سأل أحد الموظفين فيها عن وجود باب آخر غير هذا داخل القاعة، فأجابه الموظف أن لا، اطمأن قلبه وظل واقفًا في الخارج يتابع ما يحدث في الندوة عبر شاشة التليفزيون التي تنقل من الكاميرا بالداخل.

كان مدير دار النشر ينهي كلمته بوجه تملؤه البهجة والسرور: - والآن، أترك الكلمة لكاتبنا العظيم الذي ابتعد عنَّا في السنوات الأخيرة، ونقول له مرحبًا بك وعودٌ أحمد...

صفق كل من في المكتبة سواء داخل القاعة أو خارجها، حتى هز لهم باهر رأسه مبتسمًا مبتدرًا بالحديث:

- أول حاجة أحب أعتذر لكم عن كل المدة دي اللي غبت فيها عنكم، لكن ماكنش بمزاجي، كان حكم القوي – شعر حينها زياد بنغزة في قلبه، وأحس أنه المقصود – لكن الحمد لله، لكل شيء بداية ونهاية، ودلوقت أهو رجعت لكم تاني، برواية جديدة، كتبتها بعد مجهود شاق.. وأوعد كل اللي هيقراها إنها هتعجبه، وطبعًا أحب أنتهز الفرصة دي وأشكر كل اللي قراها أول يوم نزلت فيه، وقالولي رأيهم فيها. أنا متابع ردود الأفعال في اليومين اللي فاتوا. سواء على جودريدز أو منصات السوشيال ميديا المختلفة. والحمد لله ٩٩٪ من الآراء إيجابية. وهنتظر باقي آراءكم، سواء جوة مصر أو برة مصر... ودلوقت أي حد عنده سؤال يتفضل.. بس أرجوكم بنظام.

رفع معظم الحضور أياديهم فأشار باهر حجاج لفتاة منهم قائلاً: مش همشي غير لما أجاوب على كل أسئلتكم، أو على الأقل معظمها، أنا معاكم لحد الفجر، بشرط ماتملّوش مني.. قالها مبتسمًا فضحك الحضور، بينما وقفت الفتاة:

- أنا طبعًا قريت الرواية أول يوم نزلت فيه، وحسيت إنها جزء منك.. قاطعها باهر متندرًا: - أو أنا اللي جزء منها..

فضحك الحضور وأكملت الفتاة: أو أنت جزء منها أوكي.. السؤال بقى، هل شعوري ده صح وللا غلط؟

- شعورك صح بالتأكيد؛ لأن كل رواية بتقريها سواء ليا أو لغيري تعتبر قطعة أصيلة من روح كاتبها، ده شيء مفيهوش جدال!

وقف أحد الصحفيين: لكن بعض الأسماء في الرواية مطابقة للواقع، فهل ده معناه إن أحداث الرواية حقيقة؟!

قاطعه باهر ضاحكًا: تفتكر أحداث الرواية دي حقيقية وأنا دلوقت قاعد بينكم كدة عادي؟.. هاها طب إزاي؟!

لم يستطع الصحفي الإجابة، رفع قراء كثيرون أيديهم لكن باهر أصر على الإجابة عن الأسئلة التي شعر أنها تدور بخلد الصحفي:

- نسمة الله يرحمها ماتت من أربع سنين، بعد صراع طويل مع مرض السرطان، نسمة ماكانتش حبيبتي بس.. دي كمان كانت ملهمتي، موتها هو اللي أوحى لي بفكرة الرواية دي وحبكتها، وابتعادي الفترة دي كان عشان بظبط فيها الحبكة.. حبكة الرواية اللي كانت أمنية نسمة إني أكتبها.

صمت قليلاً فرفع عدة أشخاص أيديهم وتداخلت أصواتهم فيما بينهم، رفع باهر يديه مشيرًا إلى أنه يريد التعقيب:

- أنا هنا دلوقت، في مكتبة وسط البلد، بينكم، وسطكم.. ومعظمكم رافع إيده عاوز يسأل. وممكن جدًا لما كلكم تقعدوا تكتشفوا إن في واحد منكم اتقتل، عشان كان بينكم قاتل حقنه بحقنة هوا مثلاً. ده محصلش، وغالبًا مش هيحصل، لكن رؤيتي ليكم وانتم واقفين رافعين إيديكم أوحى لي بمشهد القتل دة. ودة اللي حصل لي في روايتي دي. دي وظيفتي ككاتب مش بيمرر أي حدث مرور الكرام يا جماعة. كل حاجة بتحصل بتتخزن جوة دماغي، وتتعتق، تتعتق، تتعتق... يمكن أستخدمها في يوم..

قاطعه الصحفي ضاحكًا: أتمنى لو استخدمت المشهد ده مايكونش الشخص المقتول ده أنا..

- هاهاها وأنا كمان أتمنى... لكن ماوعدكش.

ضجت القاعة بالضحك حتى من هم خارجها، ما عدا زياد، الذي يراقب كل حركاته وكل تعبيرات وجهه وهو يتحدث، وقف فتاة أخرى تسأله:

- وإزاي قدرت تجتاز محنة موت نسمة؟

- ومين قالك إنك اجتازتها؟ ومين قالك إني بعد موتها أنا عايش أصلاً؟! أنا بدعي ربنا محدش يشوف اللي شفته، واللي بشوفه، واللي لسة هشوفه... ابتلع ريقه وشعر أن القاعة تدور به، وحاول كبح دموعه المسجونة داخل عينيه المغرورقتين، ثم استطرد: - نسمة هتفضل في قلبي طول عمري لحد ما أموت، وأنا عارف إنها راضية عني، أنا متأكد من دة.

نهضت إحدى الفتيات ورفعت يدها فأشار لها باهر بالتحدث: لكن أنا شفتك قبل كدة مع اتنين ستات من حوالي تلات شهور، في مطعم في المهندسين، أعتقد إنها منتجة والتانية كانت ممثلة أو حاجة زي كدة.. هل في بينكم علاقة؟

- رغم إن دي أمور شخصية ومهنية، لكن مش مشكلة هجاوب. الاتنين اللي كنت قاعد معاهم كان بيني وبينهم شغل، مسلسل جديد هتنتجه وطلبت مني أكتبه لها. عجبها السيناريو بتاعي لكن اختلفنا في الأجر، والمناقشات توقفت بعد كدة. لكن احتمال الفترة الجاية أتفق مع منتج تاني.. مين عارف!!

وقف شاب سأله: كنت فين الفترة اللي فاتت؟! وليه غيرت شكلك؟!

- كنت في كذا بلد.. السعودية، الأردن، الإمارات.. كتبت في كل بلد جزء من الرواية دي. وبالنسبة لشكلي.. تغيير.. الكاتب دايمًا بيحب التغيير. ولا أستبعد إني بعد الحفلة دي أرجع لشكلي القديم. بس هستمر في الجيم برضه.

وسط ضحك الحضور وقف مدير دار النشر وأشار لهم أنه سيتكلم: طيب.. هنتكلم كتير عن الرواية في حفلات توقيع تانية، لكن الوقت مع باهر حجاج فعلا بيتسرق، ومدير المكتبة بيشاورلي من ورا أهو عشان نبدأ في توقيع النسخ، لأن التوقيع هياخد وقت طويل.. وعادي يعني الحفلات جاية كتير.

وقف القراء ومعهم نسخهم، ومعظمهم قد طلب منه أن يلتقط معه صورة بعد أن يوقع له نسخته، جاءه هاتف في هذه الأثناء:

- أيوة يا حياتي.. إيه اللي حصل؟... بجد؟ هاهاها طب تمام جدًا.. هنضيف الكلام ده للجزء التاني.. مايهمنيش.. والله ما يهمني بجد ما أنتي عارفة.. ماشي يا حبيبتي مع السلامة دلوقت.. الله يبارك فيكي.. باي.

أغلق هاتفه واستكمل التوقيع لقرّائه الذين يقفون أمامه منبهرين به، ظل يوقع حوالي أربعين دقيقة حتى شعر بالإرهاق وأن عينيه كادتا أن تسقطا من وجهه من كثرة التركيز، وأن يديه تخدرتا أيضًا، لمح بطرف عينيه أن الواقف أمامه ويضع نسخته على المنضدة هو الأخير.. رفع رأسه وهو يضحك قائلاً: الحمد لله .. أخيييييييرًا وصلت لآخر قار...

ازدرد باقي كلامه مع ريقه بصعوبة بالغة، وسقط القلم ببطء من بين أصابعه التي تخدلت، وتخدرت فانتقل الخدر من أصابعه إلى كفه ثم يده فتجمد الدم في عروقه، ورغم أنه شعر ببرودة في كامل جسده لكن العرق تفصد على جبهته في نفس الوقت، انحنى زياد عليه بكل ثقة قائلاً له بصوتٍ خافت: - أنت كنت فاكر إنك هتهرب من كل اللي عملته ده كدة؟ بالسهولة دي؟!

- رغم إني كنت عارف إنـ... قطع كلامهما مدير دار النشر متدخلاً: بسرعة يا باهر الله يكرمك، لسة قدامنا قعدة طويلة في دار النشر.. ده آخر قارئ هتوقع له.. مش كدة؟

- أيوة يا أستاذ منير.. لكن معلش سيبنا لوحدنا شوية، ده صاحبي من أيام الجامعة ومشفتوش من زمان، وبنتكلم في موضوع مهم.. خمس دقايق

بس.

- تمام... قالها مدير النشر وخرج من القاعة ولم يتبق فيها أحد غيرهما. أردف باهر كلامه:

- إحنا كنا بنقول إيه؟... أخخخخ نسيت.. آه أفتكرت. رغم إني عارف إني هشوفك قريب جدًا... لكن برضه اتفاجئت.

- قصدك خفت... اترعبت...

- ده بجد؟! تفتكر فعلاً إن كلامك ده صح؟! تفتكر واحد اتقابل مع أشخاص أحياء وقتلهم وحولهم جثث، وقطع أجسادهم.. تفتكر ممكن يشعر بالخوف والرعب؟ سيبك من كل دة. تفتكر شخص شاف حبيبته ميتة قدامه بعد ما أتسرق منها قلبها وعينيها.. ممكن يحس بعد كدة بأي خوف ورعب؟.. طب سيبك من ده كمان... تفتكر شخص قعد فترة كبيرة مظلوم جوة سجن، ممكن يشعر بعد كدة بخوف ورعب...؟ أنا مش هتكلم طبعًا عن طريقتك في التعامل مع والدي ووالدتي. وإنك كنت السبب في قتلهم بالبطيء... طريقة قتلك لهم أصعب مليون مرة من الطريقة اللي أنا استخدمتها في قتل ولاد الكلب دول.

أغمض زياد عينيه حزنًا، وقد شعر أنه قد تأثر بكلامه فحاول أن ينتزع نفسه من ذلك التأثر: مش هديلك الفرصة إنك تحاول تأثر فيا بكلامك... منكرش إنك كاتب ماهر، محترف. أسلوبك رائع، طريقتك في التأثير على أي حد قدامك متقنة جدًا... لكن مش هتعرف تستخدم مهاراتك دي مع زياد ضرغام.

- مشكلتك مش مشكلتي أنا... ومنصحكش إنك تفتخر بحاجة زي دي.. المفروض تشكرني إني كان قدامي كذا فرصة أقتلك أو أورطك في القضية ومرضيتش... بلاش تشكرني أنا.. روح أشكر مروة.

- لا اركن موضوع مروة على جنب... خلينا فيك أنت... هتعمل إيه بعد ما أحط الكلابشات في إيديك وأجرجرك ع حبل المشنقة؟ قالها ثم انطلقت منه ضحكة - لا بجد إوصف لي شعورك بعد ما تسمع الحكم وتتحول أوراقك لفضيلة المفتي. ويتلف حوالين رقبتك حبل المشنقة وتقابل رب كريم.... يا كريم. آآآآ قصدي يا باهر.

- ومين قالك دلوقت إني حي.. عايش.. لو فاكر إن حبل المشنقة هو اللي بيفصلني بين الحياة والموت تبقى غلطان.. أنا بعد نسمة ميت.. أنا مش خايف من إنك تقبض عليا، وبالمناسبة أنا كنت عارف إنك جاي. بدليل إني خليت مروة تسيبلك الرواية على السرير.. ومرضيتش أخفي عنك أي حاجة جواها. كل حاجة مكتوبة حتى دليل إدانتي، وأنا متأكد إنك رحت الشقة..

هاجي معاك.. هاجي معاك بدون أي مقاومة. لأني فعلاً مشتاق للموت. الموت بشرف.. عشان أعرف أقابل نسمة رافع راسي بعد ما خدت لها حقها.

- كان في استطاعتك تقتلني.. ليه ماعملتش كدة؟

- وما زلت أقدر... ما زلت أقدر أعمل حاجات كتير. لكن مش هستخدمها.

هرب بعينيه ونظر إلى لا شيء فلاحظ زياد أن حزن العالم كله قد احتل وجهه، ازدرد ريقه وأخذ يفكر حوالي ثانيتين إلى أن قطع باهر تفكيره قائلاً: - أنا جاهز يا زياد بيه... أنا خلاص عملت اللي كنت عاوز أعمله، وفعلاً مش عاوز أعمل حاجة تانية

- جاهز؟

- جدًا.

دخل عليهما مدير دار النشر قائلاً: إيه يا باهر إحنا اتأخرنا... هتقعد تاني أكتر من كدة؟

قال لمدير النشر وهو معلق نظره على زياد: معلش يا أستاذ منير، من الواضح إني مش هقدر أروح معاك دار النشر.

- لا يا أستاذ منير، هييجي معاك حالاً.. قالها زياد وهو معلق عينيه على عيني باهر... ثم مد له يده بنسخته من الرواية قائلاً:

- وقع لي من فضلك.

انتقل باهر ببصره بين الرواية وبين عينيه وهو مندهش، فكرر زياد الذي ما زال معلقًا عينيه عليه مبتسمًا: - وقع لي نسختي لو سمحت.

خرجت ابتسامة هادئة من جانب فمه هو الآخر وأمسك قلمه ليوقع له.. أخذ زياد نسخته بيده اليسرى ومد إليه يده اليمنى ليصافحه، فمد باهر له يده مصافحًا فقال له زياد: أنا اللي آسف يا باهر.. على اللي عملته معاك.

قالها وذهب مغادرًا المكتبة...

تائه الخطى يمشي منكسرًا، لا يدري إلى أين سيذهب، رغم قضاء أسبوع في شاليه العين السخنة، لكنه شعر بتعب الفترة الماضية كله وقد هجم على جسده دفعة واحدة، وقف عند سيارته واستند عليها بذراعيه يفكر ماذا سيفعل، وأين هي مروة الآن، لقد بدأ يعتاد عليها، وعلى العيش معها، لم يندهش من هروبها فجأة، فهو يعرف أنها خائفة من بطشه بعدما عرف كل شيء، لكنها لا تعرف أنه بعد كل ما عرفه تغير.. تغير تمامًا، أمسك هاتفه

وحاول الاتصال بها عدة مرات لكن هاتفها كان مغلقًا، شعر بالقلق عليها وقرر أن يبدأ البحث عنها غدًا، ركب سيارته متجهًا إلى البيت، مارًا في طريقه بأحد محلات بيع الخمور فاشترى عشر زجاجات بيرة هينكن وزجاجة ويسكي. دخل البيت فهاجمت أنفه رائحة مروة، شعر أنه افتقد وجودها، خلع ملابسه وألقاها على الأرض في غرفة المعيشة قبل أن يدخل غرفته ويضيء النجفة فصعق مما رآه.. وتسمر مكانه...

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

منذ خمس ساعات..

حين وصلت مروة إلى القاهرة وذهبت مباشرة إلى شقة زياد ودخلت مستخدمة نسختها من مفتاح الشقة، ولجت غرفة نومه بعد ذلك وفتحت الخزينة مستخدمة الرقم السري الذي عرفته من خلال الكاميرا التي ثبتتها فوق النجفة حين كانت بمفردها في المنزل، ومن خلالها عرفت الرقم السري.. فتحت الخزينة.. أخذت التمثالين.. وخرجت إلى غرفة المعيشة، أمام الكاميرا المثبتة فوق الشرفة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعدما دخل غرفة النوم ووجد البرواز على الأرض والخزينة مفتوحة، اقترب منها وانخلع قلبه من بين ضلوعه حين وجدها خاوية، والتمثالين مسروقين... فتح هاتفه واتصل بالكاميرات وأعادها منذ بدء اليوم فوجدها تدخل من باب الشقة، وظهرت من خلال الكاميرا الأخرى المثبتة في الطرقة ورآها تدخل غرفة النوم، غابت بالداخل حوالي عشر دقائق، ثم عادت مرة أخرى ووقفت أمام الكاميرا المثبتة فوق الشرفة رافعة يدها بالتمثالين...كاد يبكي من الحسرة وهو يراها تلوح له بيدها الممسكة بالتمثالين قائلة: - الساعة دلوقت ١٢ الضهر.. أتمنى تكون فاتح الكاميرا من التطبيق على موبايلك، عشان تشوفني في البث المباشر.. لايف.. بتمنالك حظ سعيد... يا بابا..

أرسلت له قبلة عبر الهواء وخرجت مرة أخرى من الباب.

شعر حينها بالإعياء وأن جسده يتخدر تدريجيًا ودرجة حرارته ارتفعت.. وجد نفسه قد خسر كل شيء.. ظل يصرخ بصوتٍ عالٍ مرددًا كلمة واحدة.. ليييه؟! ليييه يا مروة ليييه؟! ليييييه؟ ده أنا كنت عاوز أديكي عمري كله ليه عملتي كدة ليييييه.!!!!

فتح زجاجة خمر وسكبها على نفسه ثم وقف بعد ذلك أمام المرآة، نظر إلى صورته ساهمًا وهو شارع يديه على امتدادهما..

- كنت عاوز إيه؟! أنا كل اللي كنت عاوزه إني أأمن مستقبلي ومستقبل ولادي.. هو أنا كنت طماع للدرجة دي؟..

استدار إلى مرآة أخرى كالمجنون مرددًا وهو ينظر إلى نفسه: رد عليا.. هو أنا كنت طماع للدرجة دي؟!!..

لكم المرآة وهو ينظر لنفسه من خلالها مكررًا: هو أنا كنت طماع للدرجة دي؟..؟

دخل الحمام وغسل يديه.. ثم دخل غرفتها فنظر على صورتها المعلقة فوق سريرها، خلعها من مكانها وظل ينظر إليها ويبكي: - ليه عملتي كدة يا مروة؟! ليه؟ كنت ناوي أديلك عمري كله من غير ما تعملي كل دة..! ليه يابنت الحراااااااام..

أنا الغلطان مش أنتي يابنت الحرام.. لكن ورحمة ولادي هندمك على كل دة.

انبثق منه نفس الشخص المطابق له، لكنه مرتدٍ الزي الرسمي لضابط الشرطة وعلى كتفه رتبة رائد: - انت بتحلف بمين؟! انت فاشل يا زياد.. طب ما هو باهر حجاج كان قدامك وماقبضتش عليه.. أنت أساسًا ماقدرتش تكتشف إنه هو قبل ما تقرا الرواية.. ماعرفتش تفك طلاسم ولوغاريتمات الجرايم اللي حصلت.. وأهو دلوقت هيتم تقييدها كلها ضد مجهول وأنت عارف كل حاجة ومش هتقدر تتكلم..

- ملكش دعوة... أنا راضي باللي عملته... كل اللي اتقتلوا كانوا يستاهلوا اللي حصلهم. ومفيش حد هيقدر يحس باللي حسه باهر.

- يعني انت رفضت تقبض عليه عشان قلبك حنين... وللا عشان خايف يقدم أدلة توديك في ستلاف داهية.

- أنا دلوقت.. حاليًا.. في اللحظة دي.. مش خايف من أي حاجة. ومعنديش حاجة أصلاً أخاف عليها.

- معجب بباهر حجاج... مش كدة؟! باهر عمل اللي أنت معرفتش تعمله. خد تار حبيبته. انت شفت في باهر الشجاعة اللي نفسك تكون جواك أنت..

سرح حينها في جزء من الحوار الذي دار بينه وبين باهر من ساعات، حين قال له:

...لأني فعلاً مشتاق للموت. الموت بشرف.. عشان أعرف أقابل نسمة رافع راسي بعد ما خدت لها حقها.

ثم قال لنفسه باكيًا بحرقة: أنا لو مت دلوقت مش هعرف أقابل ولادي وأنا رافع راسي.. لأني مخدتش تارهم..

اقترب منه الشخص المطابق له وأخذ يربت على كتفه: معلش... أنا آسف إني كنت قاسي عليك... عيد ترتيب حساباتك. نام دلوقت وبكرة ابقى شوف ممكن هتعمل إيه...

قالها ثم اختفى... نهض زياد حينها بعد أن مسح دموعه.. فتح الثلاجة والتقط زجاجة الويسكي واحتسى نصفها دفعة واحدة، ثم وضعها وجلس شاردًا في كل ما حدث له في الفترة الأخيرة.. إلى أن شعر بأنه يريد أن يفعل شيئًا

ما.. العودة إلى وحدته المعتادة والاحتماء بها.. وهو يبكي.. بكى كثيرًا حتى غاب عن الوعي وناااااااام

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

صباح اليوم التالي...

استيقظ من نومه على صوت أولاده يتقافزون فوق السرير، فتح عينيه دون أن ينهض وظل ينظر إليهم وبداخله شخص ينادي بصوته من بعيد قائلاً: يارب ماصحاش من الحلم ده دلوقت.. يارب ماصحاش منه أبدًا...

دخلت عليه لمياء زوجته وهي تحمل صينية عليها الفطور، قائلة للأولاد: روحوا ألعبوا في الأوضة التانية يا حبايبي، وأوعوا تدوسوا على الإزاز اللي على الأرض.. ثم استطردت كلامها لزياد: هتاخد شاور الأول يا حبيبي وللا هتفطر؟

نهض جالسًا فوقفت ابنته زينة خلفه وتعلقت برقبته وظلت تقبله، بينما أقبل عليه ابنه مقبلاً يديه واحتضنه من الأمام، وما زال يتطلع إليهم مشدوهًا دون أن يتفوه بأي كلمة، رمق حينها الزجاج المكسور على الأرض فاندهش أكثر، وقفت لمياء أمامه مبتسمة وهي تنظر إليه بعينين مشتاقتين، تساءل في قرارة نفسه هل هذا حلم أم حقيقة؟ خائفًا من أن يستيقظ فجأة الآن ليعود إلى واقعه القميء.

- هتفضل باصص لنا ومندهش كدة كتير؟

شعر أن الغرفة تلف به، ولم يستطع التقاط أنفاسه، بدأ يدرك تدريجيًا أن ما هو فيه ليس إلا واقعًا. مد يدًا مرتعشة إلى زوجته التي أمسكت يده قائلة وقد اغرورقت عيناها: انت مش بتحلم يا زياد، اللي انت فيه ده حقيقة.. وحشتني.. وحشتني يا رخم.

ما زال أولاده يقبلونه، لاحظ أن شكلهم تغيَّر نوعًا ما، أمسكهم وضمهم في صدره مدركًا أنهم حقيقيون، نهض واقفًا وهو يحملهم، أخذ يقبلهم وهو يبكي، اقتربت منه زوجته وقبلت رأسه ويده فأخذها في حضنه معهم، كان ذلك حين دخل عليهم أخوها وليد، الذي قال متندرًا: - الله الله... هو ردك لعصمته الأول يا هانم عشان تخليه يحضنك؟ انتي نسيتي إنكم لسة مطلقين؟

لم يتفوه بكلمة.. لم يفعل أي شيء سوى البكاء وهو يحتضنهم مرتجفًا ويقبلهم ملهوفًا، مشتاقًا.. وملتاعًا، ألقى نظرة إلى وليد الذي يقف على باب غرفة النوم مبتسمًا، منتظرًا أن تهدأ ارتجافته قليلاً ثم سأله: اتأكدت خلاص إن كل ده حقيقي ومش حلم؟

ابتلع زياد ريقه ثم سأله وما زال خائفًا من الإجابة: يعني ولادي عايشين.. ماماتوش؟

أجابه وليد ضاحكًا: فال الله ولا فالك يا جدع.. ماتوا إيه بس؟! ما هم عايشين قدامك أهو..

- مش فاهم حاجة... مش فاهم حاجة... فهمني...

أطلق وليد ضحكة أخرى قائلاً: طب أقعد وهفهمك كل حاجة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

منذ عام ونصف..

في صباح نفس اليوم الذي قرر فيه السفر مع أولاده، وبينما دخل زياد الحمام ليأخذ دشًا، دخلت لمياء غرفة الأولاد واتصلت بأخيها قائلة له بصوتٍ خافت كي لا يسمعها زياد:

- وليد... زياد صحي من شوية وفاجئنا إننا هنسافر الشاليه بتاعنا اللي في العين السخنة، وماخبيش عليك أنا قلقانة من السفرية دي وقلبي مقبوض.

- هما الناس دول اتصلوا بيه تاني؟

- لأ.. بعد آخر تهديد متصلوش... ودة اللي قالقني أكتر..

- متخافيش.. إهدي.. زياد رجل.. ومش ضعيف.. وماعتقدش حد يقدر يأذيكم وانتوا معاه..

- ياما حذرته يبعد عن الأشكال دي وميلعبش معاهم... لكن ودن من طين والتانية من عجين.. كل ما أشوفه ماسك التمثالين حاططهم قدامه على السفرة وبيفكر ويخطط يبيعهم إزاي.. معدتي بتقلب من الرعب.. الناس دي طالما هددوه يبقى الموضوع مش هيعدي على خير.

- قلت لكِ ماتخافيش.. وعشان تتطمني يا ستي.. انتوا هتكونوا تحت نظري طول الوقت.. لحد ما توصلوا الشاليه.

- إزاي بقى إن شاء الله؟!

- اخترعي أي حجة أقابلك بيها قبل ما تسافروا.. هديلك ساعة كنت جايبها ليوسف ونسيت أديهاله، الساعة دي فيها GPS لبسيها له في إيده وأنا هظبط كل حاجة فيها بحيث من خلال التطبيق الخاص بيها بحيث أعرف مكانكم بالظبط.. بحيث لو انحرفتوا عن الطريق هعرف.

- تمام.. ربنا يستر.. سلام دلوقت عشان خرج من الحمام..

طلبت منه لمياء أن يمر على الكمين الذي يقف فيه أخوها، وليد أبو العزم، زميله في الداخلية، فقال لها مزمجرًا:

- وبعدين بقى؟! أنا ذنبي إيه بقى أصطبح بوش أخوكي ع الصبح؟ لا أنا بطيق أشوفه ولا هو بيطيق يشوفني..

- معلش يا حبيبي، لما كنت عند ماما آخر مرة نسيت اللبس اللي اشتريته ليا وللاولاد. فقالتلي هتبعتهم لي معاه، كتر خيره إنه وافق يجيبهم لي يعني..!

حينما أقبلوا على الكمين قال لها: أنا مش هقف أكتر من دقيقة.. ومش هنزل من العربية لأني هضطر أسلم على ظباط الكمين كله ومش هخلص!

وقف زياد بالسيارة بعد الكمين بحوالي عشرة أمتار، نزلت لمياء من السيارة وعادت عدة خطوات وصافحت أخاها الذي أعطاها الحقيبة وهو ينادي على زياد بصوتٍ مسموع: صباح الخير يا زياد باشا... أجازة سعيدة.

فأخرج له زياد يده محييًا ثم عادت لمياء وركبت السيارة مرة أخرى وأكملوا طريقهم... إلى طريق العين السخنة، تحت مراقبة وليد لجهاز الـ GPS، إلى أن نهض فجأة حين وجد أن العلامة قد توقفت، وبعد خمس دقائق لاحظ انحرافها إلى الطرق الجانبي، مستقرين على بعد ٥ كيلومترات داخل الصحراء.

ركب سيارته رباعية الدفع في الحال بعد أن اطمأن أن مسدسه الكاتم للصوت جاهز، فوضعه في درج السيارة..

وانطلق نحو الإحداثيات المذكورة في تطبيق الساعة..

كان ذلك حين تم تقييد زياد وبدأ منصور النمر في مقايضته، التمثالان مقابل تركه هو وأسرته، رفض زياد التفاوض معه، ظنًا منه أنه لن يستطيع تنفيذ ما يهدد به، لكن ما حدث هو أنه أمر رجاله بالفعل أن يحضروا زوجته، ونزع ملابسها أمامه وأخذ يغتصبها وهي تصرخ وحدث ما حدث بالداخل إلى أن أمر منصور أحد رجاله بصوتٍ عالٍ:

- خد الولاد للمكان التاني.. وسيبلي أنا الكلب ده هربيه..

كان ذلك حين وصل إليهم وليد وقابل في الخارج الرجل ومعه الطفلان، فأطلق عليه رصاصة مباشرة في رأسه فسقط قتيلاً، أخذ الطفلين وأشار لهما ألا يتفوّها بأي حرف، واختبأ بهما داخل غرفة صغيرة تشبه اسطبل الخيول، خرج رجلان آخران فوجدا زميلهما مقتولا برصاصة في رأسه، شعرا بالخطر المحدق فركبا السيارة ليهربا، كان ذلك حين انتهى زياد من منصور النمر وخرج من الباب الآخر ليجد السيارة تتحرك، ظنًا منه أن أولاده بالداخل، فركب سيارة أخرى وجرى وراءهم حتى انحرفوا فاقدين السيطرة على عجلة القيادة وسقطوا من فوق الجبل، وانفجرت السيارة.

في نفس الوقت الذي دخل فيه وليد فوجد أخته شبه عارية وفي حالة يرثى لها، بحث عن ملابسها وانشغل بستر جسدها، مستغلاً ذلك الانشغال منصور النمر الذي نهض مسرعًا إلى الخارج، لم يأبه له وليد، ولم يأبه بأي شيء سوى الخروج بأخته وأولاد أخته من هذا المكان.

- حِبيبتي، حاولي تتماسكي.. استحملي.

سألته صارخة، باكية: فين الولاد يا وليييييد؟

- بخير... ماتقلقيش.. أولادك بخير، أنا خبيتهم برة، البسي هدومك بسرعة عشان نمشي من هنا...

كانت قد سترت جسدها وارتدت الذي وجدته من ملابسها في أقل من دقيقة، فأخذها وخرج إلى الغرفة الصغيرة التي بها الأولاد، ولم يجد أحدًا غيرهما في المكان، حاول البحث عن منصور لكنه لم يجده، فلم يحاول البحث أكثر من ذلك، وركبوا سيارته رباعية الدفع وانطلقوا مغادرين المكان.

عاد زياد بعد ذلك وكان منهارًا تمامًا من رؤيته انفجار السيارة، ظنًا منه أن الأولاد بداخلها، حين وصل إلى المكان الذي كانت فيه زوجته لم يجدها، ولم يجد أي شخص في المكان، فعاد إلى القاهرة، مدحورًا، منهزمًا، فاقدًا ومفقودًا...

اتفق وليد مع لمياء على أن تكذب عليه وتخبره أنها استطاعت الهروب منهم مستغلة إصابة منصور النمر، ارتدت ملابسها بسرعة وهربت وظلت تركض وتركض إلى أن وصلت إلى الطريق السريع وركبت إحدى السيارات التي أوصلتها إلى القاهرة.

واتفق معها أيضًا أن تتفاجأ وتتأثر حين تعرف أن الأولاد قُتِلوا..

وأن تخبئ الأولاد في أي مكان آمن، وليكن مدرسة داخلية، لتعمل على تأهيلهم نفسيًا كي يجتازوا ما رأوه يحدث لأبيهم وأمهم..

سألته حينها: ولحد إمتى هنكدب عليه في موضوع الأولاد؟

- لحد ما أدور على الكلب اللي اسمه منصور النمر، هتربص لأمه لحد ما أجيبه وأنتقم منه... هو دلوقت عرف إن ولاد زياد اتقتلوا.. هيختفي شوية ويرجع تاني يطالبه بالتمثالين... المهم لازم مصر كلها تعرف إن الولاد ماتوا «بعد الشر عليهم».. وإنك اتطلقتي من زياد... في الحالة دي منصور النمر مش هيلاقي حاجة يهدد بيها زياد... وهيضطر يتواصل معاه مباشرة.. رجل لرجل..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعدما حكى وليد كل ما حدث لزياد الجالس أمامه مُطرقًا رأسه في أسى، شاعرًا بعدة مشاعر متداخلة، خجل وندم وحزن واستاء من نفسه، وسط كل تلك المشاعر، وبعدما تأكد أن ما فيه ليس حلمًا، أقبل عليه أولاده فأخذهم في حضنه وظل ينتحب بحرقة:

- ولادي.. ولادي حبايبي.. هقول إيه بس أنا مش لاقي كلام أقوله.. اتعلمت الدرس.. اتعلمت الدرس كويس جدًا.. درس كان قاسي أوي.. لكن استوعبته كويس.. عمرها ما هتتكرر تاني.

نظر إلى لمياء لتنضم لهم وتدخل حضنه هي الأخرى، فاقتربت منه بالفعل لكن أبعدها وليد عنه قائلاً بسخرية:

- وبعدين بقى يا روح أمك... ما قولنا يردك لعصمته الأول؟

أجابه زياد بصوتٍ متهدج: مين قالك كدة يا وليد.. أنا من أول نظرة حب وشوق واشتياق مني ليها وهي اتردت لعصمتي.. وعمرها ما هتخرج منها تاني أبدًا.. شكرًا يا وليد.. وآسف إني في يوم من الأيام كنت حاكم عليك غلط.

قال لوليد الذي لم يرد عليه، مكتفيًا بابتسامة قبل أن ينهض ليهمّ بالرحيل، نهض زياد ممسكًا رسغه قائلاً:

- أوعدك هتسمع أخبار حلوة قريب يا وليد...

عانقه وليد مستنبطًا ما يرمي إليه زياد، متمنيًا أن ينجح فيما سيفعله: لو احتاجتني في حاجة أنا موجود يا زياد.

قالها ورحل بعد أن عانق أولاد أخته.. التفت زياد مرة أخرى إلى لمياء التي دخلت حضنه وعانقته عناقًا حارًا، يترجم كل تلك الفترة التي غابت فيها عنه، وأوهمته بما ليس في قلبها، وقف الأولاد بجوارهما يلكزونه ويشدونه من بنطاله فانحنى ليلتقطهما وضمهما مع لمياء إلى صدره، في نفس الوقت الذي وقعت عيناه على صور أولاده المعلقة على الجدار، ثم انتقل ببصره إليهما وهما بين ذراعيه، وما زال غير مصدق أن أسرته قد عادت إليه مرة أخرى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في اليوم التالي..

ذهب إلى سجن وادي النظرون، مرتديًا زي الرائد زياد ضرغام الذي كانه منذ عام ونصف، طالبًا من إدارة السجن بيانات كل من زاروا شوقي النمر، أخا منصور النمر، في الثلاثة شهور الأخيرة؛ لأنه حتمًا هناك اتصالات بينهما، لاحظ أنه استقبل أربع عشرة زيارة، منها شخص واحد زاره ثماني مرات، يسكن في الإسكندرية، بمنطقة سيدي بشر في عمارة تطل على البحر المتوسط، أخذ بيانات بطاقته وسيارته واتجه له إلى هناك، تربص به وتتبعه ليومين متتاليين إلى أن رآه في اليوم التالي خارجًا من أحد البارات ويبدو عليه أنه مخمور، ركب سيارته وانطلق بها، فلحق به زياد حتى أخذ الطريق الدائري، بعدما وجد أن الجو هادىء والفرصة سانحة لفعل ما ينوي، اقترب منه بسيارته مُحاوِلاً غلق الطريق عليه واستوقفه، نزل من سيارته وعاد عدة خطوات إلى الخلف ليجده يحاول سحب مسدس من درج التابلوه، لم يمهله زياد الذي لكمه أربع لكمات متتالية حتى غاب عن الوعي، أخرجه ووضعه في سيارته ليأخذه إلى شاليه مكون من طابقين في العجمي، بمنطقة هادئة شبه معزولة، كان قد استأجره وليد أبو العزم، ووضع فيه أخته وأولادها في الطابق العلوي، جاء زياد بسيارته مع الرجل فنزل إليه وليد وحملاه وأدخلاه الشاليه ثم قيده زياد، وما زال الرجل فاقدًا الوعي.

- إيه ياعم زياد انت ضربته بكلاشينكوف وللا إيه؟

- لا والله دي أربع بونيات بس... يعني انت مش شايف حجم أمه قد إيه؟!

بعد أقل من ساعة استفاق الرجل فوجد نفسه مقيدًا وشريط لاصق على فمه، وأمامه وليد وزياد الممسك بطبنجته الميري مبتسمًا:

- بص بقى يا بطل الأبطال، إحنا هنشيل من بؤك اللزق دة، مش هتقول غير كلمة واحدة، مكان منصور النمر. أي كلمة غير كدة هتقابل رب كريم. أومأ الرجل رأسه بالإيجاب. أشار لوليد أن ينزع الشريط اللاصق فصرخ الرجل لكنه اقتطع صرخته خوفًا من بطش زياد الذي هز له رأسه وكأنما يعيد عليه السؤال.. فازدرد الرجل ريقه قبل أن يقول له: والله ما أعرف...

لم يمهله زياد استكمال كلامه وأطلق رصاصة في كتفه الأيمن: أنا قلت إيه؟!

شعر الرجل أن زياد لا يعبث معه، وأنه أمام رجل لا يملك شيئًا ليخاف عليه، وعلى استعداد أن يفعل أي شيء، ظل يتألم لنصف دقيقة ثم وجه زياد المسدس نحو رأسه فصرخ الرجل قائلاً إنه يقيم في فندق سان ستيفانو، لكن ليس بهويته الحقيقية، وإنما بهوية رجل أعمال جزائري يدعى «رائف

سنمار»، بدا عليه أنه يقول الحقيقة والآن هم مضطرون للتأكد من ذلك، اقتطع وليد قطعة من الشريط اللاصق ووضعها على فمه مرة أخرى، في حين صعد زياد إلى الطابق العلوي ليطمئن لمياء طالبًا منها ألا تخاف، وأن الرجل بالأسفل مقيد ولن يستطيع فك قيوده، وأخبرها أنه سيأتي بعد ساعة أو ساعتين، فأمسكت يده وقبلتها قائلة:

- خلي بالك من نفسك يا حبيبي... ومن وليد.

رد عليها بابتسامة ورحل مع وليد، متجهين إلى فندق سان ستيفانو، سألا عنه موظف الاستقبال الذي أخبرهما أنه في صالة القمار بالطابق الأخير، فشكراه وصعدا إليه فوجداه جالسًا على رأس منضدة القمار، مرتديًا بالطو أسود اللون ويعتمر قبعة سوداء، واقفًا وراءه حارسان أشبه برجال المصارعة، كل رجل فيهما بمقام عشرة رجال، شعرا حينها أن المهمة صعبة، وأنه من المستحيل تنفيذ مهمتهما وسط كل هذا الحشد، ومن الصعب أيضًا استخدام أي عنف أو إطلاق ولو رصاصة واحدة حتى لو من مسدس كاتم للصوت، رغم ذلك بدا زياد ووليد مُصرّين على تنفيذ مهمتهما، مُستخدمين العقل بدلاً من القوة.

جلسا على مقربة منه عند البار المجاور له حريصين ألا يراهما، لم تمر ربع ساعة حتى رأياه ينهض من مكانه، ألح عليه أحد الجالسين أن يجلس مرة أخرى ليلعب دورًا آخر لكنه اعتذر لهم مُتحججًا بأنه سيذهب إلى مشوار مهم وسيعود لهم بعد ساعتين، لم يكمل زياد كأس الشيفاز الذي طلبه ووضعه آسفًا على البار وأشار لوليد منطلقين نحو المصعد، لينتظراه مختبئين في الجراج.

لم تمر أكثر من عشر دقائق حتى وقفت سيارته الهامر السوداء أمام المصعد الذي انفتح ليخرج منه منصور النمر بين الحارسين الذين سقطا فجأة بعدما أطلق كل من زياد ووليد على رأسيهما رصاصة، فنظر لهما منصور مرتعدًا وأخذ يتلفت يمينًا ويسارًا لا يعرف ماذا يفعل حتى تفاجأ بزياد ووليد أمامه مشهرين مسدساتهما نحوه، رفع يديه مستسلمًا، بينما ما زال زياد موجهًا مسدسه نحو رأسه أخرج وليد السائق من السيارة دون عناء، وقادها بدلاً منه بعد أن أشار زياد بمسدسه إلى منصور ليدخل السيارة في هدوء، دون أن حركة قد تودي بحياته، وما إن دخل حتى نزع من فوق رأسه القبعة وضربه بمقبض المسدس على مؤخرة رأسه، ضربتين متتاليتين فغاب عن الوعي، وقاد وليد السيارة إلى الشاليه، وما إن وصلوا حتى أدخلوا الرجل المقيد في إحدى الغرف، ووضعوا مكانه منصور النمر.

بعد ساعة وربع..

استفاق منصور النمر فوجد نفسه مقيدًا. وأمامه وليد وزياد.. ولمياء التي ظلت تنظر إليه وهي تبكي بحرقة مع أولادها، طلب زياد من وليد أن يأخذ الأولاد ويصعد بهم إلى الطابق العلوي لأن ما سيحدث خاص به وحده.

رغم أن زياد فك القيود التي قيد منصور بها وألقى المسدس الذي في يده، لكن منصور شعر بخوف أكبر حين رأى الانتقام في عينيه، حاول الهروب لكن حال دون ذلك ركلة زياد له، ركلة مزدوجة في رأسه فانكفأ منصور على وجهه، ولم تزل لمياء تبكي مما ترى، انحنى زياد مُلتقطًا منصور مرة أخرى وظل يكلمه في وجهه ست لكمات متتالية حتى سقط منصور بعدما غطى وجهه بالدماء وتكسرت أسنانه، تمنى حينها أن يمسك زياد مسدسه ليطلق على رأسه رصاصة الرحمة لكن زياد لم يفعل ذلك، أشار إلى لمياء ألا تخاف وتقترب منه لتطأ بقدمها على وجهه، بدت مترددة ومرتعدة من أن تفعل ذلك رغم شعورها بالأمان في وجود زياد، لكنه استطاع أن يقوي قلبها على فعل ذلك، فاقتربت مترددة حتى زال عنها خوفها تدريجيًا ووطئت بطرف قدمها اليمنى على وجه منصور المغطى بالدماء دون أي رد فعل منه، وقد تكسرت جمجمته من لكمات وركلات زياد، وطئته لمياء حينها بقدمها اليسرى أيضًا، حتى تجرأت أكثر وأكثر وأخذت تركله بقوة وهي تبكي بحرقة.. بل تصرخ، وتخرج كل ما بداخلها من غل وانتقام وثأر، بينما يقف زياد على مقربة منها يتطلع إليها وهي تفعل ما كانت تتمنى فعله، وقد شعر بفرحة عارمة، إلى أن أشار إليها أن تكف عن ركله وتصعد لأخيها الذي يرى كل شيء من الأعلى، حريصًا على تغمية عيون الأطفال كي لا يروا ما حدث.. وما سيحدث.

التقط زياد مسدسه مرة أخرى ثم أطلق رصاصة على رأسه، قبل أن ينزع عينيه وقلبه، وكانت تلك هي الجريمة الخامسة، والتي انضمت إلى باقي الجرائم المشابهة لها.

صعد إلى الأعلى وعانق لمياء التي شعرت بحمل كبير قد انزاح من فوق كتفيها بعدما أخذت بثأرها، كان ذلك حين اقترب منهما وليد الذي يحمل الأولاد قائلاً لزياد متهكمًا: تخيل كل اللي حصل ده عشان تمثالين... وفي الآخر اتسرقوا منك.

نظر إليه زياد مبتسمًا.. ولم يرد عليه سوى بجملة واحدة: - التمثالين ماتسرقوش مني ولا حاجة. التمثالين معايا بعون الله.

جحظت عينا وليد ولمياء قائلين له في وقت واحد: - تاااااااااااني... - أكملت لمياء – تاني يا زياد هتـــ...

قاطعها واضعًا سبابته على شفتيها وقال لها بنبرة واثقة: - قبل ما تقولي أي كلمة تانية... شوفي أنا هعمل إيه وبعدين احكمي.

قالها ثم ضمها إلى صدره بقوة واضطرام...

تم تقييد القضية بأكملها ضد مجهول.. بعد أن صرحت النيابة بدفن الجثة الأخيرة.

لم يتبق سوى ساعاتٍ قليلة على افتتاح المتحف المصري الكبير، وعلاوة على آلاف القطع الأثرية الموجودة، ستُعرَض لأول مرة كل مقتنيات الملك الشاب توت عنخ آمون، لم ينقصها أي قطعة، بعد أن أعاد إليها زياد ضرغام القطعتين المفقودتين، وتمت بعد ذلك ترقيته، وترقية وليد..

في مكانٍ ما.. فتحت مروة شعبان العلبة التي وضعت فيها التمثالين ليثمنهما ويشتريهما أحد تجار الآثار، الذي انطلقت منه ضحكة ساخرة حين وجد أنهما نسخة مزيفة مصنوعة من الجبس ولا يتعدى ثمنهما بضعة جنيهات، وتركها مشدوهة، جاحظة العينين، غير قادرة على التحدث ولو بكلمة..

(تمـــت بحمد الله وتوفيقه)

أمير عاطف

٠٩ نوفمبر ٢٠١٩ - الساعة ٠٣:٢٣ فجرًا

بمكانٍ ما، بجوار المتحف المصري الكبير

متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

الفهرس..

إهداء ..
(١)
وانفجرت...
بإحدى المستشفيات الخاصة بشارع جامعة الدول العربية.
ليس هناك شيء ألعن من الفراغ..
الساعة ٠٩:٣٤ مساء.
جزء من أحد المقالات بجريدة المُعارض
صباح اليوم التالي...
عام ١٩٨٩
في صباح اليوم التالي.
في صباح اليوم التالي..
في نفس الوقت...
في نفس الوقت.. مديرية أمن القاهرة.
الساعة ٧ صباحًا...
شيرين القاضي.
بعد أسبوع...
بعد ثلاثة أشهر..
منذ خمس ساعات..
صباح اليوم التالي...
منذ عام ونصف..
في اليوم التالي..